العدد
19

أيلول / سبتمبر
2023

افتتاحية العدد
بقلم الدكتور
علي مهدي زيتون

**Sustainable development of historical and heritage locations in Iraq**
Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad

**البعد الوطني والبعد القومي فـــي شعـــر حسين حيدر**
بقلم حسن توفيق مظلـــوم

**دور السياحة في التنمية الاقتصادية (محافظة كربلاء في العراق نموذجاً)**
بقلم عبد الله حسن البجاري

**الصحة النفسية عند طلاب الجامعة**
بقلم الدكتورة كفاح سليمان الإمام

**Exploring AI Image Generators' Deep Understanding of English Language Prompts**
By Dr. Fatemah Bazzi







كلمة العدد
بقلم رئيسة التحرير
الدكتورة
هيفاء سليمان الإمام

الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير
علم وخبر
1193/أ.د



h_imamomais@hotmail.com

wameed.alfkr@gmail.com






**التعريف:**

هي مجلة علمية محكمة ربع سنوية تصدر عن الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، علم وخبر 1193/ أ.د

يرأس تحريرها: د. هيفاء سليمان الإمام،

ويعنى بنشرها وتوزيعها:

دار النهضة العربية / بيروت – لبنان.

وهي مرخصة من قبل وزارة الإعلام (بعد استشارة وموافقة نقابة الصحافة اللبنانية) تحت رقم 928

والمنشور في الجريدة الرسمية بقرار 2018/ 475،

حائزة على الأرقام الدولية المعيارية التالية:

issn: 2618 - 1312

e - copy: 2618 - 1320

IF: Ref.No: 2020 J101

DOI: 1018756/2020 J101

code ARCI-2007-1110



دار النهضة العربية

**مجلة «وميض الفكر» للبحوث**

**العدد التاسع عشر (أيلول 2023)**

**مجلة «وميض الفكر» للبحوث**

**مجلة علمية محكمة فصلية**

**Issn paper print:2618-1320**

**Issn e copy: 2618-1320**



حصلت مجلة وميض الفكر للبحوث
على معامل التأثير العربي لعام 2022 وقدره 2.54
وترتيبها 47 من بين 2157مجلة عربية



شهادة رقم (٢٠٢٢-٤١٧)
معامل التأثير العربي
مجلة وميض الفكر للبحوث
ISSN: 2618-1312
قد حصلت على معامل التأثير العربي لعام ٢٠٢٢ وقدره ٢.٥٤

تصنيف معامل التأثير لمجلة وميض الفكر في السنوات:
2020-2021-2022



مجلة وميض الفكر للبحوث

| اسم المجلة بالانجليزية | Journal of Thought Flash Research |
| --- | --- |
| ISSN | 26181312 |
| الدولة | لبنان |
| اصدارات المجلة | اضغط هنا |
| معامل التأثير لسنه 2020 | 1.35 |
| معامل التأثير لسنه 2021 | 2.4 |
| معامل التأثير لسنه 2022 | 2.54 |

**( Ref.No:2020J1010)**
**وكذلك نالت رقم الـ (DOI:1018756/2020J101) .**
كما تم فهرستها في **مؤسسة الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية**
**تحت رقم: ARCI code-111-2007**



الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية
ARABIC CITATION INDEX

Egyptian Knowledge Bank
بنك المعرفة المصري

Dear Prof / Editor-in-chief of:
وميض الفكر للبحوث المحكمة

Congratulations! وميض الفكر للبحوث المحكمة (ISSN 2618-1312) has been selected for inclusion in the Arabic Citation Index (ARCI).

The data provider for the Arabic Citation Index has been advised to contact you regarding acquiring issues for XML upload to the Arabic Citation Index, hosted on Clarivate's Web of Science™ platform. Once the data provider has completed their XML preparation and uploaded your content to the Web of Science platform, your content will be available for display.

Details of the Arabic Citation Index Editorial Selection Process can be found below. To learn more about ARCI, here are some helpful links:

**About the Arabic Citation Index :**
http://arcival.ekb.eg/?page=aboutar.html
**Clarivate LibGuide on ARCI :**
https://clarivate.libguides.com/webofscienceplatform/arci#
**Information on the ARCI on the Web of Science platform :**
https://clarivate.com/webofsciencegroup/solutions/arabic-citation-index/
**If you have any questions about the editorial process or your journal, you may contact us at** ARCI@EKB.eg

Kind Regards,
Prof. Sherif Kamel Shaheen

Head of ARCI Editorial Committee



الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية
ARABIC CITATION INDEX

Egyptian Knowledge Bank
بنك المعرفة المصري

السيد الأستاذ الدكتور/ رئيس تحرير:
وميض الفكر للبحوث المحكمة

تهانينا! لقد تم اختيار **وميض الفكر للبحوث المحكمة** (ترقيم دولي 2618-1312) لإدراجها ضمن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية.

عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية:
http://arcival.ekb.eg/?page=aboutar.html
دليل كلاريفيت للكشاف العربي للاستشهادات المرجعية:
https://clarivate.libguides.com/webofscienceplatform/arci#
معلومات عن الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية على منصة شبكة العلوم:
https://clarivate.com/webofsciencegroup/solutions/arabic-citation-index/
لمزيد من الاستفسارات، يمكنكم التواصل مع:
arcival@ekb.eg

تحياتي
الأستاذ الدكتور/ شريف كامل شاهين

رئيس لجنة التقييم بالكشاف العربي للاستشهادات المرجعية

الاتّصال والمراسلات:

هواتف المجلة: 009613691425

فاكس المجلة: 009618630280

الموقع الإلكتروني:www.wameedalfikr.com

البريد الإلكتروني:wameed.alfkr@gmail.com

البريد الإلكتروني لرئيسة التحرير:haifaa.imam@liu.edu.ib

الاشتراكات: لبنان والدول العربية 100 $ سنوياً

باقي دول العالم 125 $ سنوياً




فهرس المحتويات:


- الهيئة العلمية المحكمة في هذا العدد: ........................................9
- رؤية المجلة:................................................................11
- هدف المجلة:................................................................11
- قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر........................................12
- قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث..................................13

افتتاحية العدد: بقلم الدكتور علي مهدي زيتون ............................ 15

كلمة العدد: بقلم الدكتورة هيفاء الإمام ......................................18

أبحاث العدد التاسع عشر (أيلول 2023)

باب التربية:

1 – الصحة النفسية عند طلاب الجامعة

بقلم الدكتورة كفاح سليمان الإمام ..........................................21

2 – أساليب التّربيّة الرّوحيّة من منظور الإمام علي عليه السّلام

بقلم الدّكتورة: فريال محمّد الحاج دياب .......................................38

باب التاريخ:

1 – جذور وأثر الانتداب الفرنسي على لبنان

بقلم الباحث رحال محمد الرحال...............................................47

2– مقال مراجعة موضوع معاملة الحاكم بأمر الله الفاطمي لأهل الذمة في مصر(386. 411هـ/ 996 . 1021م)

بقلم م. د. نضال غالي يوسف..................................................63

3– السياسات البريطانية في المغرب الأقصى بين الأهمية الجيوبولتيكية و والمصالح الاقتصادية (1886–1893)

بقلم الأستاذ المساعد الدكتور : انور فاضل الخالدي..............................71

باب الجغرافيا:

دور السياحة في التنمية الاقتصادية (محافظة كربلاء في العراق نموذجاً)

إعداد الباحث عبد الله حسن البجاري............................................90

باب اللغة العربية وآدابها:

1 – جوانب من الصراع الحضاري في الأدب العربي المعاصر

بقلم الدكتورة فدوى نور الدين الخطيب.........................................108

2 – **البعـد الوطنـي والبعـد القومـي فـي شعـر حسيـن حيـدر.**

بقلم الباحث: حسـن توفيـق مظلـوم.......................................................144

3 – **أسلوبية الإنشاء عند البلاغيين (أبو يعقوب السكّاكيّ انموذجًا، المتفى في 626هـ)**

بقلم الدكتورة دنيا عبدالله شاكر ..................................................159

**باب الإعلام**

**التكنولوجية الحديثة، والاعلام الاسلامي**

بقلم الدكتور خالد ممدوح العزي.................................................177

**باب الأبحاث باللغات الأجنبية:**

1- **Sustainable development of historical and heritage locations in Iraq**

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad .....................................................6

2- **Exploring AI Image Generators' Deep Understanding of English Language Prompts**

Dr. Fatemah Bazzi ............................................................22



**الهيئة العلمية المحكمة في هذا العدد:**

1. أ.د. **أحمد فارس** (لبنان): كلية الدعوة الإسلامية في بيروت، وأستاذ اللغة العربية والآداب في الجامعة اللبنانية وفي جامعة بيروت العربية.
2. أ.د. **رحيم حلو محمد شناوة البهادلي** (العراق): أستاذ تاريخ الحضارة والفكر الإسلامي في كلية التربية _جامعة البصرة.
3. أ.د. **عبد المجيد عبد الغني (لبنان):** خبير دولي في التعليم والتدريب والتخطيط الاستراتيجي مدير عام شركة عبر الحدود للاستشارات والتدريب – لبنان.
4. أ.د. **عفيف عثمان** (لبنان): أستاذ الفلسفة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في الجامعة اللبنانية.
5. أ.د. **علي زيتون** (لبنان): جامعة المعارف، رئيس مجلس الأمناء فيها، ورئيس الملتقى الثقافي الجامعي ورئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية.
6. أ.د. **علي محمود شعيب** (مصر): أستاذ الصحة النفسية في كلية التربية – جامعة المنوفة، قسم علم النفس التعليمي.
7. أ.د. **لبيب أحمد بصول** (فلسطين) أستاذ دكتور في كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية في جامعة خليفة أبو ظبي– الإمارات.
8. أ.د. **محمد توفيق أبو علي** (لبنان): الجامعة اللبنانية، أمين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين، وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية سابقاً وأستاذ اللغة العربية فيها.
9. أ. د. **مصطفى معروف موالدي** (سوريا): أستاذ التاريخ في جامعة حلب وعميد معهد التراث العلمي العربي فيها.
10. أ.د. **نشأت الخطيب** (لبنان): أستاذة التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية وفي جامعة بيروت العربية.
11. أ.د. **وجدان فريق عناد** (العراق): جامعة بغداد، أستاذة التاريخ الإسلامي فيها، اختصاص تاريخ وحضارة الأندلس، ورئيسة تحرير مجلة التراث العلمي العربي في العراق.

12. **أ.د. مهى خير بك ناصر** (لبنان): أستاذة الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها في المعهد العالي للدكتوراه – الجامعة اللبنانية.

13. **أ.د. هالة أبو حمدان** (لبنان): أستاذ مساعد في مادة القانون في كلية الحقوق والعلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.

14. **أ.د. وجيهة الصميلي** (لبنان): رئيسة قسم اللغات في كلية التربية / الجامعة اللبنانية.

15. **الأستاذ المشارك الدكتور رشيد أحمد حسن** (اليمن): نائب العميد لشؤون الطلاب في كلية التربية/ جامعة زنجبار، وحاصل على لقب أستاذ مشارك من جامعة أبين وفي قسم اللغة العربية/ كلية التربية جامعة زنجبار، أستاذ النحو واللغة المساعد فيها و في جامعة عدن.

16. **الأستاذ المشارك الدكتور عادل حسن طه** (السودان): أستاذ اللغة العربية بكلية التربية، جامعة السلام – السودان

17. **الدكتور موسم عبد الحفيظ** (الجزائر): أستاذ مساعد «أ» ودائم في قسم العلوم الإنسانية بجامعة سعيدة، وعضو في المجلس العلمي لكية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة. أستاذ مؤقت في قسم التاريخ بجامعة تلمسان.

18. **الدكتورة ضحى لعيبي كاظم السدجان البهادلي (العراق)**: أستاذ مساعد دكتورة في الجغرافية البشرية والسياسية، كلية التربية – قسم الجغرافية / جامعة ميسان، لها عدد من الكتب البحوث المنشورة.



## رؤية المجلة:

تتطلع الهيئة العلمية المشرفة على مجلة وميض الفكر للبحوث التربوية والعلوم الإنسانية إلى أن تكون المجلة منصة أكاديمية للبحث العلمي المميز على مستوى الوطن العربي بحيث تساهم في تعزيز بيئة البحث العلمي بتنفيذ أكبر قدر من المشاريع والمتطلبات الأكاديمية للطلبة والباحثين، كما أنها تتطلع إلى الريادة في مجال البحث العلمي من خلال النمو المستمر بالأفكار والتطوير الذي لا يتحقق إلا من خلال نخبة من الباحثين والمهتمين بهذه المجالات.

## أهداف المجلة:

تهدف مجلة وميض الفكر للبحوث إلى توفير مرجعٍ علميّ وتلبية حاجة الباحثين على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية في النشر العلمي، خاصة في مجال التربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

فهرسة وأرشفة النتاج العلمي والمعرفي العربي في كبرى قواعد البيانات العلمية العالمية.

توفير عملية مراجعة ونشر سريعة وفعالة للأبحاث والأوراق العلمية.

**قواعد التحكيم في مجلة وميض الفكر للبحوث:**

على المحكم أن يقدم إلى إدارة المجلة تقريراً مفصلاً عن تقييمه للبحث المرسل إليه لتحكيمه ضمن المعايير المعتمدة في المجلة ويكون على الشكل التالي:

**I. الصفحة الأولى:**

1. التوجه إلى إدارة المجلة.
2. الموضوع.
3. المرجع.
4. اسم المحكم وصفته ودرجته العلمية.
5. التاريخ.

**II. الصفحة الثانية:**

6. عرض أهم نقاط البحث

**III. الصفحة الثالثة:**

7. الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. هل موضوع البحث ينسجم مع تخصص الباحث؟
2. هل يعتبر البحث من البحوث المهمة في موضوعه؟
3. كيف يتم عرض البحث وكتابته ووضوحه؟
4. هل إشكالية البحث واضحة في عنوان البحث وفي مضمونه؟
5. ما هو منهج البحث الذي اعتمده الباحث؟
6. هل البحث يعتبر إسهاماً في مجال البحث العلمي الرصين؟
7. ما هو رأيك بنتائج البحث؟
8. ما هي حداثة المراجع وأهمية المصادر المعتمدة في البحث؟

**IV. الصفحة الأخيرة:**

8. علامات التقييم:

1. ما هو تقييمك لجودة وعاء النشر وسعة انتشاره (المجلة)؟
2. هل يعتبر البحث أصيلاً؟
3. هل البحث صالح للنشر؟



**قواعد النشر في مجلة وميض الفكر للبحوث:**

ترحّب المجلة بنشر الأبحاث والدراسات العلمية المتخصصة ذات الصلة بالعلوم التربوية واللسانيات والأدب والنقد المقارن والدراسات الفكرية والفلسفية والاجتماع والجغرافيا والفنون والتراث الشعبي والأنثروبولوجيا والآثار.

وتتصدى المجلة بالبحث الرصين والتحليل العلمي الموضوعي لأهم الظواهر التي تقع تحت مظلة العلوم التربوية والإنسانية.

**أولاً: قواعد عامة:**

تنشر المجلة الأبحاث والدراسات الأكاديمية الأصيلة، وتقبل للنشر فيها الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، أو اللغة الإنجليزية أو الفرنسية التي لم يسبق نشرها، وفي حالة القبول يجب ألا تنشر المادة في أي دورية أخرى دون إذن كتابي من رئيس التحرير.

تنشر المجلة الترجمات، والقراءات ومراجعات الكتب، والتقارير، والمتابعات العلمية حول المؤتمرات، والندوات، والنشاطات الأكاديمية المتصلة بحقول اختصاصها، كما ترحب بالمناقشات الموضوعية لما ينشر فيها، أو في غيرها من المجلات، والدوريات، ودوائر النشر العلمي.

**ثانياً: الأبحاث أو المقالات:**

ترسل البحوث مطبوعة مصححة بصورتها النهائية مدققة لغوياً مرفق بملخص عن البحث باللغتين العربية وأخرى أجنبية(فرنسي او انكليزي)–على قرص ممغنط يتضمن البحث، والخلاصة باللغات العربية والإنجليزية أو العربية والفرنسية. ويمكن إرسالها عبر البريد الإلكتروني للمجلّة.

توجّه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة أو الجمعية الوطنية للثقافة والتطوير، لبنان – البقاع / شتورة.

يقدّم الأصل مطبوعاً على الحاسوب وذلك باستخدام نظام الـ Word 2003، مع الالتزام بنوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (size 14)، التباعد بين السطور (1 سم) على ألا تزيد عدد صفحاته على 20 صفحة مطبوعة (أو مكتوبة بخط واضح) مضبوطة ومراجعة بدقة، وترقّم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول، والأشكال.

تطبع الجداول، والصور، واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

يذكر الباحث اسمه وجهة عمله مترجمين الى لغة اجنبية(فرنسي او انكليزي) اضافة

الى عنوانه الإلكتروني وصورة له على ورقة مستقلة، وعليه أن يشير فيما إذا كان البحث قد قدم إلى مؤتمر، أو ندوة وأنه لم ينشر ضمن أعمال المؤتمر.

يمنح الباحث نسختين من العدد الذي يتضمن بحثه، كما يمنح أصحاب المناقشات، والمراجعات والتقارير، وملخصات الرسائل الجامعية نسخة من العدد الذي يتضمن مشاركاتهم.

يسدد الباحث رسماً رمزياً قيمته 110 دولار أميركي مقابل نشر البحث، أو يساهم في شراء وتوزيع خمس عشرة نسخة من العدد الوارد فيه بحثه.

**ثالثاً: المصادر والحواشي:**

يشار إلى جميع المصادر بأرقام الحواشي التي تنشر في أواخر الصفحات من كل بحث، ويجب أن تعتمد الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بحيث تتضمن:

اسم المؤلف، وتاريخ النشر، وعنوان الكتاب، أو المقال، واسم الناشر، أو المجلة، ومكان النشر إذا كان كتاباً، والمجلد، والعدد، وأرقام الصفحات إذا كان مقالاً.

يزود البحث بقائمة للمصادر منفصلة عن الحواشي، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.

**رابعاً: إجازة النشر:**

يجري إبلاغ أصحاب المساهمات بتسلم المادة خلال أسبوعين من تاريخ التسليم، مع إخبارهم بقبولها للنشر، أو عدم القبول بعد ارسالها الى فحص الاستلال(علماً بان المجلة ترفض البحث الذي يحتوي اكثر من 20 بالمية اقتباس)، ومن ثم يتم عرض البحوث على محكمين، تختارهم المجلة على نحو سري، أو بعد عرضها على هيئة التحرير (في حالة المساهمات الأخرى)، وللمجلة أن تطلب إجراء تعديلات شكلية، أو شاملة على البحث قبل إجازته.

ملاحظة: إن الأفكار والآراء المطروحة والمتداولة في صفحات المجلة لا تعبر بالضرورة عن خيارات واتجاهات تتبناها المجلة، بل إنها تخص الباحث وحده مع احترام حق الرد والرد عليه إن كان ذلك مناسباً.

كما أن المجلة لا تتحمل تبعات أي موقف قد يثير إشكالاً في مادة البحث، والباحث هو المسؤول عن كل ما يكتبه أمام القانون.

# افتتاحية العدد:

## مجلة وميض الفكر: بشرى للثقافة



**بقلم الأستاذ الدكتور: علي مهدي زيتون**

رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة اللبنانية ورئيس مجلس أمناء جامعة المعارف–بيروت

ورئيس الملتقى الثقافي الجامعي والمشرف العام على المجلة

a.m.zaitoun@hotmail.com

أن تكون مجلة وميضاً للفكر، يعني أنها بشرى للثقافة، بشرى بمستقبل ثقافي واعد. ولا يُعدّ ذلك غريباً عن مجلّة حملت هموم المجتمع آخذة على عاتقها طرح الأسئلة التي تضيء المشكلات والتحديات التي تواجه هذا المجتمع. ويعني ذلك أن همّ هذه المجلّة همّان: الأول محاولة فهم ما يعانيه إنساننا ووضع الحلول لتلك المعاناة، والثاني التعامل مع جيل جديد من الباحثين قصد تهيىء هذا الحل ليستطيع النهوض بالمهمات المطلوبة منه هذه الأيام. واذا عرفنا أننا أمام العدد التاسع عشر من أعداد مجلّتنا أدركنا ما راكمته من معرفة ينسلّ منها السؤال المحوري: ماذا ينتظرها من دور في مستقبل الأيام؟ ومن يتصفّح هذا العدد من مجلتنا يجده موزّعاً على الأبواب الآتية: التربية، والتاريخ، والجغرافيا، واللغة والأدب، والإعلام، ناهيك عن أبحاث قُدّمت باللغة الأجنبية.

وإذا كانت هذه الأبواب كافية للاشارة الى الهموم الثقافية التي تتحملها مجلتنا، فإن الدخول الى التفاصيل يكشف عن أبعاد تلك الهموم. فالتربية في مدارسنا وجامعاتنا مهتمة بكيفية تنشئة الطلاب معرفيّاً تاركة التنشئة الأخلاقية على الهامش. وهذا ما

حاولت المجلّة أن تسدّ فراغه من خلال متابعتها أساليب التربية الروحية لافتة الانتباه إلى همّ محوري يجب أن يُعتنى به اعتناءنا بسائر الهموم.

أمّا باب التاريخ الذي تناول جذور الانتداب الفرنسي على لبنان وأثره، فإنه قد وضع على المحك مسألة مركزيّة من مسائلنا. تتعلّق بالأمراض السياسية التي تنخر جسد المجتمع اللبناني، بشكل رئيسي. والمطلوب دراسة الأعراض المرضيّة التي تعتري جسد مجتمعنا طائفيّا، وانتاج ثقافة جديدة تحمي مجتمعنا من التفتّت ومن إمكانية تعرّضه لهزّات خرائبية . ولا يقلّ أهمية عن هذا الموضوع الذي تناول معاملة بعض الفاطميين لأهل الذمّة في مصر، وما رتبته تلك المعاملة من مشكلات طائفية أفاد منها الغرب الغرنسي والبريطاني في توطيد هيمنته على الشرق واستغلال ثرواته.

ولا يقل الموضوع الذي جاء به باب الجغرافيا عن الموضوعات السابقة إذكاء للثقافة. فالسياحة مصدر اقتصادي مهمّ يعود بالفائدة على مجتمعنا إذا أحسنّا تدبره. ويأتي إبراز ما تعانية السياحة من مشكلات، وافتراض حلول لتلك المشكلات تمثّل عوناً ثقافياً على الحال الاقتصلدية لبلدنا.

وما عولج في باب اللغة العربية وآدابها مسألة بالغة الأهميّة. فالصراع الحضاري في الأدب العربي المعاصر إشارة مهمّة الى كيفيّة تخلّق الحضارة ببعديها الثقافي والمدني وإطلالة على الإيجابي في تاريخنا الثقافي والمدني. ولا يقل أهميّة عن هذا الموضوع. موضوع البعد الوطني والبعد القومي في شعر حسين حيدر، ذلك أن هذا الموضوع لا ينبهنا الى وجوب الاهتمام بشعرائنا الذين حملوا الهمّ الوطني والقومي على اكتافهم وفي وجدانهم من جهة والى التعامل مع نتاجهم من خلال مناهج النقد الأدبي الحديثة. والتمعن بما قدمته المجلة في باب اللغة الأجنبية يجعلنا ندرك الدور الذي تقوم به هذه المجلة حضارياً.

ولئن استطاعت مجلّتنا أن تكون حمّالة هموم الوطن، فإنها لا تدّعي أنها وصلت الى ما تتوخاه. هي تسعى لأن تكون شريكة في استيعاب المشكلات والتحديات التي تواجه مجتمعنا وشريكة في وضع الحلول لها؛ لأنها لا تريد لنفسها أن تكون حدثاً عابراً في تاريخ المجلّات، بل تريد أن تكون عابرة الحدود المؤدية الى ثقافة تستطيع أن تعلن عن نفسها أنها ثقافة شريكة الثقافة العالمية في انتاج حياة جديدة للبشرية.



لئن افتقدت مجلتنا في عددها الثامن عشر الصادر في حزيران 2023 استاذاً كبيراً من أعلامها هو الاستاذ الدكتور حسان خلاّق، فإنها تعده بأن تظلّ سائرة على الدرب الذي شارك في رسمه لها، وستكون وفيّة بالعهد له. لا بديل عن ثقافة انسانية تواجه ما خطّط له الغرب، وما يخطّطه الآن من أجل إبقاء يده ممسكة بزمام أمرنا سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ونقول له: على درب حسان خلاّق سائرون وسنتابع الطريق ولن نكلّ ولن نملّ.

## كلمة العدد:

بسم الله الرحمن الرحيم

### التربية الأخلاقية



**بقلم رئيسة التحرير الدكتورة هيفاء سليمان الامام**

استاذ مشارك في الجامعة اللبنانية الدولية liu

Haifaa.imam@liu.edu.lb

أعزائي المتابعين لمجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة تحيتي وتحية هيئتها العلمية لكم...

من المؤكد أن القيم الأخلاقية بشكل عام، هي القيم التي تعبر عن أفكار تدور حول الحياة الجيدة، كما أن الاهتمام بالتربية الأخلاقية وزرع قيمها مثل: الصدق والأمانة والمسؤولية واحترام الآخرين هي من أساسيات التربية المجتمعية عند الفرد، فالآباء هم المسؤولون الأوائل عن تربية أبنائهم، لأن هذا واجبهم تجاه الحياة، ثم يأتي بعد ذلك، دور الفعاليات الثقافية والعلمية والمعلمين وهي تعد في المقام الثاني. والتماسا لدورنا في ترسيخ هذه القيم وهذه الأخلاقيات البناءة في مجتمعنا، افتتحنا العدد التاسع عشر من مجلة وميض الفكر بكلمة الدكتور **علي مهدي زيتون** المشرف العام على المجلة، والمربي العنيد على القيم الفاضلة، والمرشد لرتل كبير من الأساتذة والباحثين والطلاب، رواد الثقافة والعلوم المختلفة. فالدكتور علي زيتون حدثنا عن همّ هذه المجلّة الذي هو عبارة عن هموم وهموم، فمحاولة فهم ما يعانيه إنساننا العربي في هذا العصر العارم

بالضياع والفوضى هو هم، والبحث عن كيفية وضع حلول لتلك المعاناة هم أكبر، وكيفية التعامل مع جيل جديد من الباحثين هم ثالث، وكيفية دعمه وتهيئته ليستطيع النهوض بالمهمات المطلوبة منه هم من أكبر الهموم لدى مجلة صاعدة ترنو الى ترسيخ قيم علمية وأخلاقية استقتها من حضارة عربية اسلامية عريقة ثابتة.

انطلاقا مما سبق ومن اجل تطبيق الأمانة العلمية في البحوث، والتي هي اهم قيمة في عملية النشر العلمي، اعتمدت مجلة وميض الفكر وتحت اشراف الدكتور **يوسف السبعاوي** المشرف العلمي عليها، عملية فحص الاستلال لأي بحث مرسل اليها، وقامت برفض أي بحث يحتوي أكثر من 20 بالمئة اقتباسا، ذلك حفاظاً منها على دورها العلمي الرصين بالحد من السرقات العلمية المنتشرة في عصرنا الحالي.

وبعد المراجعة والتحكيم والتدقيق وفحص الاستلال، وافقت مجلتنا في عددها التاسع عشر على نشر اثني عشر بحثاً منقحاً وفريداً ومدققاً لغوياً، في مختلف المجالات العلمية المسموح بنشرها في مجلة وميض الفكر، وذلك حسب الترخيص الخاص بها، ألا وهو العلوم الانسانية والاجتماعية والتربية.

ففي باب التربية تم نشر بحثين الأول تحت عنوان: **الصحة النفسية عند طلاب الجامعة** قدمته الدكتورة كفاح سليمان الإمام. والثاني تحت عنوان : **أساليب التّربيّة الرّوحيّة من منظور الإمام علي عليه السّلام** بقلم الدّكتورة: فريال محمّد الحاج دياب.

في باب التاريخ اصطفينا بحثين ومقال، البحث الأول يحمل عنوان: **جذور وأثر الانتداب الفرنسي على لبنان**، بقلم الباحث رحال محمد الرحال. **والثاني تحت عنوان السياسات البريطانية في المغرب الأقصى بين الأهمية الجيوبولتيكية والمصالح الاقتصادية (1893-1886)** بقلم الأستاذ المساعد الدكتور انور فاضل الخالدي. كما وافقت هيئة المجلة على نشر **مقال مراجعة موضوع معاملة الحاكم بأمر الله الفاطمي لأهل الذمة في مصر**(386. 411هـ/ 996 . 1021م) بقلم المحاضرة الدكتورة نضال غالي يوسف.

وفي باب الجغرافيا تم نشر بحث بعنوان: **دور السياحة في التنمية الاقتصادية (محافظة كربلاء في العراق نموذجاً)**، من إعداد الباحث عبد الله حسن البجاري.

وفي باب اللغة العربية وآدابها تم نشر ثلاثة بحوث هي أولاً **جوانب من الصراع الحضاري في الأدب العربي المعاصر** بقلم الدكتورة فدوى نور الدين الخطيب. والثاني حمل عنوان **البعــد الوطنــي والبعــد القومــي فــي شعــر حسيــن حيــدر**. بقلم الباحث: حســن توفيــق مظلــوم. والبحث الثالث موسوم ب**أسلوبية الإنشاء عند البلاغيين (أبو يعقوب السكّاكيّ انموذجًا، المتفى في 626هـ)** بقلم الدكتورة دنيا عبدالله شاكر.

وفي باب الاعلام كان بحث فريد يحمل عنوان**: التكنولوجية الحديثة، والاعلام الاسلامي،** قدمه لنا الدكتور خالد ممدوح العزي .

اما في باب الأبحاث المقدمة باللغات الأجنبية فقد قدمت لنا الدكتورة فاطمة بزي بحث تحت عنوان **استكشاف الفهم العميق لمولدات صور الذكاء الاصطناعي للموجهات النصية في اللغة الإنجليزية. و**بقلم الأستاذ الدكتورة: وجدان فريق عناد تم نشر بحث موسوم **بالتنمية المستدامة للمواقع التاريخية والتراثية في العراق**. ختاما اتمنى ان يلقى هذا العدد عنايتكم وعناية روادها. ودمتم في رعاية الله عز وجل.



# باب التربية وعلم النفس:

## 1. الصحة النفسية عند طلاب الجامعة

## Mental health among university students



**بقلم الدكتورة كفاح سليمان الإمام**

أستاذ مساعد في الجامعة اللبنانية الدولية liu

Written by Dr. Kifah Suleiman Al-Imam

Assistant Professor at the Lebanese International University (LIU).

**imam.kifah@gmail.com**

**ملخص:**

لا تقل الصحة النفسية عن الصحة الجسدية أهمية. و تعتبر الصحة النفسية حالة دائمة نسبياً يكون فيها الفرد متوافقاً نفسيّاً (شخصيّاً و انفعاليّاً و اجتماعيّاً) مع نفسه و مع بيئته و يشعر فيها بالسعادة مع نفسه و مع الآخرين و يكون قادراً على تحقيق ذاته و استغلال قدراته وإمكانياته، إلى أقصى حد ممكن، و بما أن المرحلة الجامعية هي مرحلة تغيرات و تحولات يمكن أن تؤثر على حسن سيرورة حالة الطالب النفسية خاصة مع التحديات المتنوعة التي تواجهه في حياته الجامعية، من هنا كان لا بد من تسليط الضوء على الصحة النفسية لدى هذه الفئة من المجتمع في هذه المرحلة العمرية الهامة، فطلاب اليوم هم رجال الغد الذين تعلّق عليهم الآمال في تقدم و تطور المجتمع للأفضل.

**Summary:**

Mental health is no less important than physical health. It is considered a relatively permanent state in which the individual is psychologically compatible (personally, emotionally, and socially) with himself and his environment, and in which he feels happy with himself and with others, and is capable of self-fulfillment and can effeciently and maximally exploit his abilities and potentials. And since the university stage is a stage of changes and transformations that can affect the student's psychological state, especially with the various challenges he faces in his university life. Hence, it was necessary to shed light on the mental health of this group of society at this important age stage. as today's students are the men of future on whom hopes of progress and development of society for the better relies on them.

**المقدمة:**

لقد اهتمّ الانسان عبر العصور المختلفة بالصحة كما نهتمّ بها اليوم وأدرك أهميتها كقيمة عليا، وسعى نحو تحقيقها بشتّى الوسائل. غير أن مستوى المعرفة لم يكن دائماً موازيًا لمستوى طموحات الفرد الصحية. فالمعرفة تراكميّة وهي في كل فترةٍ أفضل من سابقاتها، ومن الطبيعي في مثل هذه الحال، وفي مثل ظروف العلم الذي وصلت إليه حضارة الإنسان في هذا العصر المتطوّر القلِق... والتي رافقها زيادة ظاهرة في المشكلات التي تعترض الأفراد والاضطرابات النفسية التي تصيبهم، مما اقتضى زيادة الاهتمام من قبل الباحثين المعنيين بالإنسان وبحياته النفسية والاجتماعية.

والأسرة هي المدرسة الاجتماعية الأولى للفرد منذ طفولته وعبر شبابه وخلال رشده وحتى شيخوخته.

والصحة النفسية في الأسرة تتطلب مناخاً أسرياً يحقق الحاجات النفسية وتنمية القدرات وتعليم التفاعل الاجتماعي والتوافق النفسي، وتكوين الاتجاهات ومعايير السلوك والعادات السلوكية السليمة.

وتأتي أهمية الجامعة أو المرحلة الجامعية ليستكمل فيها الفرد نموّه وهو يتفاعل مع معلميه وزملائه ويتأثر بالمنهج الدراسي وتنمو شخصيته من كافة جوانبها. ومن العوامل التربوية المؤثرة في الصحة النفسية للطالب هذه العلاقات الاجتماعية كما سبق ذكرها بين الطالب والمعلم وبينه وبين زملائه والمنهج الدراسي المتّبع. وتشترك التربية في كثيرٍ من أهدافها مع الصحة النفسية، ومنها نمو الشخصية المتكاملة للإنسان الصالح للحياة نفسيّا واجتماعياً.

ومن واجب المعلّم الجامعي رعاية الصحة النفسية للطلاب. وهذا يفترض بالتأكيد أن يكون المعلّم هو نفسه متمتعاً بالصحة النفسية. ففاقد الشيء لا يعطيه. (زهران: ص159-158. 2003)

**أهمية الاعتناء بالصحة النفسية عند طلاب الجامعة:**

إن الاعتناء بالصحة النفسية لطلاب الجامعة لا تقل أهمية عن الاعتناء بصحتهم الجسدية، كون الطلبة في مرحلة بناء شخصياتهم ومستقبلهم وهي مرحلة انتقالية ذات أثر فعال في تحقيق طموحاتهم لاحقا فهم رجال الغد ، وهم الأمل في تحقيق وإنجاز ما لم ينجز بعد وعلى صحتهم الجسدية والنفسية يتوقف مدى التقدم والازدهار في المجتمع.

ورغم أهمية الحياة الجامعية التي تعدّ من أهم مظاهر الحياة التي يعيشها الطلبة ورغم أهمية هذه البيئة نظرا لما تحتويه من خبرات غنية وتغيرات مختلفة، فإنها قد لا تكون كذلك بالنسبة لبعض الطلبة فقد تثير هذه البيئة لديهم مشاعر القلق والتوتر والخبرات الإنفعالية المصحوبة بآثار وجدانية ذات مشاعر قوية فيأخذ السلوك شكلا معينا من الاضطرابات ......

**تعريف الصحة النفسية:**

حين نسعى وراء تحديدٍ لمفهوم « الصحة النفسية» نجد أنفسنا أمام أكثر من تعريفٍ واحد، وتجاه أكثر من تحفّظ. ومن الممكن جعل هذه التعريفات المختلفة في فئتين، وذلك استناداً إلى الاتجاه الذي يغلب فيها.

أما الأولى: فتضمّ من التعريفات ما يميل إلى الاعتماد على الناحية السلبية في مفهوم الصحة النفسية من حيث البرء من الأمراض النفسية أو العقلية، ويعني هذا أن نعرّف الصحة النفسية بانتفاء حالة المرض.

وأما الثانية: فتذهب إلى ما يميل للاعتماد على الناحية الإيجابية، فثمة من يقول إن الشخص الذي يتمتع بصحةٍ نفسية جيدة هو الشخص الذي يحقق ذاته ويعي وجودها، ويعمل وفق ما توجّه إليه. ومنهم ومن يقول إن الصحة النفسية هي ما يبدو في موقف الانسان أمام الضغط أو الشعور بالشدّة والاستجابة له. (الرفاعي: ص5. 1987)

كما أنه ليس من السهل وضع تعريف محدد للصحة النفسية .... وسنذكر بعض التعريفات للصحة النفسية:

عرف (ماسلو 1960) الصحة النفسية بأنها امتلاك الانسان شخصية سوية تساعدة على التعامل مع الأحداث التي تحدث معه وتختلف عن الشخصية غير السوية والتي لا تتمكن من التعامل بشكل جيد مع الأحداث المحيطة به (ماسلو، 1960 ، ص 10 )

وعرف (القوصي ،1975) الصحة النفسية بأنها حالة من التوافق التام والمتكامل بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية التي تطرأ على الانسان مع القدرة على الإحساس الإيجابي بالسعادة والكفاية (عبد العزيز القوصي 1975، ص 6 – 8 )

وعرف (سيد محمد غنيم 1978) الصحة النفسية بأنها قدرة الأنا على ضبط الغرائز والدوافع البدائية وعندما لا يسمح للقيم المثالية بعزلة عن واقعة وحتى عندما يسمح باتباع دوافعه وتحقيق مستوى معين من التطلعات المثالية فأن لا يبالغ في هذا الإشباع انما يكون هذا الاشباع متزناً ( سيد محمد غشيم ، 1978).

وعرف عبد المطلب أمين، 1998) الصحة النفسية السليمة : بأنها حالة عقلية انفعالية إيجابية مستقرة نسبياً تعبر عن تكامل طاقات الفرد ووظائفه المختلفة (عبد المطلب أمين،1988،ص28)

## النظريات المفسرة للصحة النفسية:

### 1- نظرية ماسلو في الصحة النفسية :

- الحاجات النفسية

الإنسان بحاجة إلى إشباع الحاجات المادية والمعنوية وما زال المربون في ميدان التربية يعتبرون نظرية العالم النفساني الأمريكي إبراهام ماسلو Abraham Harold) (Maslowم 1908-1970) من النظريات النفسية الهامة الجديدة بالدراسة لكل المعلمين والمعلمات. ( 298 . p، 2001، Stanford &Parkay ) للإنسان حاجاته النفسية مثل حاجة الشعور بالأمن كما يقول ماسلو في هرمه المشهور هرم الحاجات Hierarchy of Needs»، ولذلك فإن التربية يجب أن تراعي تلك الحاجات النفسية والاجتماعية والبيولوجية كي يشبعها الإنسان:

أشار ماسلو إلى الحاجات التالية:

1. الحاجات الفسيولوجية Physiological Needs مثل الحاجة للطعام والشراب والكساء والسكن والزواج وهي الحاجات الضرورية لاستمرار بقاء الإنسان على قيد الحياة. فإذا أمَن الإنسان ضرورات حياته المعيشية فسيبدأ بالبحث عن تحقيق غاية أو حاجة أخرى أعلى في الهرم.
2. حاجات الأمن (Safety Needs security في النفس والمسكن والوظيفة. إن تهديد الإنسان في معاشه هو تهديد لحاجة أساسية في حياته، وكلما ضمن الإنسان من خلال اللوائح والقوانين كفالة حقه في توفير حاجاته الضرورية ازداد شعوره بالارتياح النفسي. حتى في مرحلة البداوة فإن هذه الحاجات تشبعها القبيلة بنظامها المبني على التكافل لأبناء القبيلة.
3. حاجات الانتماء (Social Needs affilation للجماعة والمجتمع وتحقيق التوافق مع الآخرين من خلال الحب والمودة والبر. وفي هذه المرحلة يمكن استنباط قاعدة اجتماعية تعد من أهم الأصول التربوية وهي أن الإنسان اجتماعي بالطبع يميل إلى التجمع والتفاعل مع الآخرين.
4. حاجات التقدير (Esteem Need Recognition من كلمات ثناء وألقاب التكريم والتشريف. هذه الحاجة، كغيرها من الحاجات يجب أن يتم إشباعها في محيط العائلة

والمدرسة والمؤسسات التي يتعامل معها الفرد وفي بعض الأحيان شهادة التقدير قد تكون لها قوة في التأثير كحافز أكبر وأكثر في النفس من استلام الجوائز المادية.

5. حاجات تحقيق الذات Self–actualization Needs الرضا عن النفس والشعور بقدر كبير من السعادة الذاتية بعد تحقيق الأهداف. وهكذا فإن ثناء الآخرين والحصول على المادة لا يمكن أن توفر السعادة في النفس ما لم يشعر الإنسان بأن تقديره لنفسه من مصادر سعادته.

برز ماسلو في الستينيات من القرن العشرين كرائد من رواد علم النفس الإنساني Humanistic Psychology ويعتبر علم النفس الإنساني مقدمة هامة تربوياً لفهم طبيعة الإنسان وفهم حاجاته. يؤكد ماسلو في نظريته على أن الإنسان كلما حقق حاجاته الأولية فإنه يتطلع لإشباع حاجة أعلى فينتقل من مرحلة إلى أخرى على التوالي إلى أن يشبع حاجاته من خلال تحقيق ذاته والكثير من

**أهدافه.**

تؤكد نظرية ماسلو على أن الحاجة إلى الأصحاب والحاجة إلى التقدير والاحترام في محيط الأسرة والمدرسة ومركز العمل من الحاجات الأساسية للإنسان، وأن الانتماء إلى الأندية والجمعيات والنقابات ليس بالأمر الكمالي في حياة الإنسان فهذه الحاجات تغذي نفسه من ناحية الانتماء إلى الآخرين، وجد ماسلو من خلال ملاحظته لبعض الشخصيات التاريخية البارزة أن قلة من الناس هم الذين يصلون إلى مرحلة تحقيق الذات–The level of self .actualization هذه المرحلة بحاجة إلى عمل دائم لأنها عملية مستمرة تتصف بالنمو والديمومة وتستدعي الحفاظ على مستوى الصحة النفسية والإنجازات التي سبق أن حققها الفرد. أكد ماسلو الحاجات الفسيولوجية، وحاجات الأمن، وحاجات الانتماء وحاجات التقدير وحاجات تحقيق الذات.

يحتاج المعلم إلى فهم هذا الهرم النفسي لأنه سيتعامل مع مجموعة من الطلاب ممن قد يكون منهم من يفتقد الأمن في البيت أو المدرسة أو يدفعه الفقر والحاجة إلى إهمال الدروس فلا ينتبه في الفصل. سيلاحظ المعلم أن بعض طلابه في مراحل متفاوتة في هرم ماسلو فقلة الموارد أو فقدان الأمن من الأسباب المؤدية إلى انخفاض التحصيل الدراسي للطالب وضعف مشاركته في الفصل (Stanford&Parkay. 298، 2001، p )، وهناك نظريات كثيرة تشبه نظرية ماسلو استخدمها علماء الإدارة. يؤكد بعض الباحثين (p.45

1994، Merrill،Merrill Cover& وعلى رأسهم ستيفن كوفي أن الإنسان بحاجة إلى إشباع الحاجات التالية:

الحاجة المعيشية الخاصة باستمرارية الحياة والبقاء. To Live

للحب. (To Love)

للتعلم. (To learn)

للإنتاج والعطاء. (To Leave a Legacy)

**2 – نظرية بلوم في الصحة النفسية:-**

الصحة النفسية: مزيج .H.L،Blum متشابك جسدي ونفسي، ويرى أن من أهم المقومات الأساسية للصحة النفسية هي:

1. الرعاية الصحية
1. علم الوراثة
2. البيئة
3. السلوك
4. أسلوب الحياة . (بلوم1981)

ويمكن تعريف الصحة النفسية السليمة بأنها : قدرة الإنسان على الشعور بالسعادة وإيمانه بقيمة الحياة وتكوين علاقات صادقة مع الآخرين وكذلك قدرته على العودة إلى حالته الطبيعية بعد التعرض لأي صدمة أو ضغط نفسي. إن عالم اليوم مليء بالضغوط النفسية والاجتماعية والانفعالات المستمرة والتي قد تؤثر على صحة الإنسان سواء الجسدية أو النفسية، كما أصبح التحول الحضاري وتغير أنماط الحياة والتعرض لوسائل الإعلام الخارجية من العوامل التي تساعد على إحداث تغييرات كبرى في السلوك الاجتماعي والنفسي للشخص ، ونتيجة لهذا فقد بدأت أعداد المرضى النفسيين والمدمنين تتزايد يوماً بعد يوم على مستوى العالم بالرغم من الجهود المضنية لمكافحة هذه المشكلة.

الصحة النفسية لا تعني خلو الإنسان من الأمراض، بل تعني التوافق الاجتماعي والتوافق الذاتي والشعور بالرضا والسعادة والحيوية والاستقرار بالإضافة إلى الإنتاج

الملائم في حدود إمكانية الإنسان وطاقاته، وليس مجرد الخلو من الأمراض فالصحة النفسية هي البرء من أعراض المرض العقلي أو النفسي أي انتفاء حالة المرض. وهذا المفهوم ضيق ومحدود ؛ لأنه يعتمد على حالة السلب أو النفي، كما انه يقتصر معنى الصحة النفسية على خلو الفرد من أعراض المرض العقلي أو النفسي، أي خلوه من التوترات والقلق والانحراف وقد اختلف العلماء في تعريف الصحة النفسية والمرض النفسي وهذه بعض التعريفات :

1. الصحة النفسية هي التوافق مع المجتمع وعدم الشذوذ عنه وعدم مخالفته، والمرض النفسي هو عدم التوافق مع المجتمع وحسب هذا التعريف يكون الأنبياء والمصلحون فاقدي الصحة النفسية وهذا يخالف الواقع.

2. الصحة النفسية هي قدرة الإنسان على التطور. والمرض النفسي هو عدم التطور بما يتناسب مع مرحلة النمو. (مثال حين يتمسك البالغ بسلوكيات الطفولة فإنه يعد مريضاً نفسياً ).

3. الصحة النفسية هي توافق أحوال النفس الثلاث وهي:

حالة الطفولة (child ego state)، حالة الأبوة (Parent ego state) وحالة الرشد. (Adult ego state)

هذه الحالات في تناغم وانسجام، ويحدث المرض النفسي عند اختلال هذه الأحوال وطغيان إحداها على الأخرى.

4. الصحة النفسية هي القدرة على الحب والعمل (أي حب الفرد لنفسه وللآخرين على أن يعمل عملاً بناء يستمد منه البقاء لنفسه وللآخرين)، والمرض النفسي هو كراهية النفس والآخرين والعجز عن الانجاز والركود رغبة في الوصول إلى الموت.

5. ومن العلماء من اعتبر أن المرض النفسي هو عدم التوافق الداخلي، ورأى أن الصحة النفسية هي التوافق الداخلي بين مكونات النفس من جزء فطري هو الغرائز (الهو)، وجزء مكتسب من البيئة الخارجية وهو الأنا الأعلى .

وهذا التعريف له أصول إسلامية.

فالنفس الأمارة بالسوء = تقابل الغرائز

والنفس اللوامة – تقابل الأنا الأعلى

وحين يتحقق التوازن والتوافق بين النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة تتحقق الطمأنينة للإنسان ويوصف بأنه نفس مطمئنة .

وينبغي أن نفرق بين مصطلحين بينهما تداخل وهما : علم الصحة النفسية والصحة النفسية.

**المفهوم السلبي للصحة النفسية**

وتعني السلامة من أعراض المرض النفسي أو العقلي، وإن المفهوم يلقى قبولا في ميادين الطب النفسي ، ويعد هذا المفهوم ضيق ويقتصر على جانب واحد في الصحة النفسية وقد اعتمد تحديد معنى الصحة النفسية على اتجاهين رئيسين مختلفين ، وهما :

الاتجاه الأول : يعتمد المنظور السلبي للصحة النفسية ، بحيث يكون معيار الخلو من أعراض الاضطرابات الجسمية أو النفسية أو العقلية ، أو انتفاء حالة المرض هو المؤشر الأكثر اعتماداً وفقاً لهذا الاتجاه في تعريف الصحة النفسية. ويُعد الأطباء، وأغلب المنتمين للمدرسة الفرويدية والسلوكية مثلاً ، من أنصار هذا الاتجاه ، إذ يحكمون على الفرد بأنه ينعم بصحة جسمية ، أو نفسية مناسبة ، إذا كان خالياً من الاضطرابات الجسمية أو النفسية أو العقلية.

ويوجد عدد من المآخذ على تعريف الصحة النفسية وفقاً لآراء هذا الاتجاه ، لعل من أبرزها:

أ .عجز التعريف عن إعطاء إجابة تبين خصائص إيجابية معينة للصحة النفسية . يمكن من خلالها التحقق من توافرها، كالقدرة على التكيف ، والشعور بالرضا، والكفاية العقلية ، فيمكن مثلاً أن يكون هناك شخص خالٍ من الأعراض الدالة على الاضطرابات الجسمية أو النفسية أو العقلية ، ولكنه يكون غير ناجح في عمله، أو تتسم علاقاته بأفراد أسرته أو زملائه في العمل بالاضطراب والتعقيد (عبد الله، 2001) .

ب . عدم الاتفاق على تحديد أنواع النشاطات المنافية للصحة النفسية السليمة للفرد، أو تعبر عن صحة نفسية غير سليمة ، وذلك بسبب وجود اختلاف بشأن المعايير المتعلقة بالسلوك الجنسي ، والعادات ، و الأعراض المتعلقة بالعلاقة بين الجنسين في كل من الثقافات العربية ، والغربية (جبريل ، 2002) .

**المفهوم الإيجابي للصحة النفسية :**

يكون الفرد فيها متوافقا نفسيا مع نفسه وبيئته ، ويكون قادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكاناته إلى أقصى حد ممكن، ويكون قادرا على مواجهة مطالب الحياة ، وتكون شخصيته متكاملة سوية ويكون سلوكه عاديا ، ويكون حسن الخلق بحيث يعيش في سلامة وسلام ويعتمد هذا التعريف أن للشخصية أربعة جوانب أساسية هي :

أ – الجانب الجسمي

ب – الجانب الاجتماعي

ج – الجانب العقلي

د – الجانب الانفعالي

وحتى يكون الإنسان صحيحاً نفسياً فلا بد من تكامل جميع هذه الجوانب في شخصيته.

فهذا المنظور الإيجابي في تعريف الصحة النفسية يُركز على السلوك الإنساني السوي، ومدى فاعلية الفرد ، ومفهومه لذاته ، وسر وجوده في الحياة . ويمثل هذا الاتجاه أنصار الاتجاه الإنساني ، والوجودي . وينظر هذا الاتجاه إلى الصحة النفسية على أنها تبدو في مجموعها شروطاً تحيط بالوظائف النفسية التي تنطوي عليها الشخصية ، وأن الصحة النفسية الكاملة « مثل أعلى نسعى كلنا نحوه ، وقلما نصل إليه في كل ساعات حياتنا، وذلك لأن لدى كل منا مشكلات عاطفية متعددة ( أحمد عبد الخالق ،1993).

3– نظرية فرويد ( مفهوم الصحة النفسية من منظور التحليل النفسي): فوفقاً لرأي فرويد فإن الشخص القادر على الحب والعمل المنتج هو الشخص الذي يتمتع بالصحة النفسية، وهنا ركز فرويد في نظريته على الصراعات التي تعيق تحقيق الصحة النفسية ، ولكنه لم يكشف بدرجة كافية عن الطريقة التي يتبعها الفرد في تنمية صحته . وتبعاً لرأي فرويد، تتمثل الصحة النفسية الجيدة في قدرة الأنا على التوفيق بين أجهزة الشخصية المختلفة ومطالب الواقع ، وأن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى تحقيق جزئي لصحته النفسية ، وذلك لأنه في صراع دائم بين محتويات (Chatham،1984) الهو ومطالب الواقع.

**وفق نظرية التحليل النفسي يرى** آدلر الإنسان باعتباره كائنا اجتماعيا ولديه ميل اجتماعي يساعده في التغلب على مشاعر النقص ، حيث تلعب أساليب التنشئة الاجتماعية دوراً في تنمية شخصيته ، وتجاوز مشاعر النقص ، وتحقيق صحته النفسية، فضلاً عن ذلك فقد اعتبر وجود هدف معين ومدرك لسلوك الفرد يحاول توظيفه لتجاوز شعوره بالضعف يؤدي إلى مساعدته لكي تكون شخصيته قوية وقادرة على مواجهة متطلبات الحياة (Schwab 1990).

فقد تناول مفهوم الصحة النفسية بصورة مغايرة تماماً لرأي Fromm . أما فروم، أكد على دور العوامل الاجتماعية في تكوين الشخصية ، واعتبر أن المجتمع التسلطي يؤدي إلى نمو شخصية سلبية اعتمادية ، بينما المجتمع المثالي يؤدي إلى نمو شخصية منتجة قادرة على الحب وتحقيق إمكاناتها، وتتمتع بالصحة النفسية (الداهري، 2005 ) .

مفهوم الصحة النفسية من منظور سلوكي :

ويتحدد مفهوم الصحة النفسية من منظور سلوكي باستجابات مناسبة للمثيرات المختلفة وذلك لأن استجابة الأفراد إلى هذه المثيرات بسلوك مناسب ، متحررين من القلق، يعبر عن الصحة النفسية . ( موسى، 2001)

مفهوم الصحة النفسية من منظور معرفي :

أما مفهوم الصحة النفسية من منظور معرفي ، فإنه يعتمد على الطريقة التي يعتمدها الفرد في تفسير وتقييم المواقف والأحداث البيئية المحيطة ، وإن زيادة الشعور بالفاعلية الذاتية يساهم في تعزيز الصحة النفسية والجسمية عند الفرد . ويحسب رأي المعرفيين، فإن الشخص الذي يتمتع بصحة نفسية مناسبة ، هو الذي يُفسر الخبرات المهددة له بطريقة تمكنه من المحافظة على الأمل ، ومن استعمال مهارات مناسبة في حل المشكلات، واستعمال أساليب معرفية مناسبة في مواجهة الضغوطات النفسية ، بينما الشخص الذي لا يتمتع بصحة نفسية مناسبة هو الذي يفقد الأمل ، والشعور بالعجز ، ولا يتمكن من الاستجابة بثقة واقتدار لمتطلبات البيئة ، كما يعجز عن استعمال الأساليب المعرفية المناسبة في مواجهة الضغوط النفسية .

مفهوم الصحة النفسية من المنظور الإنساني(Calhoun 1990) :

إن الصحة النفسية للفرد ووفقاً لرأي الاتجاه الإنساني، يرى ماسلو تتحقق بصورة كاملة، ما لم تتوافر للفرد شروط تسمح للطبيعة الإنسانية أن تأخذ مداها ، وإن الصحة النفسية تتحقق لدى الفرد إذا حقق الحاجات الواردة في هرمه (Belkin، 1984) المعروف . فإنه يرى بأن للإنسان قدرة على إدراك ذاته ، وإن الطرق التي يتكيف فيها الفرد مع البيئة المنسجمة مع أفعاله وذاته فإنها تعكس إدراكه لذاته ، فإذا كان مفهوم الذات إيجابياً كانت الصحة النفسية لديه إيجابية.

وفي ضوء ما سبق ، يمكن القول إن الصحة النفسية بمثابة تكيف مستمر ومتصل وليست حالة ثابتة ، وهو هدف دائم وضروري في نمو الشخصية السوية ، كما أنها حالة إيجابية تشمل كافة المكونات المعرفية ، والسلوكية ، والانفعالية ، والاجتماعية ، المتكاملة والنامية في عملية التكيف الهادفة إلى إيصال الفرد على أعلى المراتب في تحقيق ذاته (1990 ،Schwab) (Calhoun ، 1990).

وتبدو الصحة النفسية في عدة مظاهر ، يمكن إجمالها في شكلين هما :

1 . الصحة النفسية كما تبدو في المعايير الآتية :

أ . المرونة العقلية ، والقدرة على التكيف مع تغيرات البيئة.

ب . التكيف الاجتماعي ، والمشاركة المناسبة في الفعاليات الاجتماعية.

ج . الاتزان الانفعالي ، ويتطلب القدرة على الضبط الذاتي ، وخلو الفرد من التوتر النفسي.

د . فهم الذات ، وتقييم السلوك الشخصي .

هـ . المسؤولية والعقلانية في السلوك.

و . الحساسية الأنفعالية المناسبة .

ز . وجود فلسفة للحياة ، ووجود أهداف مستقبلية تتعلق بذاته وبعلاقاته مع محيطه المادي

والاجتماعي.

2 . الصحة النفسية كما تظهر في علاقات الفرد مع نفسه ، من خلال فهمه لمفاتيحه الداخلية (كالرغبات ، والحاجات ... إلخ) وتحقيقه لذاته ، ووحدة شخصيته ، وعلاقة

الفرد بمحيطه المادي والاجتماعي ، من خلال ضبطه لذاته في مواجهة الظروف المحيطة به ، وإدراكه الصحيح لوجوده الاجتماعي وشعوره بالأمان والطمأنينة.

وعليه ، تتمثل مظاهر الصحة النفسية في التكيف الهادف إلى الموازنة بين المفاتيح الداخلية للذات من جهة والمفاتيح الخارجية أو البواعث من جهة أخرى.

مؤشرات الصحة النفسية :

وهناك ثمة مؤشرات عامة دالة على الصحة النفسية ، تتمثل في :

1. الراحة النفسية .
2. والقدرة على العمل.
3. ومفهوم الذات.
4. وشمول نشاط الفرد وتنوعه
5. ومدى كفاية الفرد في مواجهة إحباطات الحياة اليومية.
6. وقدرته على تحمل المسؤولية ( Belkin،1984).

إن الشخص الذي يريد أن يتمتع بالصحة النفسية من الضروري أن يكون قادراً على إشباع حاجاته الأساسية وإرضائها ، نظراً لأن ذلك من أهم العوامل المباشرة لإحداث التوافق النفسي، والذي بدوره يسبب الصحة النفسية التي تجعل الفرد مرتاحاً بعيداً عن مظاهر الاضطراب ، كما تجعله فردا مقبولاً اجتماعياً، وراضياً عن نفسه وعن الآخرين (غريب عبد الفتاح، 1999).

**معايير الصحة النفسية:**

إن اختلاف وجهات النظر بالنسبة للباحثين في الصحة النفسية فرض عليهم وضع معايير محددة متفق عليها نسبيا من أجل توحيد وتقريب وجهات نظرهم عن الصحة النفسية ومن بين هذه المعايير ما يلي:

1 – المعيار الاجتماعي :

إن العيش مع جماعة أو في مجتمع معين يتضمن وضع قواعد للسلوكيات و التصرفات التي تهدف إلى السماح بالتعايش بأقل صراع ممكن بين الأشخاص الأكثر

اختلافا.(مسعودي مروة، 2018، ص82).

2 - المعيار الذاتي:

حيث يتخذ الفرد من ذاته ونفسه إطارا مرجعيا يرجع إليه كلما احتاجه في الحكم على السلوك الذي يمارسه بأنه سلوك سوي أو لا سوي .

3 - المعيار الإحصائي:

حيث يتخذ المتوسط أو المنوال معيارا يمثل السوية، وتكون اللاسوية هي الانحراف عن هذا المتوسط إيجابا أو سلبا .

4 - المعيار المثالي :

حيث تعد السوية حالة مثالية أو ما يتقرب من الكمال واللاسوية هي الانحراف عن المثل العليا والأخلاق والكمال.

5 - معيار الطبي النفسي :

حيث تعد السوية بأنها تعود إلى صراعات نفسية أو تلف الجهاز العصبي ، لذا فإن اللاسوية هي حالة مرضية فيها خطر على الفرد نفسه ، وعلى المجتمع، وإن السوية هي الخلو من الاضطرابات والأعراض المرضية .(بعروري جعفر ،2012، ص104)

6 - المعيار الديني :

من أهم المعايير وأقواها أثرا لتمييز السلوك السوي من السلوك المنحرف عن الفطرة لدى الإنسان المكلف، حيث الفطرة هي المحك -وقد خلق الله الإنسان على الفطرة السوية -ومدى بعد الإنسان أو قربه من خالقه هو الذي يحدد سلامته النفسية والروحية.

7 - المعيار الوظيفي :

عندما تتم معرفة الهدف الكامن من خلف هذا السلوك نستطيع تقييمه على أنه شخص سوي أو شخص غير سوي.

8 - المعيار الباطني :

وفقا للمعيار الباطني لا يمكن أن نحدد ما إذا كان الفرد أقرب إلى السوية أو اللاسوية إلا إذا تجاوزنا مستوى السلوك الظاهري إلى ما يكمن وراءه من أسباب ودوافع كامنة

وصراعات أساسية ، وكيف تعامل الإنسان مع هذه المحتويات الكامنة لديه ومدى قدرته على التعبير عنها والكيفية التي يشبع بها رغباته ودوافعه.

9 – المعيار التلاؤمي :

وفي هذا المعيار يتحدد السلوك السوي وغير السوي من خلال مساعدة الفرد على تحقيق النضج المطلوب وتحقيق الفرد لذاته ، فالدافع لإدراك الجهد الكامل الذي يبذله الفرد يعتبر بمثابة عامل هام لتحديد السلوك السوي وغير السوي (بو ساحة، نوال،2018، ص18) .

**مظاهر الصحة النفسية:**

تعددت مظاهر الصحة النفسية التي ذكرها المختصون واختلفت حسب اختلاف نظرتهم إلى الإنسان وطبيعته وحسب ثقافة كل منهم، ومن أبرز تلك المظاهر ما يلي :

1 – السوية : وهي التمتع بالسلوك العادي المعياري أي المقبول والمألوف والغالب على حياة غالبية الناس .

2 – التوافق : ودلائل ذلك التوافق الشخصي ، والرضا عن النفس والاتزان الانفعالي، والتوافق الاجتماعي والأسري والمدرسي .

3 – السعادة : وتتضمن الشعور بالسعادة مع النفس ومع الآخرين والتكامل الاجتماعي والصداقات الاجتماعية.

4 – التكامل : ويقصد به التكامل النفسي الذي يكفله تكامل الشخصية وظيفيا وديناميا، وتكامل الدوافع النفسية .(بو ساحة نوال،2018، ص19).

5 – معرفة قدرات النفس وحدودها : أي إدراك الفرد لجوانب قدرته وجوانب ضعفه فيستثمر جوانب القوة ويتقبل نواحي الضعف.

6 – الإقبال على الحياة : ويعني ذلك التحمس للحياة والرغبة الحقيقية في أن يعيشها الإنسان ويستمتع بما أحل له الله من الطيبات ويكون مستبشرا متفائلا ويتوقع الخير. (بطرس حافظ بطرس،2008،ص39_40).

7 – تحقيق الذات : ويتضمن فهم الذات ومعرفة القدرات وتقدير الذات وتقبلها ووضع أهداف ومستويات تطلع وفلسفة حياة يمكن تحقيقها في ثقة. (الخالدي أديب

محمد،2009،ص 84).

8 - الاتزان الانفعالي : فالاتزان والتحكم في النفس وفي الانفعالات تعد من المظاهر التي تدل على صحة الإنسان النفسية.

9 - الدافعية: وهي التي تدفع الفرد للقيام بنشاط معين، وهي القوة المحركة والموجهة لنشاط الفرد نحو تحقيق أهدافه.

10 - غياب الصراع النفسي الحاد : الصراع الداخلي والخارجي.

11 - التفوق العقلي : حيث إن الطاقة العقلية للإنسان تعد مظهرا من مظاهر الصحة النفسية. (مسعودي مروة،2018،ص81)

12 - تحمل الفرد مسؤولية أعماله ومشاعره وأفكاره : الفرد الصحيح نفسيا قد يتفق أو يختلف مع المعايير القائمة أو الأوضاع المتعارف عليها ما دام الاتفاق أو الاختلاف مبنيا على أساس من الرغبة في تحقيق سعادة أشمل ، وإشباع أعم وأكثر دواما وما دام الشخص أمينا مع نفسه مقتنعا بما يراه فإن سواءه يتجلى في تحمله مسؤولية ما يقوم به من أعمال وعدم الهروب من انفعالاته ومشاعره بإسقاطها على الآخرين ، وكذلك في تحمله نتائج تفكيره وعدم اللجوء إلى الآخرين ليفكروا له بهدف أن يكون العذر في أن يرجع فشله إليهم إذا ما فشل.(زيدي ناصر الدين ، لمين نصيرة،2012،ص108).

**الخلاصة :**

إن موضوع الصحة النفسية من اهم وأكبر مواضيع علم النفس غزارة بالمعلومات والمحتويات ولهذا كان الاهتمام بهذا الموضوع منذ القدم وتطور مع تطور العصور والحضارات، فالصحة النفسية لا تتحقق إلا باشتراك عدة عناصر مهمة ولا تقوم الصحة العامة إلا بتعزيز الصحة النفسية، فليس هناك صحة بدون صحة نفسية ، والجدير ذكره أيضا أنه ليس من السهل الإحاطة بموضوع الصحة النفسية لأن ذلك يتطلب تأليف كتب وموسوعات ولكننا آثرنا هنا الإيجاز للضرورة .

**المراجع:**

1- القوصي عبد العزيز ، 1975 ، أسس الصحة النفسية ، دار النهضة العربية القاهرة.

2-أحمد عبد الخالق (1993): أصول الصحة النفسية الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

صالح حسن الداهري (2005) : مبادئ الصحة النفسية . (ط 1) عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.

3- غريب ، عبدالفتاح (1999) علم الصحة النفسية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

سيد محمد غنيم . سيكولوجية الشخصية . محدداتها وقياسها ونظرياتها ، القاهرة : دار النهضة العربية ، 1987م .

4- الرفاعي نعيم، (1987) الصحة النفسية ،دراسة في سيكولوجيا التكيف،ط7،دمشق،جامعة دمشق.

5- زهران حامد عبد السلام2003):دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي،القاهرة ، عالم الكتب.

6-بطرس حفيظ بطرس (2008):التكيف والصحة النفسية للطفل ،ط1،الأردن ، دار المسيرة للنشر والتوزيع.

7-الخالدي اديب محمد(2009): المرجع في الصحة النفسية نظرية جديدة،ط3، الأردن ، دار وائل للنشر.

8-زبيدي ناصر الدين،لمين نصيرة(2012):مبادئ الصحة النفسية والإرشاد،ط1، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

9-بعروري جعفر (2011):أثر سمات استاذ التربية البدنية والرياضة وكفاءته التربوية على تحسين الصحة النفسية للمسعف المتمدرس ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في نظرية التربية البدنية والرياضية، جامعة دالي إبراهيم،الجزائر.

10-بوساحةنوال،(2017) :الصحة النفسية لدى مربي الأطفال المعاقين ذهنيا بالمراكز النفسية البيداغوشية، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر.

11-مسعودي مروة(2018): علاقة الثقة بالنفس والتفاؤل غير الواقعي بالصحة النفسية لدى الطالب الجامعي،مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علوم التربية، تخصص إرشاد وتوجيه، جامعة حمة لخضر، الوادي، الجزائر.

1-Belkin ،G. & Ness ،S. (1984): Psychology of Adjustment. Masschusetts: Allan and Bacon ،Inc.

2- Caihoun ،J. & Acocela ،J. (1990). Psychology Adjustment and Human Relationships. McGraw Hill ،Inc.

# 2-أساليب التّربيّة الرّوحيّة من منظور الإمام علي عليه السّلام

# Methods of spiritual education from Al Imam Ali's perspective



**بقلم الدكتورة فريال محمّد الحاج دياب**

استاذة جامعية في اللغة العربية وآدابها

feryalhajdiab@gmail.com

**المُلخّص**

حاولنا في هذا البحث تسليط الضّوء على تعريف التّربية الرّوحيّة في الإسلام، وأهم أساليبها في فكر الإمام علي (ع). فقمنا بتعريف التّربية بشكلٍ عام، وكذلك، التّربية الرّوحية التي تتعلّق بالرّوح أو النّفس، وهي تزكيتها وتطهيرها...

وتطرّقنا إلى أهمّ أساليب التّربية الرّوحيّة من منظور الإمام (ع)، ومنها:

تهذيب النّفس، وتذكيرها بالموت، تعويدها على الصّبر والحلم، المودّة، حسن الظّن، الزّهد والتّقوى... وكلّها من أسس التّربية القويمة عند الإنسان، وخير الزّاد الذي يغذي الرّوح ويهذبها.

**The Summary**

In this research, we have tried to shed light on the definition of spiritual education in Islam, and its most important methods in the vision of Al Imam Ali.

So we defined education in general, as well as spiritual education that is related to the spirit or the soul, and its purification…

We discussed the most important methods of spiritual education from the perspective of the Imam, including:

Refining the soul, reminding it of death, accustoming it to patience and forbearance, affection, good faith, asceticism and piety… All are among the foundations of a person's upright upbringing, and the best provision that nourishes and refines the soul.

**المقدمة:**

سنحاول في هذا البحث أن نجيب عن السّؤالين الآتيين:

1- ما هي التّربية الرّوحيّة في الإسلام؟

2- ما هي أساليب التّربية الرّوحيّة في فكر الإمام علي عليه السّلام؟ بداية علينا أن نفهم ماذا نعني بالتّربية؟ التّربية بمعناها اللّفظيّ في اللّغة العربيّة جاءت من ربّى يُربّي، بمعنى هذّبَ ووجّه وساسَ وقادَ وغذّى، والفعلُ رَبا بمعنى زادَ ونما. فهي عند اللّغويّين تفيد السّياسة والقيادة والنّمو والتّغيير.[1] والتّربية بمفهومها اللّغويّ هي التّغذية الرّوحيّة. يُقال: «وربيّته تربيةً أي غذّيته، وهي لكلّ ما ينمو كالزّرع والولد...»[2]. أي من تغذّى هذه التّربية وكانت تربيته صالحة حسنة. نشأ نشأةً صحيحة، مهذّبة من الشّوائب التي تعكّر السّبيل. فالتّربية وفق هذا المفهوم، تعني تعهّد الطّفل بالرّعاية والتّغذية الماديّة والمعنويّة حتّى يشبّ. ولقد اهتمّ الفلاسفة والعلماء بمفهوم التربية، وجهدوا في الكشف عن مضامينه العلميّة، وأوجدوا له عددًا من التّفسيرات المختلفة في الشّكل، لكنّها متّفقة في الجوهر. أمّا **التّربية الرّوحيّة**، «فهي التّربية الّتي تتعلّق بالرّوح أو النّفس، وتعني تطهير النّفس، أو السّفر إلى الله»[3].

(1)- الدكتور مروان العطية، معجم المعاني الجامع،معجم عربي عربي، المكتبة الشاملة.
(2)- الشّيخ فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ج1، ص175.
(3)- سعيد حوى، تربيتنا الروحية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979م، ص 69.

وفي الإسلام، فإنّ المقصود بالتّربية الرّوحيّة هو تزكية النّفس، والانتقال من نفسٍ غير مزكّاة إلى نفسٍ مزكّاة، ومن قلبٍ قاسٍ إلى قلبٍ مطمئن سليم، ومن روحٍ تائهةٍ إلى روحٍ عارفة بالله، عابدة مذعنة لتعاليم القرآن الكريم والدّين الحنيف.

إنّ الحياة الصّحيحة للإنسان في هذه الدّنيا، هي أساس تكريمه وفلاحه في الآخرة، فإذا انهارت دنياه بسبب انحرافه انهارت آخرته. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **ومن كان في الدّنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلًا** ﴾ [1]. فالتربيّة الرّوحيّة هي تطوير النّفس وتزكيتها، وقد أقسم الله تعالى أحد عشر مرّة في كتابه العزيز على فلاح من زكّاها. يقول سبحانه في سورة الشّمس: ﴿ **ونفسٍ وما سوّاها فألهمَها فُجورَهَا وتقوَاهَا** قد أفلحَ من زكّاها وقد خاب من دسّاهَا... ﴾ [2].

من ذلك نرى، أنّ **تزكية النّفس وتدريبها على ترك المعاصي** أمرّ مهمّ، وكذلك كان من ضروريات تربيتنا لأنفسنا صحبتنا للأخيار النّاصحين غير المُضَللين.

يقول تعالى في سورة الكهف: ﴿ **واصبرْ نفسَكَ مع الّذين يَدْعُونَ ربّهم بالغداةِ والعشيّ يريدونَ وجههُ ولا تَعْدُ عيناكَ عنهمْ تريدونَ زينةَ الحياةِ الدّنيا ولا تُطعْ من أغفلنا قلبَهُ عن ذكرِنا واتّبعَ هواهُ وكان أمرُهُ فُرطًا**﴾ [3].

فالله سبحانه يأمر نبيّه صلى الله عليه وسلّم، أن يصبرَ مع أصحابه من فقراء المؤمنين الذين يعبدون ربّهم، وأن لا يصرف نظره عنهم إلى غيرهم من الكفّار من أجل التّمتع بزينة الحياة الدّنيا، فهذه الوصية الإلهيّة هي الطّريقة المُثلى لتزكيةِ النّفس وتهذيب الرّوح، إذا استطاع الإنسان اتباعها، فإنّه سيتغلب على كثيرٍ من المصاعبِ، ويبتعد عن الخطأ والزّلل. هذا الدّرس الإلهي العظيم يقودنا إلى معرفة بعض أساليب التّربيّة الرّوحيّة من منظور الإمام علي(ع).

يرى (عليه السّلام)، أنّ الإنسان هو غاية الوجود، ومن أجله خلق الله ما خلق، وجعله خليفته في أرضه، يمضي في حياته وفق أحكام الله وإرادته، إلّا أنّ ضعف الإنسان أمام إغراء المادة ووسوسة الشّيطان الدّائمة له، جعلته في كثير من الأحيان مسلوب الإرادة، قليل الإيمان. من هنا، وجب أخذه بالتّربية والتّعليم، حتّى تستقيمَ نفسُهُ، ويقوى على

(1) – القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 72.
(2)– القرآن الكريم، سورة الشّمس، الآيات 10-9-8-7.
(3)– القرأن الكريم، سورة الكهف، الآية 28، ص 297.

مقاومة الضّلال والفساد. ويكون ذلك بأمور عديدة نذكرُ منها:

**– تهذيب النّفس وتذكيرها بالموت**

إنّ العبد الصّالح هو من يهوى الله طائعًا له، ويستطيع تهذيب نفسه، وإماتة كلّ الشّهوات الدّنيويّة. فالحياة دار ممرّ، ولا بدّ من النّهاية المحتومة، وهي الموت. والموت يعني الموت الماديّ للجسد، بينما الرّوح هي نفس الإنسان، وهي أمرٌ إلهيّ لا علمَ لنا به، وهي بمثابة القوّة التي تبعث الحياة في الجماد. يقول تعالى في كتابه العزيز:

﴿ **يا أيّتها النّفسُ المطمئنةُ ارجعي إلى ربّكِ راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾ [1]. وفي ذلك بشرى عظيمة للمؤمنين الّذين أيقنت نفوسُهم بما وعد الله في كتابه، فأخلصوا في عملهم، واسبشروا بالجنّة.

**– التّقوى**

يقول سيد البلغاء(ع)، ويحثّ النّاس على التّقوى:

**«اعلموا عبادَ الله أنّ التّقوى دار حصنٍ عزيز، والفجور دار حصنٍ ذليل لا يمنع أهله، ولا يحرز من لجأ إليه، ألا وبالتّقوى تقطع حمّة الخطايا، وباليقين تدرك الغايةَ القصوى»**[2].

فالتّقوى من منظور الإمام(ع)، هي جعل النّفس في وقاية ممّا يُخاف، والتّقوى حفظ النّفس التي جعلها الله تعالى أمانةً عند الإنسان، وعدم إلقائها في التّهلكة، وذلك بترك المحظورات، وفي ذلك، يقول الرّسول الأكرم(ص) في حديثٍ شريفٍ: « **إنّ الحلال بيّن، وإنّ الحرام بيّن، وبينهما أمورٌ مُشتبهات لا يعلمهنّ كثيرٌ من النّاس، ألا وإنّ حِمى الله محارمهِ، ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحتْ صلُح الجسدُ كلّه، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلّه ألا وهي القلب»** [3].

فالتّقوى هي السّلم الّذي يصلُ الإنسان من خلاله إلى مدارج الكمال، ويرتقي بها إلى المقامات السّاميّة. ويرى عليه السّلام أنّ النّفس محتاجة إلى تغذية كالبدن تمامًا. ويظهر ذلك في قوله (ع):

(1)– القرآن الكريم، سورة الفجر، الأية 27، ص 594.
(2)– نهج البلاغة، خطب الإمام علي(ع)، الخطبة 157، ج2، ص 157.
(3)– الشيخ ابن عثيمين، التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثًا، مطبعة دار نشر الثقافة، الاسكندرية، ط1، 1380هـ.

**« نفسك التي بين جنبيكَ إن لم تشغلْها بالطّاعة شغلتك بالمعصية، وإن لم تشغلها بالحقّ شغلتك بالباطل»، وهذا القول يلتقي مع كلام الله عزّ وجلّ:**

**﴿ إنّ النّفس لأمّارة بالسّوء إلّا ما رحِمَ ربّي إنّ ربّي غَفُورٌ رحيمٌ ﴾** [1].

فالنّفس معرّضة للمرض كالبدن المعرّض للأسقام، وسقم البدن آني، لكنّ سقم الرّوح ذو أثرٍ دائم، ويتجدّد بعد الموت. يقول عليه السّلام: « **فمن أخذ بالتّقوى عَزَبتْ عنهُ الشّدائدُ بعد دنوّها**»[2]. فلو أنّ الفرد اتّخذ من التّقوى سبيلاً في حياته، فسوف تبتعد عنه كلّ المساوئ والمشاكل، حتّى لو كانت قريبة منه.

من هنا كانت أهمّيّة التّقوى وخشية الله سبحانه، والخوف من عقابه. يقول رسول الله (ص): «**اللّهمّ اجعلني أخشاكَ حتّى كأنّي أراكَ، وأسعدني بتقواك، ولا تشقني بمعصيتكَ**». ومن ذلك ندرك أهمّيّة الخوف من الشّقاء والعقاب نتيجة معصية الخالق.

لذلك نجد الإمام (ع) يأمرُ النّاس بتطهير نفوسهم وشهواتهم عن طريق التّقوى والورع وخوف الحساب، فيقول عليه السّلام: «**اخشوا الله خشيةً ليست بتعذير(بتقصير)، واعملوا بغير ريّاء ولا سمعة، فإنّه من عَمِلَ لغير الله، وكله الله إلى عمله يوم القيامة**»[3]. فالخشية هنا خشية ليست متلبّسة بتقصير، وهي الخشية المستلزمة للتوافق بين السّرّ والعلانيّة وترك محارم الله، فالإخلاص في العمل أقرب شيء وأشبه بالإخلاص العبادي، وربّما كانا شيئًا واحدًا.

ومن أهم أساليب التّربية الرّوحية من منظور الإمام علي(ع) **أيضًا:**

**- تعويد النّفس على الصّبر والحِلْم، فهما سبيل للنجاح والفلاح، وحسن العاقبة**

يقول عليه السّلام: « **ذلّلوا أخلاقكم بالمحاسنِ، وقودوها إلى المكارم، وعوّدوا أنفسَكم الحِلْم...**» [4].

التّذليل هنا بمعنى التّأهيل والإعداد والتّربية، وتعويد النّفس على الحِلْم، وهو لا يعني الصّبر وعدم الغضب فقط، بل يكون بمعنى السّعة والتّحمّل أيضًا، فالإنسان في مقابل ما يعترضه من أسباب الغضب، أو أسباب الغرور والعجب...، يجب أن يكون كالبحر

(1)- القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 53، ص242.
(2)- الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، ج2، ص 198.
(3)- المازندراني، كتاب شرح الكافي، ص283.
(4)- الحسن بن علي ابن شعبة، كتاب تحف العقول عن آل الرّسول، المطبعة الحيدرية، العراق، ص 224.

الّذي تصل إليه الأنهار الصّاخبة، فتهدأ، لأنّه يضمّها ويبتلعها في نفسه كلّها جميعًا.

- **المودّة**

وهي من أهم أساليب تغذية الرّوح. يقول الإمام عليه السّلام:

« **الأرواح جنودٌ مجنّدة، والمودّة تعاطف القلوب في ائتلاف الأرواح**» [1]. ما يعني أنّ ائتلاف الأبرار إذا التقوا، وإن لم يظهروا التّودد بألسنتهم، كسرعة اختلاط قطر السّماء على مياه الأنهار، على عكس قلوب الفجّار التي تكون بعيدة الائتلاف والتّعاطف.

- **حسنُ الظّنّ**

من أساليب التّربية الرّوحيّة **تعويدها على حسن الظّن**، فإنّ خير الوجود وخير الإنسان عند علي عليه السّلام يستلزمان الثّقة بالضّمير الإنسانيّ. يقول (ع) في إحدى خطبه في نهج البلاغة، متوجّهًا إلى مالك الأشتر: « **فليكن منكَ في ذلك أمرٌ يجتمعُ لكَ به حسن الظّنّ برعيتك، فإنّ حسن الظّنّ يقطعُ عنكَ نصَبًا طويلًا...**»[2]. فحسن الظّنّ يريح الرّوح، ويبعد الإنسان عن تحمّل التّعب والنَّصَب.

لقد كان الإمام (ع) يفهم الحياة على أساس أخلاقي مبنيّ على تهذيب النّفس، وتربية الرّوح تربية قويمة، عمادها تقوى الله، وتهذيب النّفس وتزكيتها، من خلال حسن الظّن بالله، وكذلك بالعباد، خاصّة أنّ إمامنا عليه السّلام عانى في زمانه أزمة أخلاقيّة مروّعة في كلّ جانب من جوانب الحياة الاجتماعيّة التي كان يعيشها. فقد كان يلحظ ذلك الانهيار المخيف في قيم ونظم المجتمع وقوانينه، فعاش عيشة الجهاد الكبير من أجل تقويم دعائم مجتمعه، على أسس رسالة أخلاقيّة فيها تهذيب النّفس أولًا، وتزكية الرّوح بالتّقوى والعمل الصّالح، ومن أساليب التّربية الرّوحيّة التي اتّبعها الإمام علي ودعانا إليها، لتكون منهجًا في حياتنا:

- **الزّهد**

لا شكّ أنّ الزّهد والتّقوى من الخصائص الأساسيّة في الثّقافة العلويّة، وكلاهما عند أمير المؤمنين(ع) أفضل العبادات، وزينة الحكمة، وأساس اليقين، والزّهد والإيمان من أهم أسس التّربية الرّوحيّة التي توصل الإنسان إلى طريق السّعادة الأبديّة.

(1)- أبو الفتح عبد الرحمن الخازني، ميزان الحكمة، ج3، ص562.

(2)- الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، مدينة قم، إيران، ط1، 1414هجري، ص440.

ومعنى الزّهد هو الإعراض عن زينة الدّنيا، والاستخفاف بشأنها، والرّضا بالقليل منها.

فالزّهد كما يصوّره الإمام (ع)، ليس بترك الدّنيا والتّفرّغ للعبادة خوفًا من الحساب، ولا هو تصوّف النّفس بانفصالها عن عالم المادّة، للوصول إلى رحاب الله. يقول عليه السّلام:

« **الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن: قال الله عزّ وجلّ: ﴿ ليكلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم واللهُ لا يحبُّ كلّ مختالٍ فخور﴾**[1]. أي يجب علينا أن نتذكّر أنّ كلّ ما أصابنا مكتوب، وأنّ المنع والعطاء هو محضّ ابتلاء، واختبار للصّابر والشّاكر، والنّاسي والعاصي. فإيّاك أن تعصي الله بنعمة أو تبارزه بما أعطى، وإيّاكَ أن تختال أو تنسبَ الفضل إلى نفسكَ، فإنّما هي أفضال الله، وقدره وقضاؤه. وهذا قمّة الزّهد والتّوكّل على الله، ويؤكّد ذلك قول الإمام أمير المؤمنين (ع):

**«فمن لم يأسَ على الماضي، ويفرح بالآتي، فقد أخذَ الزّهد بطرفيهِ».**

وقال عليه السّلام: « **زَيْنُ الحكمةِ الزّهد في الدّنيا**» وقال أيضًا: « **زُهدكَ في الدّنيا يُنجيكَ، ورغبتكَ فيها تُرديكَ». وقوله أيضًا: « زُهد المرء فيما يفنى على قدرِ يقينهِ بما يبقى»** [2].

ففي فكر الإمام (ع)، « **من زهدَ في الدّنيا أعتقَ نفسَهُ وأرضى ربّه»**. فالزّهد تربية للنّفس وتحرير لها من كلّ ما يتعبها، وإعتاق للرّوح حتّى تنطلق مسلّحة بأجنحة الإيمان والزّهد والتّقوى.

من هنا، كان من أسس التربيّة القويمة عند الإنسان. أن لا تشغله النّعم الإلهيّة، ولا تجعله غافلًا عن شكر الله على ما أعطاه، فهو يزهد فيها لعلمهِ ويقينهِ أنّها لا بدّ زائلة، ولن يبقى له سوى عمله الصّالح، وخير الزّاد الذي يغذّي الرّوح ويهذّبها، فالرّوح سرّ من أسرار الخالق. يقولُ تعالى في كتابهِ العزيز:

**﴿ ويسألونك عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوح من أمرِ ربّي وما أوتيتم من العلمِ إلّا قليلًا ﴾** [3].

هذه الرّوح التي تتقلّب أحوالها، فكما للجسم أحوال. كذلك للرّوح أحوال. يقول عليه السّلام:

(1)- القرآن الكريم، سورة الحديد، الآية 23.

(2)- ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1

(3)- القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 85.

إنّ للجسم ستة أحوال: الصّحة، والمرض، والموت، والحياة، والنّوم، واليقظة. وكذلك الرّوح، فحياتها علمها، وموتها جهلها، ومرضها شكّها، وصحتها يقينها، ونومها غفلتها، ويقظتها حفظها»[1] .

من ذلك كلّه، نستنتج أنّ العالم الأكبر مطويّ في وجود الإنسان، فكلّ ما هو موجود في العالم الخارجيّ موجود في النّفس الإنسانيّة، ويختصرُ ذلك قول أمير المؤمنين علي(ع):

**أتزعم أنّكَ جرمٌ صغيرٌ          وفيكَ انطوى العالمُ الأكبرُ**

**فالنّفس الإنسانيّة تختصر العالمَ، بكلّ موجوداته، لذا وجب علينا تطهير نفوسنا، وتهذيب أرواحنا، ليتبلّور ذلك من خلال حسن أعمالنا.**

**يقول عليه السّلام في نهج بلاغته داعيًا إلى تطهير النّفس والسّرائر مبيّنًا أنّها من أفضل الإيمان:**

« **زَيْنُ الإيمان طهارةُ السّرائر وحسنُ العملِ في الظّواهر**». وكذلك يدعو إلى إصلاح النّفس من خلال الورع والابتعاد عن المُحرّمات: « **سببُ صلاحِ النّفسِ الورع**».

نستنتج ممّا تقدّم، أنّ الإمام علي عليه السّلام، قد جسّد بفكره ومبادئه وتعاطيه روحيّة الإسلام وأخلاقيته، ورسّخ الفكرة الأساس، بأنّ الإسلام فوق كلّ الاعتبارات، فكان ذلك القلب النّابض بالحياة، والفكر النّيّر الثّاقب، ولم يتوقّف (ع) عند نفسِه وذاتِه، وإنّما تخطى ذلك للحفاظ على مصلحة الإسلام العليا، والمجتمع الإسلاميّ الّذي يقوم على بناء الفرد المؤمن صاحب القيم والأخلاق الرّفيعة، والعشق الإلهيّ المتجلّي بروحيته السّليمة المتمظهرة من خلال التّربية الرّوحيّة السّليمة التي أرسى أُسسها وأقام دعائمها إمامنا وأميرنا علي عليه السّلام.

**والحمد لله ربّ العالمين.**

---

(1)- العلاّمة محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، بيروت، ج61، ص 40.

## قائمة المصادر والمراجع

**القرآن الكريم**

1. ابن أبي طالب، الإمام علي، نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، قم، إيران، ط1، 1414هجري.
2. ابن شعبة، الحسن بن علي، كتاب تحف العقول عن آل الرّسول، المطبعة الحيدريّة، العراق.
3. ابن عثيمين، أبو عبد الله محمد بن صالح التميمي، التحفة الرّبانيّة في شرح الأربعين حديثًا، مطبعة دار نشر الثقافة، الاسكندرية، ط1، 1380م.
4. حوى، سعيد، تربيتنا الروحية، دار الكتب العربية، بيروت، ط1، 1979م.
5. الخازني، أبو الفتح عبد الرحمن، كتاب ميزان الحكمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م.
6. الطريحي، الشيخ فخر الدين، مجمع البحرين، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1984م.
7. العطية، مروان، معجم المصطلحات الجامع، معجم عربي عربي، المكتبة الشاملة،
8. المازندراني، كتاب شرح أصول الكافي،المكتبة الشاملة.
9. المجلسيّ، العلّامة محمد باقر، بحار الأنوار، دار الكتب الإسلاميّة، بيروت، ج61.
10. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1



## باب التاريخ:

# 1. جذور وأثر الانتداب الفرنسي على لبنان

# The roots and impact of the French Mandate on Lebanon




**بقلم الدكتور: رحال محمد الرحال**

باحث في التاريخ الحديث والمعاصر، حائز على الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة بيروت العربية 2023

**Dr. Rahhal Mohammad ALRAHAL**

Researcher in modern and contemporary history، Holds a PhD in Modern and Contemporary History from Beirut Arab University 2023

rahhalrahhal722@gmail.com



**الملخص:**

شهدت الولايات العربية في أواخر الدولة العثمانية حالة من النشاط الغربي من خلال مدارس وسفارات وغيرها، وترجمت هذه الحركة عن طريق التسريع بانهيار الدولة العثمانية على يد فرنسا وبريطانيا اللتين سعتا إلى اقتسام تركة الدولة العثمانية، وهذا ما حصل بالفعل من خلال اتفاقية سايكس بيكو، وكان لبنان من حصة فرنسا، وقد تم اعلان دولة لبنان الكبير على لسان الجنرال غورو، وقد عانى لبنان على مدى فترة الانتداب من ويلاته، فقد كان الجانب الإداري ممسوكا بالكامل من الجانب الفرنسي

مما جعل الفرنسيين متحكمين بكافة مفاصل الحياة في لبنان، إلا انه كان ثمة بعض الإيجابيات من خلال توسيع طريق بيروت دمشق، لإنما لا يقارن بالسلبيات التي حصلت للبلد وما يزال يعاني من آثارها إلى يومنا هذا.

**Abstract**

At the end of the Ottoman Empire, the Arab states witnessed a state of Western activity through schools, embassies, etc. and this movement was translated by accelerating the collapse of the Ottoman Empire at the hands of France and Britain, who sought to divide the legacy of the Ottoman Empire, and this is what actually happened through the Sykes–Picot Agreement, and Lebanon was From the share of France, and the state of Greater Lebanon was declared by General Gouraud, and Lebanon suffered throughout the mandate period from its scourges, as the administrative side was completely occupied by the French side, which made the French control all aspects of life in Lebanon, but there were some positives from During the expansion of the Beirut–Damascus road, however, it is incomparable with the negatives that happened to the country and it is still suffering from its effects on this day.

**مقدمة**

تعتبر الفترة التي تلت تداعي الدولة العثمانية وانهيارها فترة مصيرية في تاريخ المنطقة العربية والإسلامية على وجه الخصوص، فقد حكمت الدولة العثمانية المنطقة لما يزيد على أربعة قرون، وقد تبدلت الأحوال والأمور في الدولة بين الشدة واللين، إلى أن وصل الأمر إلى ضعف الدولة وسمح الوضع للدول الاوربية بالتدخّل في شؤون البلاد العربية والواقعة تحت السيطرة العثمانية، وقد تجلى هذا التدخل في البروتوكول الذي وقّع بين سفراء الدول الخمس والدولة العثمانية عقب الحرب الاهلية التي وقعت بين الدروز والموارنة سنة 1860م وتحول البلاد إلى نوع جديد من الحكم عُرف بالمتصرفية.




في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تتداعى فيه كانت الدول الاوروبية تسعى جاهدة لموطئ قدم في المنطقة العربية الناشئة مطلع القرن العشرين، وقد اقتسم الإنكليز والفرنسيون المنطقة ضمن اتفاقية سايكس بيكو الشهيرة، والتي تضمنت اقتسام تركة الدولة العثمانية بين بريطانيا وفرنسا من بلاد الشام والعراق، وفي الكواليس حصل صراع على المنافذ والمناطق الحيوية بين الطرفين بحيث سعى كل طرف إلى الحصول على منافذ بحرية، فكانت فلسطين من ضمن حصة الإنكليز واليهود فيما بعد، أما ساحل الشام من سورية ولبنان فكان تحت السيطرة الفرنسية.

ولتجميل الموقف في المجتمع الدولي وضع نظام الانتداب كي لا يكون احتلالا مباشرا، وقد خلّف هذا الانتداب العديد من النتائج على مدى سنوات طويلة، وقد تراوحت هذه النتائج بين السلبية في معظمها وبعض الإيجابيات، وهنا في هذا البحث سأعرض للانتداب الفرنسي وآثاره السلبية والايجابية على الدولة والمجتمع في لبنان.

**الإشكاليات**

- ما هو الهدف الرئيس للانتداب الأوروبي؟
- كيف كانت آثار الانتداب على لبنان؟
- ما هي الثمار التي جناها لبنان من جراء الانتداب؟
- هل حسّن الانتداب من الأوضاع العامة في لبنان؟

**الفرضيات:**

- ما الذي كان سيحل بمقدّرات بلادنا بمنأى عن الانتداب الفرنسي؟
- لولا وجود الانتداب ما النتيجة التي كان سيجنيها لبنان؟
- لنفرض أن نتائج الانتداب هي بمثابة عامل إيجابي وسلبي، فكيف يمكن الجزم في ذلك؟
- لو أن الانتداب لم يحلّ ولم يحصل في بلادنا، فهل كان لكل ما حلّ في بلادنا من سلبيات وايجابيات ان يكون؟

**أهمية الموضوع:**

لا بد من تسليط الضوء على كل مرحلة تاريخية يمر بها بلد ما، وذلك لناحية الإيجابيات والسلبيات، وكوننا في لبنان الدولة التي نشأت باسم لبنان الكبير تحت الوصاية الفرنسية، والتي تحولت بشكل أو بآخر إلى انتداب فرنسي استمر حتى عام 1943م بحيث ظهر الاستقلال في ظل بعض الوجود الفرنسي.

فمن الضرورة بمكان اجراء دراسة تاريخية تفنّد وتشرح الأسباب والمخرجات التي خلّفها الانتداب الفرنسي على لبنان، ويرى البعض ان هذه المخلفات والآثار لا تزال إلى يومنا هذا.

**تقسيم البحث:**

اقتضى البحث تقسيمه إلى تمهيد وفصلين اثنين وخاتمة، الفصل الأول يتناول أرضية إنشاء دولة لبنان الكبير عشية انهيار الدولة العثمانية في ظل رعاية فرنسية، والفصل الثاني يتناول الآثار الإيجابية والسلبية على لبنان نتيجة هذه الحقبة التي وصفت بأنها فوضوية على الصعيد اللبناني.

الفصل الأول: أرضية إنشاء دولة لبنان الكبير في ظل الانتداب الفرنسي

أولاً: الدولة العثمانية والاوروبيون في لبنان

ثانياً: الصراع الإنكليزي الفرنسي على لبنان

ثالثاً: انتداب فرنسا على لبنان ومجرياته

الفصل الثاني: الآثار الإيجابية والسلبية للانتداب على لبنان

أولاً: على الصعيد السياسي

ثانياً: على الصعيد الاقتصادي

ثالثاً: على الصعيد الاجتماعي والتربوي

**خاتمة**

**التمهيد**

يعتبر تاريخ المنطقة العربية حافلا بالأحداث التي تبدلت وتغيرت على شعوب المنطقة تبعاً للتغيرات السياسية فيها، وقد لعب الجانب الديني دوراً جزئياً في هذه التغيرات، فقد حكمت منطقة بلاد الشام من خلال العرب المسلمين على مدى قرون من الزمن، بحيث دخلت تحت الحكم الإسلامي في فترة مبكرة من الإسلام، ودالت عليها العديد من العصور والدول، إلى أن حكمها في فترة متأخرة من الحكم الإسلامي العثمانيون الاتراك، وقد تراوح الحكم التركي بين الشدة واللين في التعامل مع اللبنانيين، وقد اتّبع الحاكم العثماني أكثر من تنظيم اداري في جبل لبنان على وجه الخصوص، فمن نظام القائمّقامية إلى نظام المتصرفية كنوع من الحكم المباشر، وقد تخلل هذه الفترة قيام حرب أهلية بين الموارنة والدروز سنة 1860م والتي أثّرت بشكل كبير على تاريخ لبنان حتى وقتنا الحاضر.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الحرب الأهلية فتحت الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي في صياغة تاريخ لبنان ورسم سياسته ومستقبله، فقد تضمن البروتوكول الموقّع سنة 1861م بين الدولة العثمانية وسفراء الدول الخمس الاوروبية الفاعلة على الساحة اللبنانية (فرنسا، بريطانيا، إيطاليا، روسيا، بروسيا)، ستة عشر بنداً رسم من خلاله السياسة العامة للبنان، وهنا لا بد من الإشارة إلى ان فرنسا عزفت على وتر الطائفية من خلال دعم الموارنة في جبل لبنان، وغالباً ما كانت تقف إلى جانب الكنيسة في أي حدث سياسي.

**الفصل الأول: أرضية انشاء دولة لبنان الكبير في ظل الانتداب الفرنسي**

في البداية لا بد من عرض مقدمة تاريخية بسيطة عن تاريخ لبنان وفهم المراحل التي مرّ بها لكي تسهل قراءة الموقف التاريخي في فترة الانتداب والمفرزات التي نتجت عن هذه المرحلة، فمنذ منتصف القرن التاسع عشر كان اللاعب الفرنسي أساسي على الساحة السياسية اللبنانية، كونه يمتلك حليفاً ذا نفوذ على الأرض وهذا الحليف هو أتباع الطائفة المارونية.

وسرعان ما عززت فرنسا من وجودها في لبنان من خلال تقوية الأطراف الداخلية الداعمة لها من جهة، والاتفاق مع بريطانيا على اقتسام ما بقي من أملاك الدولة العثمانية في المنطقة العربية من جهة اخرى، وإن حصلت بعض الصدامات والخلافات على هذه الحصص فإن فرنسا تمسكت بلبنان وسورية على وجه الخصوص لما لهاتين المنطقتين من أهمية استراتيجية على الصعد كافة، من مواصلات وخيرات وجعلها سوقاً واعدة لتصريف الإنتاج الفرنسي في ظل تراجع وتدهور الصناعات المحلية.

**أولاً: الدولة العثمانية والاوروبيون في لبنان**

لعبت طبيعة لبنان الجبلية دوراً مهما في مجريات الاحداث التي مرّت عليه خلال العصور الوسطى كما حددت كثير من معالمه ومعطياته على الصعيدين الاجتماعي والطائفي على حدٍ سواء. وفي فترة حكم الدولة العثمانية أصبح جبل لبنان ملجأ للخارجين عن السلطة لذا عانت الدولة العثمانية من صعوبات في السيطرة على الموقف وقد تجلى ذلك باتباعها نظام حكم مختلف عن باقي الولايات العثمانية أسوة ببيروت والقدس وغيرها،

واستمر هذا الامر إلى فترة الحرب الاهلية اللبنانية سنة1860م بين الدروز والموارنة، وقد تمخض عن هذه الحرب التدخل المباشر الأوروبي في الشؤون المحلية للبنان من خلال دعم اطراف دون اطراف أخرى، والمشاركة في الحكم الفعلي لمتصرفية جبل لبنان من خلال البروتوكول الموقّع سنة1861م، والمعدّل سنة 1864م، الامر الذي جعل للدول الاوروبية موطئ قدم كبيرا هنا في المنطقة على وجه العموم ولبنان على وجه الخوص. فقد سمح هذا البروتوكول بالاطلاع المباشر ومراقبة تنفيذه، ولم تتورع فرنسا عن التدخل من خلال قناصلها مثل تريكو وهنري قيز في العبث بالامور الداخلية(رستم، 1973، ص35).

وحكم لبنان في فترة المتصرفية عدد من المتصرفين العثمانيين في حين كانوا على تواصل وتشاور دائم مع سفراء الدول الاوروبية في بيروت والسفير الفرنسي على وجه الخصوص، فقد كانت وبشكل علني فرنسا تقف إلى جانب الموارنة، وقد أشار المؤرخون إلى ذلك في غير موضع.

وقد شهدت هذه الفترة نمو وازدهار الناحية العلمية في لبنان على وجه العموم فقد انتشرت الارساليات الأجنبية وافتتحت المدارس والجامعات التي غدت من اهم الجامعات

في المنطقة، وهناك العديد من المدارس اللادينية والمدارس الوطنية التي خرّجت كوادر علمية وتربوية

**ثانياً: الصراع الإنكليزي الفرنسي على المنطقة العربية**

تعتبر المسألة الشرقية من المسائل الحيوية في العصر الحديث وتتلخص بالانهيار الوشيك للدولة العثمانية مطلع القرن العشرين والصراع الأوروبي على ورثتها، وقد لعب الجانب الروسي دوراً مهماً بها إلا أن قيام الثورة البلشفية قد أجهض وضيّع المكتسبات التي حققتها روسيا من جرّاء اقتسام أملاك السلطنة العثمانية.

إن انحلال الإمبراطورية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، طرح جملة من المصطلحات السياسية المعبرة عن حالة الإمبراطورية، لا بد من الإشارة إليها لفهم طبيعة التدخل الدولي عموماً في القضايا الداخلية للإمبراطورية العثمانية والتدخل الفرنسي – الانكليزي خصوصاً. ولعل مصطلحي «المسألة الشرقية» والرجل المريض هما من المصطلحات التي تم تداولها على الصعيد الدولي لغرض معرفة الحيثيات والنتائج التي تترتب على تفكك الدولة العثمانية(الهاشم، 2007، ص47).

سعت فرنسا إلى نشر ثقافة الانتداب وإلى تفسير هذه الكلمة على هذا النحو الجميل في جامعة الأمم_الأمم المتحدة لاحقا_ كلما أثير موضوع الانتداب، لكنها لم تقرن يوماً الاقوال بالأفعال بحيث كانت أوضاع الانتداب وفقاً لمبادئ ويلسن، لكن كان الحال على العكس تماماً، ودليل ذلك المماطلة في منح الاستقلال للبنان تحت ظروف وحجج شتى(حبوش، د ت، ص5).

كان ينبغي أن تكون علاقة فرنسا، وذلك وفقاً للوعود المغطاة والممنوحة في صك الانتداب، لكن الواقع كان على النقيض تماماً، فالتحريض والافساد وتفريق الصفوف وبذر الخلاف وغيرها هو الأساس الذي اتبعه ممثلو فرنسا وموظفوها في لبنان، ولهذا الغرض كان المستشارون والنواب الفرنسيون في الحكم، حيث عبر عن ذلك بعض المؤرخون :«إن حكوماتنا ومجالسنا التمثيلية المتعاقبة كانت كآلات صماء تدار وفاقاً لمشيئة الاستعماريين المقيمين في المفوضية العليا باسم مفوضين ومندوبين ومستشارين» (حبوش، د ت، ص5).

فقد خطط الحلفاء على تقسيم تركة الدولة العثمانية حيث أتت حصة روسيا إسطنبول

والمضائق (البوسفور والدردنيل) وفقاً لأتفاقية إسطنبول 1915م، كما تعهدت بريطانيا بدعم العرب حيال قيامهم بثورة على السلطنة العثمانية، وذلك بعد التواصل مع الشريف حسين الذي ابدى استعداداً لذلك وأجرى سنة 1916م مراسلات حسين مكماهون الشهيرة، التي نتج عنها تقسيم سورية ولبنان والعراق وجزء من الاناضول إلى مناطق فرنسية وانكليزية تحت الحكم المباشر لهاتين الدولتين، وقد تبع ذلك اتفاقيات أخرى لتقسيم التركة العثمانية، وفي هذا الموضع ما يهمنا هو لبنان فقد كان من الحصة الفرنسية التي عملت على انزال جيوشها فيه(سولت، 2008، ص93).

**ثالثاً: انتداب فرنسا على لبنان ومجرياته**

بدأ التدخل العسكري المباشر من قبل الدولة الفرنسية في إنزال وحدات عسكرية على الساحل اللبناني، وكان الهدف احتلال لبنان تحت مسميات شتى، حيث نزلت بيروت وبموافقة الجنرال اللنبي وحدات من الجيش الفرنسي وفي اليوم التالي دخل الجنرال اللنبي بيروت على رأس جيشه، وذلك سنة 1918م، ترافقه كتيبة فرنسية بقيادة الكولونيل دي بيبياب، وأصدر اوامره الى شكري باشا الأيوبي بمغادرة المدينة. ثم أنزل العلم العربي عن المباني العامة، وسلم عمر الداعوق سلطته الى الكولونيل والذي أصبح الحاكم العسكري للبلاد. أما المجلس الإداري في بعبدا، فسمح له بالبقاء كهيئة وطنية حاكمة في جبل لبنان(الصليبي، 1991، ص206).

يذكر ان فرنسا لم تكن تنوي احتلال لبنان بالمعنى العسكري المتعارف عليه وإنما جمّلت الواقع تحت مسميات وذرائع شتى منها تسمية الانتداب التي اختبأ خلفها الكثير من الاسرار والاطماع على حدٍ سواء، وذلك من خلال النتائج والمخرجات التي تظهر بعد الانتداب، والغاية منه كانت مساعدة الشعب على الوصول الى الاستقلال والاستقرار، وتدريبه على ذلك كما سيظهر معنا. وقد أورد القوزي ما يفند فيه موضوع الانتداب «والانتداب في معناه اللغوي والقانوني، وكالة تفرض لمصلحة الشعب المنتدب عليه لضمان حصوله في المستقبل على الاستقلال التام، وسبب فرض هذه الوكالة افتقار الشعب المعني لبعض الامور التي تفرض نفسها للتقدم والرقي، كالمال والاختصاص والقوة» (القوزي، د ت، ص5).

ولكي يتم تجميل الانتداب وطمأنة البلاد المنتدبة من الضم والذوبان في الدول التي انتدبتها اعتمد مبادئ ويلسن التي منعت وحظرت ضم أراضي الدولة المنتدبة إلى

أراضيها، وتعتبر مبادئ ويلسن الأربعة عشر من المبادئ التي تم الاتفاق عليها مع الحلفاء وذلك في مطلع القرن العشرين، في الفترة التي بدأت تتوضح خرائط الدول الحالية(القوزي، د ت، ص5).

وقد ظهرت في تلك الفترة بعض التفاهمات الدولية على طبيعة ومستقبل المنطقة من خلال الحدود أولاً والدول المسيطرة عليها، بحيث كانت بلاد الشام مناطق وولايات تابعة للسلطة العثمانية أرضاً واحدة، إلا أن الدول الاوربية وخاصة بريطانيا وفرنسا عمدت إلى تقسيمها وفرض حدود وإدارات محلية تحت إمرتها ورعايتها وتم تقسيم المناطق بين فرنسا وبريطانيا، وفق اتفاقية سايكس بيكو نسبة إلى طرفي الاتفاقية الإنكليزي والفرنسي.

وقد جاءت التقسيمات على النحو التالي منطقة جنوبية بريطانية (فلسطين)، ومنطقة شرقية عربية (سوريا الداخلية)، ومنطقة شمالية فرنسية (لبنان والساحل السوري). وفي مرحلة لاحقة فُصلت كيليكيا عن الساحل السوري، فدعيت «المنطقة الشمالية». أما ما تبقى من الساحل السوري ولبنان، الى الجنوب، فدعي «المنطقة الغربية». واستمرت هذه التسمية حتى 1920م الفترة التي اعلن فيها دولة لبنان الكبير(الصليبي، 1991، ص206).

ولتجميل الموقف الفرنسي تجاه لبنان عمدت فرنسا إلى ارسال أحد أهم رجالات السياسة في لبنان وهو المحامي إميل إدة على ظهر إحدى بوارجها المتجهة إلى بيروت، وقد كان قد قضى سنوات في باريس بعد نفيه من قبل السلطات العثمانية التي قمعت كل صوت حر في المنطقة، حيث اخذ إده دور المستشار اللبناني لدى المفوض السامي الفرنسي في لبنان إلا أنه لم يبق طويلاً في هذا المنصب بسبب خلافه مع المفوض السامي (الصليبي، 1991، 207).

أعلن الجنرال غورو قيام دولة لبنان الكبير بعد مكوث القوات الفرنسية في لبنان لسنتين وذلك سنة 1920م في الأول من أيلول، من مقر إقامته في قصر الصنوبر في بيروت، وذلك عقب ضم الاقضية الأربعة (حاصبيا، راشيا، البقاع، بعلبك) من ولاية دمشق إلى دولة لبنان الكبير، كيف لا وكانت كل من سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ويقطّعوا اوصالهما كما أرادوا، وقد سبق اعلان دولة لبنان الكبير العديد من القرارات التي تتعلق بضم اقضية وإلغاء أخرى، وقد سبق اعلان غورو هذا قرار متعلق بإنشاء دولة لبنان الكبير في فترة سابقة من هذه السنة (سويد، 2004، ص40).

وقد ضمت دولة لبنان الكبير المناطق الإدارية اللبنانية الحالية وعاصمتها بيروت، وقد اخذت أسماء التقسيمات الإدارية العثمانية حيث سميت المحافظات الحالية بالمتصرفيات، وقد حكم لبنان ككل بواسطة حاكم فرنسي ذي سلطة واسعة، واستمر الامر على هذا المنوال ست سنوات(سويد، 2004، ص41).

وقد تعاقب على الحكم في دولة لبنان الكبير، على مدى ست سنوات، أربعة حكام فرنسيين عيّنهم المفوض السامي وهم الكابيتان جورج ترابو (1920 – 1923)، وبريفات اوبوار (1923 – 1924)، والجنرال فاندنبرغ (1924 – 1925)، وليون كايلا (1925 – 1926). وكان يساعد ترابو في الحكم حتى 1922، مجلس استشاري من سبعة عشر عضواً عينهم الجنرال غورو لتمثيل مختلف طوائف البلاد. وهو يعتبر نواة لمجالس نيابية ذات خلفية طائفية(الصليبي، 1991، ص209).

كما أنشأ الجنرال غورو مجلساً تمثيلياً للبنان الكبير انتخب أعضاؤه بالاقتراع الشعبي في نيسان. وكانت مقاعد هذا المجلس موزعة على أساس طائفي. واجتمع المجلس للمرة الأولى في 20 ايار وانتخب حبيب باشا السعد رئيساً له. وفي السنتين التاليتين تعاقب على رئاسة المجلس مارونيان آخران هما نعوم لبكي في 1923، واميل إده في 1924م (الصليبي، 1991، ص209).

يذكر ان اميل ادة عيّن رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس حبيب باشا السعد، بعد ضغط الذي مارسه الوطنيون اللبنانيون ووحدتهم الوطنية تم تحرير الدستور فرضخ المفوض السامي لجميع المطالب الوطنية، وذلك في كانون الثاني سنة 1936، وكما واجتمع المجلس النيابي وانتخب إميل إده رئيساً للجمهورية خلفا لحبيب باشا السعد (قاسم، 2012، ص69).

ومن أبرز الساسة الذين تولوا مناصب إدارية ورئاسية هامة في لبنان في تلك الفترة الشيخ محمد الجسر كرئيس مجلس الشيوخ، ثم مجلس النواب، من 1926 الى 1932. وبالرغم من الانتقاد الذي وجهه المسلمون إلى الجسر لاشتراكه في الحكومة اللبنانية وتعاونه مع الانتداب، فإن النجاح الذي أحرزه، والسلطة النافذة التي تمتع بها كرئيس للمجلس وكممثل للطائفة الإسلامية في الحكم، أغريا غيره من المسلمين السنيين على الاقتداء به. لكن هؤلاء ظلوا أقلية، واستمرت أكثرية المسلمين تعارض الأوضاع الراهنة. وفيما اقتصر نشاط بعض هؤلاء، وعلى رأسهم عبد الحميد كرامي في طرابلس وسليم

سلام في بيروت، على المطالبة بالاتحاد مع سوريا، ذهب غيرهم، من الجيل الطالع، إلى أبعد من ذلك.

عندما اتخذ «الكونت دي مارتيل» قرارا جزئيا بالعمل بالدستور وذلك في سنة 1934، وكان القرار يقضي بإجراء انتخاب مجلس نواب جديد، ولكن هذا المجلس لم يسمح له بانتخاب رئيس الجمهورية، حيث عيّنت سلطات الانتداب حبيب باشا السعد رئيسا للجمهورية لمدة سنتين. وقد عملت سلطات الانتداب الى تعزيز النعرات الطائفية خاصة عندما يتبين في الأفق توحيد الكلمة بين أبنائه من أجل القضية الوطنية والقومية. وفي تلك الفترة كان السوريون قد أعلنوا الثورة بعد وفاة إبراهيم هنانو وإغلاق مكاتب الكتلة الوطنية واعتقال الزعماء الوطنيين، وقد دعم اللبنانيون هذه الثورة خاصة بعدما يئست من سلطات الانتداب في تحقيق مطالبها (قاسم، 2012، ص68).

يذكر أن الهدف الأساس من الانتداب الفرنسي كما أعلنته فرنسا غير مرة أنها جاءت لحماية اصدقائها الموارنة في الشرق وذلك في مواجهة الخطر القومي العربي الذي دعا إلى الاتحاد مع العرب وذوبان المسيحية في هذا التكتل، حيث أشار الدكتور كمال الصليبي إلى أن فرنسا إنما جاءت لبنان لتحمي أصدقاءها الموارنة وتضمن مصالحهم. وكان الجنرالات الفرنسيون يجولون في المناطق اللبنانية، فيستقبلهم الموارنة بالهتاف وإطلاق الرصاص. فقد كانت فرنسا بحاجة إلى لبنان مسيحي صديق، كمركز ثقل لسياستها في المنطقة، فقد كان الموارنة وسواهم من مسيحيي لبنان يشعرون بحاجة إلى الحماية الفرنسية كرد فعل على القوميين العرب ورغبتهم في الوحدة الشاملة. وبدت هذه الحماية ضرورية، على نحو خاص، في السنوات الأولى بعد الحرب العالمية الاولى حين كان الشريف فيصل وحكومته العربية في دمشق يسيطران على «المنطقة الشرقية» ويناديان بوحدة سوريا العربية(الصليبي، 1991، ص207).

**الفصل الثاني: الآثار الإيجابية والسلبية للانتداب على لبنان**

للوهلة الأولى لا يمكن الجزم بسلبية الانتداب الفرنسي على لبنان وخاصة لناحية التغيرات التطورات التي حصلت في لبنان والمشرق عموماً، فقد انفتح الشرق على الغرب من خلال الاحتكاك بين السلطات الفرنسية من جهة واللبنانيين من جهة أخرى وخاصة في مجال الإدارات والمراكز ذات طابع رسمي، فقد عمدت سلطة الانتداب إلى تعيين مستشارين فرنسيين في كافة مفاصل الحياة الإدارية في لبنان.

لكن في المقابل وعلى الصعيد الإداري على وجه الخصوص فإن تعيين مستشارين فرنسيين في الإدارات العامة، حرم اللبنانيين من فرصة إدارة البلاد والتصرف وفقاً لمصالح البلاد، وإنما وفقاً لمصالح المستعمر الفرنسي، ولم تكن المشكلات تلك تؤثّر على الناحية الإدارية فحسب، بل شملت كافة مناحي الحياة من سياسية واقتصادية واجتماعية.

وفي هذا الموضع لا بد من التنويه إلى الترابط بين الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية على حدٍّ سواء، بحيث لا يمكن فصل جانب عن جانب، والفساد في طرف من هذه المعادلة يؤدي إلى اختلالها بالكامل، وقد تجلى تأثير الفساد أولاً على الجانب السياسي وقد أثّر هذا الجانب بشكل مباشر على الجانب الاقتصادي بطبيعة الحال، كما خلّف آثاراً كارثية على المستوى الاجتماعي والتربوي لما للبنان من خصوصية في الجانب التربوي الذي سأتوسع به لاحقاً.

**أولاً: على الصعيد السياسي**

سعى الجنرال كاترو في أواخر حكمه للبنان كحاكم عسكري إلى طمأنة اللبنانيين والسوريين على حدْ سواء إلى أهمية حصولهم على الاستقلال ووعدهم بالحرية والسيادة وفقاً لما جاء في نص الخطاب الموجه إلى كل الشعبين، وقد أكّد على أن الوجود العسكري لكل من بريطانيا وفرنسا في لبنان وسورية إنما هو وجود أمني لحمايتهما من قوات هتلر ولعدم ترك المجال للألمان بجعل هاتين الدولتين _لبنان وسورية_ منطلقاً للهجوم على الفرنسيين والانكليز (ضاهر، 1977، ص123).

عملت السلطات الفرنسية على مجابهة أي حركة وطنية تنشأ سواء في لبنان او سورية هدفها النيل من المستعمر وطرده، فقد أبعدت السلطات الفرنسية رجالاً وطنيين عاملين كرجال الكتلة الوطنية في دمشق السادة شكري القوتلي وسعدالله الجابري وجميل مردم وفارس الخوري والسادة رياض الصلح والأمير شكيب أرسلان والامير عادل أرسلان وامين الريحاني وعلي ناصر الدين وغيرهم كثيرين في بيروت ودمشق لأنهم كانوا يدافعون عن الوطن ويدعون إلى النهوض والاتحاد والتآخي (حبوش، د ت، ص7).

فقد ارادت من خلال هذه الخطوة منع وقمع أي حركة تحررية في لبنان او سورية، لكن لجأ اللبنانيون إلى العديد من الأساليب على سبيل التخلص من الانتداب فقد طالب اللبنانيون بالممكن، وهو الحصول على قدر أوسع من الاستقلال. بحيث يتسلم مسؤول لبناني مهام الحاكم الفرنسي وأبدى اللبنانيون استعدادا لقبول الإصلاحات الإدارية التي

نوى الفرنسيون إجراءها، والتي عاد الفضل الأكبر فيها إلى روبير دي كيه، الأمين العام للمفوضية الفرنسية في عهدي الجنرال غورو (1919 – 1923) والجنرال مكسيم ويغان (1923 – 1924). وهكذا تمكن الفرنسيون، في السنوات الأولى من الانتداب، من وضع الأسس والقواعد التي قامت عليها الإدارة اللبنانية الجديدة(الصليبي، 1991، ص210).

وقد عملت السلطات الفرنسية على تنظيم الدرك اللبناني الذي أنشئ في عهد المتصرفية، كذلك الامر فصائل الشرطة في بيروت، وهي من مخلفات العهد العثماني. ونشطت قوى الأمن هذه لإعادة الأمن إلى البلاد ووضع حد لموجة الشغب والإجرام التي اجتاحت مختلف المناطق في أعقاب الحرب العالمية الأولى (الصليبي، 1991، ص210).

**ثانياً: على الصعيد الاقتصادي**

لم يكن الجانب الاقتصادي احسن حالاً من الجانب السياسي، فقد عانى اللبنانيون الويلات من جراء الانتداب وما رافقه من جوع وفوضى، نتيجة اهمال السلطات الفرنسية للجانب الاقتصادي من جهة وسيطرة المستشارين الفرنسيين على مقاليد الحكم والسلطة على أرجاء لبنان عامة، الامر الذي انعكس سلباً على الوضع الاقتصادي ككل، ولم يكن الدور الفرنسي إصلاحيا كما يدّعي وإنما هداماً نتيجة لما نشره من فساد اقتصادي، وتوسيعاً لهذه السياسة التي منعت تقدم البلاد في أية ناحية من النواحي التي من شأنها أن تؤدي الى الاستقلال عمدوا التجزئة الاقليمية وتغافلوا عن التطوير الاقتصادي الذي من شأنه أن يؤدي إلى نجاح وتطور، كما نفذوا سياسة جمركية خاطئة واهملوا الاقتصاد الوطني فتسربت أموال اللبنانيين الى الخارج وأسسوا الشركات الاجنبية ومنحوها امتيازات لا يقرها سوى ثلة من الفاسدين من المشرعين وبعض رجال الدين ليتخذوهم عوناً على البلاد وتلاعبوا بالحكم النيابي ليوهموا الشعب بأنه حكم باطل وابتدعوا مشكلة اقلية واكثرية ليتخذوها وسيلة للمشاغبة على الحكم الوطني(حبوش، د ت، 7).

من العقبات التي عرقلت سير البلاد من جميع النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التجزئة الاقليمية التي جعلت من فلسطين دولة ومن شرقي الاردن دولة ومن سورية الداخلية دولة ومن الاسكندرونة دولة ومن جبل الدروز دولة ومن العلويين دولة ومن لبنان دولة، بحيث كانت هذه الدول سيفاً قاطعاً يعمل في جسم هذه البلاد واقتصادها (حبوش، د ت، ص11).

لكن في المقابل عملت السلطات الفرنسية إلى شق الطرق التي تخدم مصالحها بالدرجة الأولى، فقد تم توسيع طريق دمشق بيروت هذا الامر لم يكن ليجمّل الانتداب الفرنسي، فقد كانت سيئاته على الاقتصاد أكبر من أن تُحصى، فقد شهد القطاع الصناعي هجرة العمال وتركهم المصانع نتيجة للأوضاع العامة التي رافقت الانتداب من أوضاع امنية وغلاء معيشة نتيجة فقدان السلع من الأسواق ومرد ذلك بطبيعة الحال إلى تراجع الإنتاج الزراعي، وخاصة الحرير الذي كان ينتج بكثرة في ساحل الشام وخاصة في بيروت، في ظل مزاحمة الحرير الصناعي من جهة وكساد الأسواق وغياب التصدير نتيجة قيود الانتداب(القوزي، د ت، ص265)، فالامر أشبه بعلاقة تأثر وتأثير متبادل ومباشر بين الأوضاع كافة، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحتى العملية.

**ثالثاً: على الصعيد الاجتماعي والتربوي.**

لا يمكن فصل الجانب الاجتماعي والتربوي عن باقي مناحي الحياة في أي مجتمع، فقد شهد لبنان منذ تأسيس دولة لبنان الكبير العديد من المحن والأزمات ويعود بعضها للفترة التي سبقت تأسيسه بنصف قرن وتحديداً حرب ال 1860م والتي خلّفت أثراً كبيراً على مستوى تاريخ لبنان وعلى كافة المستويات، فقد غيرت التركيبة الديموغرافية لبيروت ولبنان من جهة بعد ان كانت بيروت محصورة ضمن السور، وما تلاها من فوضى وتغيرات ديموغرافية وبشرية وظهور احياء جديدة، فضلاً عن نهضة علمية كبيرة بدأت بوادرها مع الارساليات الأجنبية من جهة والنهضة الوطنية التي قام بها عتاة الفكر العربي من مفكرين ومثقفين عاصروا تلك الفترة، وتحديداً النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث شهد ظهور الجامعة الامريكية في بيروت والتي بدأت على يد القس الأمريكي دانيال بلس سنة 1861م وكذلك جامعة القديس يوسف في سنة 1875م(رستم، 1973، ص ص238،112).

في الحقيقة انتشر التعليم الجامعي من خلال الارساليات لكن ماذا عن المدارس؟ فقد كانت المدارس في لبنان في فترة الانتداب الفرنسي على أنواع ثلاثة، الأول مدارس اجنبية وهي مدارس تابعة للإرساليات الأجنبية ذات منهج وأهداف وفقاً للجهة الداعمة لها، وقد نشطت الارساليات الامريكية والأوروبية في لبنان على وجه الخصوص، وتحول بعضها إلى جامعات كما أشرت سابقاً.

والنوع الثاني هو المدارس الوطنية وغالباً ما كانت هذه المدارس ذات طابع ديني طائفي بحيث كل مدرسة تتبع لطائفة ما أو لمذهب ما. فضلاً عن المدارس الرسمية التي كانت تتبع للحكومة، يذكر ان هذا التشرذم التعليمي أثر بشكل مباشر على مستقبل الأجيال من النشئ اللبنانيين، فقد عززت المدارس الأجنبية الحب للغرب وثقافته، في حين بقيت المدارس الوطنية للفقراء من أبناء البلد في ظل وجود الانتداب، فقد كانوا في مهب الريح حالهم كحال الدولة اللبنانية، في تلك الفترة (حنا، 1946، ص44).

ولا بد من الإشارة في معرض الحديث عن الوضع الاجتماعي فقد عانى الوضع الصحي في لبنان في فترة الانتداب من تدهور كبير نتيجة اهمال سلطات الانتداب ومن ورائها ذيوله للجانب الصحي في لبنان، الامر الذي رفع نسبة الوفيات نتيجة نقص الخدمات الطبية والعناية الصحية (حنا، 1943، ص58).

**الخاتمة**

إن تداعي وسقوط الدولة العثمانية أثّر على المنطقة بشكل جذري وكبير من خلال الآثار التي خلفها هذا السقوط، فقد كانت الدول الاوربية حاضرة، تنتظر لحظة حتى تسعى إلى موطئ قدم، وكثرت الاتفاقيات والمعاهدات التي تدعوا إلى اقتسام التركة، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن العرب على وجه الخصوص كانوا على قدر من الضعف بحيث لم يستطيعوا وقتذاك استلام زمام أمورهم والحصول على الاستقلال عن الدولة العثمانية دون الخضوع للانتداب الفرنسي، لكن وللتاريخ فقد حاول العرب فعل ذلك إلا أنهم وجدوا انفسهم معتمدين على الأجنبي من انكليز وفرنسيين في حركتهم تلك، وهناك من يقول بأن الإنكليز هم من حرّك العرب ضد الدولة العثمانية بهدف تسريع سقوطها.

في الحقيقة عملت سلطات الانتداب ما بوسعها للسيطرة على مقدرات البلاد من خيرات وثروات، كما انها عملت على تراجع الصناعات المحلية وشجعت الاستيراد بحيث يعزز التبعية الاقتصادية والسياسية، لكن في المقابل عملت سلطة الانتداب على إيجاد نظم سياسية لحكم لبنان وهي فرصة ذهبية من خلال الانتخابات والسلطة التشريعية والتنفيذية، إلا أن هذه الهيكلية لم يكتب لها النجاح بسبب المستشارين الفرنسيين من جهة وأذناب الانتداب من جهة أخرى الذين سعوا جاهدين إلى تثبيت وإكمال مسيرة سلطات الانتداب.

في المحصلة تعتبر فترة الانتداب حلقة ضمن حلقات التاريخ الطويل إما ان ننتقل للأفضل وإما ان ندع التاريخ يعيد نفسه بأن يخضعنا لسلطة الغير ربما لقرن من الزمن، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن فترة الانتداب قد أطّرت للطائفية في لبنان من خلال شرعنة التوزيع الطائفي فيه، وقد استمر الصراع على الحصص الطائفية إلى أن أتى اتفاق الطائف ورسم الخطوط العريضة للحكم وفق نظام طائفي مقيت.

**المصادر والمراجع:**


1. حبوش، أميل، **أساليب السياسة الفرنسية**، بيروت: دار الأحد، د ت.
2. حنا، جورج، **من الاحتلال الى الاستقلال، بيروت:** مطبعة دار الفنون، 1946.
3. رستم، أسد، **لبنان في عهد المتصرفية**، بيروت: دار النهار للنشر، 1973.
4. سولت، جيرمي، **تفتيت الشرق الأوسط**، ترجمة نبيل الطويل، بيروت: دار النفائس، 2008.
5. سويد، ياسين، **موسوعة تاريخ لبنان السياسي والعسكري**، بيروت: دار نوبليس، 2004.
6. الصليبي، كمال، **تاريخ لبنان الحديث**، بيروت: دار النهار للنشر، 1991.
7. ضاهر، مسعود، **لبنان الاستقلال والميثاق والصيغة**، بيروت: معهد الإنماء العربي، 1977.
8. قاسم، طارق، **تاريخ لبنان المعاصر**، المؤلف، 2012.
9. القوزي، محمد علي، **لبنان في ظل الانتداب الفرنسي**، القاهرة، جامعة القاهرة، د ت.
10. الهاشم، ريمون، **الانتداب الفرنسي على لبنان**، بيروت، منشورات الجامعة الأنطوانية، 2007.



# 2 – مقال مراجعة موضوع: معاملة الحاكم بأمر الله الفاطمي لأهل الذمة في مصر

(386. 411هـ/ 996 . 1021م)

Al–Hakim’s treatment of the Fatimid people of the dhimmis

in Egypt

(386–411 AH / 996–1021 AD)




**بقلم م. د. نضال غالي يوسف**

المديرية العامة لتربية محافظة النجف الأشرف

**PHD. Nidal Ghali Youssef**

Directorate General of Education Najaf Governorate

alshafeayanidhal@gmail.com



**الملخص :**

الذميون هم سكان مصر من اليهود والنصارى الذين بقوا على دينهم مع ظهور الإسلام وعاشوا بأمان مع المسلمين، ولكن قيل في زمن الحاكم الفاطمي إن معاملتهم تغيرت، حيث ألزمهم بارتداء الملابس، بزاتهم الرسمية، ويحملون الصليب على أعناقهم، ويقتلون الفاسدين بينهم من موظفي الدولة.

**الكلمات المفتاحية :** اهل الذمة، الحاكم بأمر الله، القاهرة، عيسى بن نسطورس النصراني، ابو ركوة.

**Summry:**

The dhimmis are the inhabitants of Egypt of Jews and Christians who remained on their religion with the advent of Islam and lived safely with the Muslims, but it was said during the time of the Fatimid ruler that their treatment changed, as he obliged them to wear their own uniforms, carry the cross on their necks, and kill the corrupt among them among the state employees.

**Keywords:** Ahl al-Dhimma, al-Hakim bi-Amr Allah, Cairo, Issa bin Nestorius al-Nasrani, Abu Rakwah.

**مقدمة:**

أهل الذمة لغة : من الذماء وتعني ممدود بقية النفس او الروح في المذبوح.

وأهل الذمة هم اهل العقد والأمان الذين دفعوا الجزية فأمنوا على دمائهم واموالهم .

اطلق عليهم بأهل الذمة لان الانسان يُذم على اضاعته منه وهذه طريقة مستعملة عند العرب، وظلوا على هذا الحال يمارسون اعمالهم حتى مجيء الفاطميين الى مصر سنة (358هـ/969م)، فأصبحوا في حالة من الهلع والخوف على انفسهم من اراقة دمائهم، ولكن عندما قرأ عليهم جوهر الصقلي (ت 382هـ/992م)، قائد الجيوش الفاطمية كتاب امان الخليفة المعز الفاطمي (362هـ . 365هـ/972. 975م)، الذي جاء فيه ابقاؤهم على ما كانوا عليه عندها شعروا بالاطمئنان وعادوا الى ممارسة حياتهم الطبيعية اليومية، كما كانوا في السابق حيث كان اغلبهم يعملون في الوظائف الادارية المختلفة للدولة.

وزيادة على هذا فقد تعاطف معهم الخلفاء الفاطميون ونال بعضٍ منهم الحظوة عندهم وذلك حينما قلدوهم مناصب عليا في الدولة الفاطمية الجديدة ولاسيما الخليفة العزيز الفاطمي(365-386هـ/975. 996م) ، الذي تزوج بامرأة نصرانية فجعل أخويها بطريركين ملكيين وهم أريستس بطريركاً على بيت المقدس حيث امضى فيها مدة 20

سنة ومات هناك، والثاني ارسانيوس مطراناً على القاهرة ومصر معاً ، وجعل عيسى بن نسطورس النصراني وزيراً له للنظر في الامور ولقبه بـ ( سيدنا الأجل )، وولى منشا اليهودي ولاية الشام .

اما احوالهم في عهد ولده الحاكم بأمر الله الفاطمي (386. 411هـ/996. 1021م)، فقد رويت بإجماع المؤرخين الذين دونوا سيرته وقالوا عنها انها من اعجب السير ابتداء بالمؤرخ النصراني يحيى بن سعيد الانطاكي(ت 458هـ) الذي كان معاصراً لعهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي ودون احداث عصره معتمداً على مشاهداته.

فقد ذكروا ان معاملته ليس لأهل الذمة فحسب انما لعامة الناس كانت متضادة او متناقضة، وذلك لأنه كان يخترع في كل وقت احكاماً يحمل الناس على العمل بها قسراً فمن جملة ما ذكروه عن احوال اهل الذمة وتعامل الخليفة معهم ففي سنة 395هـ، أنه قرئ سجل باسم الحاكم في الجوامع يأمر به اليهود والنصارى بشد الزنار على اوسطهم ولبس الغيار وشعارهم بالسواد، وامر النخاسين بعدم بيع العبيد والإماء من المسلمين لأهل الذمة.

وفي سنة 397هـ، منع النصارى من تزيين كنائسهم في ليلة عيد الشعانين وهو من مواسم النصارى بمصر. وفي سنة 402هـ، امر الحاكم مرة اخرى بمنع النصارى من الاجتماع في عيد الصليب وان يظهروا بمظهر الادب والاحترام حينما يذهبون الى الكنائس.

وفي سنة 403هـ، امر النصارى الا الحبابرة بلبس العمائم السود والطيالسة السود وان يعلق النصارى في اعناقهم صلبان من خشب طولها ذراعاً وزنه خمسة ارطال، وان يحمل اليهود في أعناقهم قرامي وزن كل قرمة خمسة ارطال، وان يكون سروجهم من الخشب ولا تكون محلاة بل تكون بسيور سود ويركبون البغال والحمير ولا يركبوا الخيول، ومنع المكاريون من حملهم مع المسلمين ولا يركبون النيل مع نواتية مسلمين، ولا يركبون بهيمة في الاسواق، ولا يدخلوا مع المسلمين حماماً وجعل لهم حمامات خاصة بهم وان يكون مع اليهودي جرس ومع النصراني صليب، ومنع خروج النساء من بيوتهن قاطبة. وليس هذا فحسب انما جعل الحاكم الفاطمي لليهود حارة زويلة خاصة بهم يسكنون بها وامرهم ان لا يخالطوا المسلمين في حاراتهم .

وامر الحاكم بأمر الله الفاطمي ايضاً في سنوات متعددة بهدم الكنائس النصرانية في مختلف حارات مدينة القاهرة، والاهم من ذلك انه امر بهدم كنيسة القمامة او القيامة في سنة 408هـ، ولكن الاعجب انه امر بإعادة بنائها ورد مقتنياتها اليها.

القرارات الصادرة من الحاكم الفاطمي بحق اهل الذمة جعلت اغلب المؤرخون الذين كتبوا سيرته يعللون سبب ذلك هو اصابته بسوء المزاج المرضي في دماغه الذي احدث له ضرباً من ضروب المالنخوليا وفساد الفكر منذ حداثته. ويعني هذا انهم ألصقوا به مرض انفصام الشخصية وقالوا عنه انه مجنون لأنه يفعل اشياء لا تقع الا من المجانين الذين في عقلهم خلل، وليس هذا فحسب انما اتهموه بسفك الدماء وقتل النفس المحترمة.

ولكن الحقيقة خلاف لذلك لأن الخليفة الحاكم بأمر الله عندما كتب عنه المؤرخ بن اياس (ت 930هـ) قال: عرف عنه بإظهاره العدل بين الرعية وسار في الناس بسيرة حسنة على طريقة والده العزيز فلم يكن مجنوناً وليس لديه اية انفصام بالشخصية ولم يكن مصاباً بأي مرض وانما اقدامه على اتخاذ مثل هكذا قرارات سريعة كانت له مبرراته في اصدارها ، باعتباره الخليفة والحاكم للبلاد الذي عاش الاحداث في جوٍ مشحون بالفتن والاضطرابات وانحلال المجتمع وفساده اخلاقياً وادارياً وفضلاً عن هذا ظهور الحركات والثورات كثورة ابي ركوة سنة 396هـ، والمعتقدات كظهور الدرزي الذي ادعى ربوبية الحاكم الفاطمي سنة 408هـ، تلك العقائد التي لم تكن موجودة في المجتمع المصري مسبقاً، فمثل هكذا اوضاع كان على اي حاكم للبلاد بغض النظر عن الخليفة الحاكم الفاطمي ان يتخذ إجراءات مشددة تعمل على اصلاح المجتمع واستقامته وارجاعه على ما كان عليه في السابق، وانقاذ الدولة ومن الانهيار والسقوط .

ومن الملحظ ان والده العزيز بالله قد اتخذ إجراءات مماثلة له حينما بلغه تمادي اصحاب المناصب من اهل الذمة وازدياد جورهم واذاهم على المسلمين كافة في مصر مما ادى هذا الامر الى ان يشكوا اهل مصر للخليفة من افعالهم فقاموا بعمل دمية من القراطيس ووضعوا في يدها رقعة مكتوب فيها بالذي اعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى واذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتي فعرف العزيز المغزى من رسالة الناس اليه، فأرسل بطلب عيسى واخذ منه ثلاثمائة دينار واخذ من منشا مالاً كثيراً وارجعه لأصحابه، حيث حاول اصلاح بعض الشيء لأن سياسته كانت قائمة على التسامح والعفو عن الاخرين وعدم التفرقة بين اهل الذمة والمسلمين .



وحذا الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي حذوه والده العزيز بالله في ادارة البلاد حيث اقر جميع موظفي الدولة من اهل الذمة على وظائفهم، ولم يحدث التغير الا لمقتضيات المصلحة العامة فمثلاً اقر عيسى بن نسطورس النصراني في وظيفته في الديوان الخاص في سنة 375هـ ولكن المغاربة رفضوه وطلبوا من الحاكم الفاطمي تعين شخص منهم يكن له منصب الوساطة بينهم وبينه، فاستجاب لطلبهم وعين ابا محمد الحسن بن عمار بدلاً عنه.

ولكن تمادي عيسى بن نسطورس النصراني بالظلم وزيادة الضرائب والمكس على الناس جعل الحاكم الفاطمي يقدم على قتله سنة 375هـ، كي يكون عبرة لغيره ولا يتجرأ اي موظف على الفساد المالي او الاداري.

وروى المؤرخ المقريزي انه قتل مدبر امور دولته الاستاذ برجوان الصقلي الذي حكم نيابة عنه وذلك بسبب تقصيره في خدمته وتشاغله بملذات الحياة وحبه للرقص والغناء وذلك في سنة 390هـ، وعين بدلاً عنه الرئيس فهد بن ابراهيم النصراني نيابة عنه.

تلك العقوبات الصارمة بحق الموظفين الجناة جعلت جميع موظفي الدولة يخافونه ويخشونه ويطلبون العفو منه مما حدا بالحاكم الفاطمي ان يكتب لهم كتب امان نسخة للمسلمين ونسخة امان اخرى للنصارى ونسخة ثالثة لليهود وذلك في سنة 395هـ.

ولم يتوقف الحاكم الفاطمي عن تعيين الموظفين النصارى في وظائف الدولة المهمة ففي سنة 394هـ، عين ابو يعقوب بن نسطاس النصراني طبيباً خاص له، وعين ابا نصر بن عبدون النصراني الكاتب ديوان الخراج وافرده فيه دون ان يجعل له شريك ، وليس هذا فحسب انما اعطاه امتيازات كثيره لم يعطيها لأحد قبله فقد لقبه (بثقة ثقات السيف والقلم) ، وذلك في سنة 400هـ.

وفي سنة 401هـ، ولى زرعة بن عيسى بن نسطورس النصراني الوساطة ولكنه مات بمرض سنة 403هـ، ولولى موته لقتله الحاكم لأنه قال عنه انه افسد دولتي وخانني ونافق عليّ.

ومن إجراءاته الاخرى مع اهل الذمة انه في سنة 397هـ، منع تزيين كنائسهم التي اعتادوا عليها وكان ذلك بسبب شدة الغلاء التي عانت منها البلاد آنذاك فطلب منهم التقتير بالمال للاستفادة منه بتلك الشدة من غلاء الاسعار.

وفي سنة 402هـ، امر بتتبع المنكرات ومنع النصارى منها عند اجتماعهم في عيد الصليب وان يذهبوا الى كنائسهم من دون تلك المنكرات.

وروى المؤرخ ابن ايبك الدواداري، في مؤلفه الدرة المضية، أنه أمر بهدم كنائس وبيع اهل الذمة، ولكن كانت له مبرراته في ذلك وهي ان هذه الكنائس كانت بجوار المساجد فأراد توسيع المساجد وابعاد الكنائس عنها.

واما كنيسة القمامة او القيامة في بيت المقدس التي امر بهدمها سنة 408هـ، فكانت مبرراته في ذلك هو اجتماع الناس فيها بعيد الفصح وهم يحملون الصلبان ويعلقون القناديل في المذبح ويتحايلون بإيصال النار اليها من خلال خلط دهن البيلسان مع الزئبق فيحدث لها ضياء يظن الذي يراه انه نار نزلت من السماء فانكر ذلك الحاكم الفاطمي عليهم وامر بهدمها وهدم جميع الكنائس في البلاد ولكن رجع في قراره خوفاً من ان يقوم النصارى بهدم مساجد المسلمين في البلاد فتوقف عن هدمها ، وامر ببناء جميع الكنائس التي هدمت ورد مقتنياتها اليها وذلك في سنة 410هـ.

اما إجراءاته التي اتخذها بشأن زي اهل الذمة الذي شدد على الالتزام به، وامر اناس بتتبعهم فهي إجراءات طبيعية لم تكن مستحدثة فقد اتخذها بحق اهل الذمة الحكام الذين سبقوه وخير مثال على ذلك هو ما ذكره المؤرخ ابن عبد الحكم في فتح مصر (ت 257هـ)، كتاب الخليفة عمر بن الخطاب (13. 23هـ)، الذي رواه عن عبد الله بن عمرو جاء فيه : **أن يختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الأكف عرضا** ولربما تكون إجراءاته تلك تمييزاً لهم عن غيرهم من المسلمين، وان الحاكم الفاطمي شدد على زيهم لنفس السبب، وذلك لأن في عهد الحاكم كثر الاشرار والعابثين بأمن المدينة حتى انهم وصلوا الى خطف النساء من الطرقات او لكثرة الثورات ضده فأراد تميز اهل الذمة عن المسلمين لمعرفتهم بسهولة.




## المصادر والمراجع

1. ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي المصري (ت257هـ)، فتوح مصر واخبارها ، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر (بيروت . 1996).

2. ابن فارس، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت395هـ)، معجم مقايس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر (بيروت . 1979).

3. الانطاكي، يحيى بن سعيد (ت 458هـ)، تاريخ الانطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر جروس برس (بيروت . 1990) .

4. ابن الصيرفي، امين الدين ابو القاسم علي بن منجب (ت 507هـ)، الاشارة الى من نال الوزارة، تحقيق: عبد الله مخلص ، نشر خزانة الكتب الخالدية (القدس . بلا . ت ) .

5 . ابن الاثير، ابو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت637هـ) ، الكامل في التاريخ، تحقيق : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية (بيروت . 1987) .

6. ابن خلكان، شمس الدين ابو العباس احمد بن محمد بن ابي بكر(ت 681هـ) ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر (بيروت . 1994) .

7. ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت 685هـ)، تاريخ مختصر الدول، تحقيق : الاب انطون صلحا ، دار المشرق (بيروت . 2007) .

8. ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي بن موسى بن محمد (ت 685هـ)، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق : حسين نصار، طبع دار الكتب (بيروت . 1970) .

9. ابن منظور، محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت 711هـ)، معجم لسان العرب، تحقيق: اليازجي واخرون دار صادر(بيروت . بلا . ت) .

10. الصفدي، الحسن بن ابي محمد (ت 717هـ)، ملوك مصر من الطوفان الى الناصر بن قلاوون المعروف بـ (نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك ، تحقيق: محمد سيد عبد الوهاب، دار الحديث (القاهرة . 2007) .

11. ابن ايبك الدواداري، ابو بكر عبد الله (ت 736هـ)، الدرة المضية في اخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، نشر المعهد الالماني للأثار(القاهرة . بلا . ت ).

12. الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة (بيروت . 1993) .

13. المقريزي. تقي الدين احمد بن علي (ت845هـ)، اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، نشر لجنة احياء التراث الاسلامي، ط2 (القاهرة . 1996) .

14. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بـ (الخطط المقريزية ) ، تحقيق: محمد زينهم و مديحة شرقاوي، مكتبة مدبولي (القاهرة . 1998).

15. ابن تغري بردى ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن عبد الله (ت 874هـ)، النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب (القاهرة . بلا . ت ) .

16. ابن اياس، زين العابدين محمد بن احمد الحنفي (ت 930هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، (بلا . مـ بلا . ت ) .

17. حسن، ابراهيم حسن، الفاطميون في مصر واعمالهم السياسية والدينية، المطبعة الاميرية (القاهرة . 1932).

18. الروضان، عبد عون، موسوعة تاريخ العرب، الاهلية للنشر، ط3 (الاردن . 2009) .

19 . دعكور، عرب، تاريخ الفاطميين والزنكيين والايوبيين والمماليك وحضارتهم، دار النهضة العربية (بيروت . 2011) .

# 3- السياسات البريطانية في المغرب الأقصى بين الأهمية الجيوبولتيكية والمصالح الاقتصادية(1893-1886)

# British policies in the Far Maghreb between geopolitical importance and economic interests (1886-1893)



**بقلم الأستاذ المساعد الدكتور: أنور فاضل الخالدي**

باحث في التاريخ الاقتصادي والعلاقات الدولية

في وزارة التربية العراقية / الترقيات

abo.alanwer@gmail.com

**ملخص الدراسة**

ترصد هذه الدراسة الحراك البريطاني في المغرب في المدة بين عامي (1886-1892)، العقد معاهدة جديدة بينها وبين المغرب الأقصى والذي ترافق مع تركيز الرأسمالية البريطانية على المغرب الأقصى، خاصة مع توسيع تجارتها واستثماراتها في شمال أفريقيا، ترافق مع ذلك تنافس أوروبي اقتصادي وسياسي ودبلوماسي، وكذلك استهداف الرأسمالية البريطانية للمغرب للحصول على المواد الخام الضرورية لصناعاتها من جهة ومحاولاتها لتشجيع المغرب على القيام بإصلاحات إدارية وسياسية وعسكرية من أجل تفادي السقوط فريسة في أيادي خصومها الفرنسيين بتقوية البلاد اقتصاديا وتشجيع المبادلات التجارية الحرة مع الخارج وتعزيز الموارد المالية بالعملة الأجنبية

من جانب أخر.

وهكذا كانت بريطانيا تعتمد على سياسة اقتصادية في المغرب الأقصى أساسها السيطرة، وفرض الهيمنة على النقاط البحرية المهمة كطنجة وجبل طارق، والاستعمار والتوسع في نفوذها التجاري، والقوة الاقتصادية. إذا دخلت بريطانيا في حمى التنافس الرأسمالي، وراحت تسعى إلى إيجاد نقاط تمركز اقتصادية تتمثل بالسيطرة على المواد الأولية التي تحتاجها الصناعات البريطانية.

**مصطلحات الدراسة :**سياسات – المعاهدات – الرأسمالية – التفاوض – الجيوإستراتيجية – الحمايات القنصلية – الاستعمار – التنافس.

**Abstract:**

This study monitors the British movement in Morocco in the period between (1886–1892), the conclusion of a new treaty between it and the Far Maghreb, which coincided with the focus of British capitalism on the Far Maghreb, especially with the expansion of its trade and investments in North Africa, accompanied with that European economic and political competition And diplomatic, as well as British capitalism targeting Morocco to obtain the raw materials necessary for its industries on the one hand, and its attempts to encourage Morocco to carry out administrative, political and military reforms in order to avoid falling prey to its French opponents by strengthening the country economically, encouraging free trade exchanges with abroad and strengthening financial resources in foreign currency on the other hand.

Thus, Britain relied on an economic policy in the Far Maghreb based on control, imposing hegemony on important maritime points such as Tangiers and Gibraltar, colonization and expansion of its commercial influence and economic power. If Britain entered into a fever of capitalist competition, and started



seeking to find geographical and commercial concentration points that would be a focal point for control and expansion in the Far Maghreb.

**Terminology of study:** Policies - Treaties - Capitalism - Negotiation - Geostrategic - Consular Protections, Colonialism – Rivalry.

**أولا. المقدمة :**

تعد دولة المغرب في القرن التاسع عشر من الدول التي حظيت باهتمام عالمي كبير، بحيث إنها لم تغب عن سياسات الدول الكبرى، نظراً لأهميتها الجيو إستراتيجية للعديد من الدول الأوروبية. إذا نجد القنصل البريطاني «جوني دراموند هاي» John (Drummond ) يحاول إقناع المخزن –الحكومة المغربية – بتجديد عقد معاهدة مع بريطانية تحل محل معاهدة 1856 [(1)]، وقد كتب في مذكرة أرسلها إلى وزارة الخارجية البريطانية تتضمن الدعوة إلى ما يشبه تدويل مساءلة المغرب بالتعاون مع بقية الدول الأوروبية للضغط وفرض الإصلاحات على السلطان، ولم تتردد الدبلوماسية البريطانية في تكوين جبهة موحدة تضم إسبانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ضد المخزن لحمله على الرضوخ لضغوط جماعية مارستها عليه دول حجتها العلنية الإصلاح وخفاياها اقتسام المصالح والنفوذ والحصول على المزيد من المكاسب.

وهكذا بعد مجيء وليام كربي كرين «William Kirby Green»[((2))] للمغرب سعى لعقد معاهدة جديدة مع المغرب وقد أكد لوزير الخارجية البريطاني سالزبوري أن المغرب تتمتع بالعديد من الخيرات ووضعية جغرافية جغرافية لا تتمتع بها إلا قليل من بلدان العالم .

(1) J.P. Taylor, British Policy in Morocco, 1886-1902, English Historical Review, v.66.July 1955 (1) .P344.

(2) وليام كربي كرين: وهو مبعوث خاص ووزير مفوض وقنصل عام بريطاني في مدينة طنجة المغربية ولد في اليونان عام 1836، وهو ابن جون كرين الذي عمل سنوات طويلة قنصلا بريطاني في العديد من الدول، وسبق ان تقلد مهام قنصلية منذ عام 1959، تاريخ تعيينه كاتبا خاصا لجون دراموند هاي في طنجة. لمزيد من التفاصيل ينظر

J.A.S. Greneville, Lord Salisbury and Foreign policy: The close of the Nineteenth Century, London, 1964, reis sued 1970, Gwendolen Cecil, Life of Robert, Marquis of Salisbury, 4 vol 1921-32. Reprinted 4 vol. in 2, 1971, Robert Taylor, lord Salisbury, 1975.

كان «وليام كربي كرين» يرغب في صياغة معاهدة جديدة ترفع إلى سلطان المغرب حتى يقبلها دون قيد أو شرط، واقترح أن يستفاد في صياغتها من مسودة معاهدة التي رفعها ممثلو بريطانيا وفرنسا وألمانيا إلى مولاي الحسن عام 1886، ورفضها. ويمكن لو تمت المعاهدة تحقيق ثلاثة مميزات أساسية :

أ- دخول المغرب في عهد جديد من الإصلاح والتقدم.

ب- أن تجعل تلك المعاهدة المعارضين لوجود علاقات تجارية موسعة للمغرب مع الخارج.

ج- أن تكون بريطانية صاحبة مبادة وقرار في المساءلة المغربية.

وتقلى سالزبوري هذه الاقتراح بكثير من التحفظ ،فعبر عن اعتقاده أنه ليس مرغوبا فيه تقديم اقتراح للقيام بعمل جماعي في هذا الصدد دون أن تكون هناك فائدة. وفي الوقت نفسه سمح لكرين بأن يجري مناقشات غير رسمية لمعرفة وجهات نظر ممثلي فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا المعتمدين في طنجة حول الموضوع[(1)].

**ثانياً، الاتفاقية الألمانية –المغربية وأهميتها الاقتصادية :**

بدأت ألمانيا تزيد نفوذها في المغرب الأقصى تدريجيا ، وكان ممثل ألمانيا «ططنباخ» في طنجة يقوم بتحركات نشطة داخل المغرب الأقصى. حاول ممثل بريطانيا «كربي كرين» بفتح أبواب التعاون مع ألمانيا وإيجاد اتفاق للتعاون بينهم، وأطلع» كربي كرين» «ططنباخ» على تقرير غرفة التجارة الإسبانية في طنجة واقترح «كربي كرين» على الأخير أن يبلغ السلطان المغربي الحسن في الزيارة المقبلة له في فاس بضرورة إجراء مفاوضات متعلقة بتوقيع معاهدة تجارية مع الدول الأوروبية صاحبة المصالح في المغرب الأقصى، ولكن ططنباغ حاول التأكيد لكربي كرين اقتناعه بأن لا جدوى من مفاتحة السلطان في الموضوع، ثم أضاف بأن زيارته إلى السلطان الحسن في فاس لا تعدو أن تكون زيارة مجاملة، ولمح «ططنباخ» إلى «كربي كرين» أنه من الأفضل تجنب إثارة موضوع المعاهدة التجارية أثناء وجوده في فاس، وعلى الرغم من ذلك حرص ططنباخ على الحصول من كربي كرين على نسخة من تقرير الغرفة التجارية الإسبانية بحجة أنه كان عازما على نقل فحواه إلى السلطان الحسن وتحذيره من الرفض

(1) خالد بن صغير، بريطانية وإشكالية الإصلاح في المغرب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2011، ص30 .

للمقترحات التي عرضتها كل من بريطانيا وفرنسا والمانيا منذ عام [1]1886، كانت مفاجأة «كربي كرين» كبيرة جدا عندما سمع بعد عودة «ططنباخ « من فاس قي 9 يونيو 1890، بأنه نجح في عقد معاهدة تجارية ثنائية بين ألمانيا والمغرب الأقصى، وعلى أثر ذلك أبرق كربي كرين إلى وزارة الخارجية البريطانية يخبرهم فيها بتفاصيل المعاهدة وبأهم التنازلات التي حصلت عليه ألمانيا من المغرب الأقصى بموجب تلك المعاهدة، وليؤكد أن الحكومة الألمانية لن تصدق على نص المعاهدة المبرمة إلا بعد موافقة بقية الدول الأجنبية المهتمة بالمغرب الأقصى على مضمونها.

وعقد اجتماع بين «ططنباخ» و «كربي كرين» في الحادي عشر من يونيو 1890، ليطلعه على تفاصيل مباحثاته، فأكد له أن مدة مكوثه في فاس طالت أكثر مما توقعه، وأنه بسبب مكوثه في فاس استطاع عقد اتفاقية تجارية متواضعة مع السلطان من ثمانية فصول فقط واستطاع «ططنباخ» أن ينتزع موافقة مغربية على السماح بتصدير مادتي القمح والشعير لمدة خمس سنوات، برسم لا يتعدى خمسة عشر ريالا عن كل فنيكة من القمح وثمانية ريالات عن كل فنيكة من الشعير. وعلى الرغم من رفض سلاطين المغرب الأقصى في السابق السماح بتصدير مواد حيوية كالحبوب، أثنى كربي كرين على «ططنباخ» على ما حققه من نجاح، وعبر عن تفاؤله بأن السلطان المغربي قد يوافق على عقد معاهدة مع الدول الأوروبية الأخرى([2]).

وهكذا نجد ان سلطان الحسن قدم إلى ألمانيا تنازلات مهمة، ومع تلك التنازلات التي حصلت عليه ألمانيا وبقية الدول المتعاملة مع المغرب الأقصى لم توقف الدول الأوروبية ضغوطها من أجل عقد معاهدة جديدة على أساس مقترحات عام 1886، ولا شك ان موافقة السلطان الحسن على مقترحات «ططنباخ» وإبرامه معاهدة جديدة مع ألمانيا وفي الوقت الذي كان يرفض فيه المقترحات البريطانية والفرنسية والاسبانية يرجع إلى سببين الأول، محاولة السلطان إعطاء نفوذ الألمان ومكانه في المغرب في محاوله منه لوقف المطامع الفرنسية والاسبانية محاول إيجاد توازن دولي في المغرب الأقصى. ثانيا، رغبه السلطان الحسن الثاني في الحصول على المساعدة العسكرية والاقتصادية الألمانية في إصلاحات المغرب الأقصى ، ومما يؤكد هذا التوجه المراسلات المتبادلة

(1) Pierre Guillen, L’Allemagne et le maroc de 1970-1909, Paris, 1967, p 209-216.

(2) التايمز أوف مروكو، 30 غشت( أغسطس) 1890، تجارة الحبوب وشروع التجار الألمانيين في تخزينها لفائدتهم بالمراسي استعدادا لتصديرها.

بين المخزن المغربي ومفوضية ألمانيا في طنجة إذ أصبح «ططنباخ» يحظى بثقة كبير عند السلطان الحسن، فبدأ يستشيره في القضايا المغرب الأقصى الخارجية[(1)] .

**ثالثا.الرأسمالية البريطانية ومصالحها في المغرب الأقصى :**

بدأت بريطانيا تعمل على تعزيز مصالحها الاقتصادية والإستراتيجية في المغرب الأقصى تصاعديا في خاصة مع زيادة نفوذها التجاري المتمثل في نجاحها في مد خط تلغراف بين طنجة وجبل طارق، ولكن هذا لم يكن كافيا للتجار البريطانيين الذين طالبوا حكومتهم بتقديم دعم اكبر في ظل الدعم الحكومي القوي الذي تقدمه كل فرنسا والألمانية، واسبانية، وايطاليا إلى شركاتها الموجودة في المغرب واستدلوا على ذلك بانخفاض قيمة واردات المغرب الأقصى من بريطانيا من 626.911 جنيه إسترليني عام 1884، إلى 717.293 في عام 1889، ثم عللوا تراجع نفوذ بريطانيا في المغرب الأقصى بسبب عدم وقوع تغيير في سياساتها في ظل زيادة المنافسة الأوروبية ودخول ألمانيا كمنافس على الساحة المغربية.

وتحت ضغط متزايد من التجار البريطانيين المطالبين بتعيين ممثلا جديدا – بعد وفاة كربي كرين – لا تربطه قرابة بالأطر القنصلية والدبلوماسية التقليدية والموجودة في المغرب الأقصى، وقع اختيار وزير خارجية بريطانيا «سالزبوري» على «تشارلز بين إيوان سميث »[(2)] Charles Bean Euan – Smith وقبل تسلم مهامه الجديدة في طنجة زوده سالزبوري بتعليمات عامة في مذكرة قصيرة بتاريخ 16 ماي 1891، وفرض عليه قبل أن يتسلم مهامه الحضور في اجتماع نظمته الغرفة التجارية في مانشستر يوم 18 أكتوبر 1891 وشارك في هذا اللقاء كل من مدير الغرفة التجارية والعديد من رجال الأعمال والبرلماني «هنري لي» ( Henry Lee) إلى جانب عدد من التجار المهتمين بالمبادلات مع المغرب والمساهمين و بعد أن قدم «تشارلز بين إيوان سميث» إلى الحاضرين ممثلا عن بريطانيا في المغرب الأقصى طلب منهم الإدلاء

---

(1) خالد بن صغير ، بريطانية وإشكالية الإصلاح، المرجع السابق، ص 34–33 .

(2) تشارلز بين إيوان سميث: وهو ضابط متقاعد شارك في حروب ومعارك استعمارية كثيرة قبل أن يلتحق بالسلك الدبلوماسي في بلدان إسلامية ومنها زنجبار وقبل تعيينه وزيراً مفوضاً وقنصلاً عاماً لبريطانيا في المغرب عام 1891 لمزيد من التفاصيل ينظر

R.L. Playfair and Robert Brown.A Bibligraphy of Morocco, from the Earliest Times to the End of 1891, Royal Geographical Society, Supplementary Papers, Vol. 3. London, 1893 .



له باقتراحاتهم المتعلقة بالقضايا ذات الاهتمام المشترك مع التركيز على المجالات التي تدعو الحاجة إلى معالجتها وإيجاد حلول عاجلة لها لخدمة وجودهم الاقتصادي في المغرب. وكان أول المتحدثين هو «كارفر» ( Carver) أحد المهتمين باستيراد الحبوب والقطاني المغربية إلى بريطانيا، فأثار قضية ارتفاع الرسوم الجمركية، ودعا إلى ضرورة تخفيضها. كما أثار الانتباه إلى أهمية العناية بتطوير و القطن في أراضي المغرب الساحلية والداخلية، ودعا إلى تعديل البند الخامس من اتفاقية 1856، لتمكين الرعايا الأوروبيون من التوجه بحرية إلى المناطق الداخلية والمشاركة في تنشيط التجارة والفلاحة في أراضيها.

وفي نفس السياق ذكر التاجر «بليش » (B. J. Belish )، أن الأوروبيين يتمكنون من ابتزاز الأموال من سكان المغرب كلما حل بينهم نزاع، بفضل مساندة القنصليات الأجنبية لهم، مما جعل المخزن يرتاب من مد خطوط السكة الحديد والتلغراف. ودعا إلى ضرورة الاقتداء في المغرب بما أحدث في مصر من محاكم دولية يكون الهدف منها طمأنة السكان المحليين على حقوقهم العادلة بعيدا عن نزوات موظفي المخزن ودسائس عدد من الانتهازيين والمغامرين العاملين في بعض القنصليات الأجنبية مما يؤدي إلى زيادة التجارة، ثم بعد ذلك تحدث التاجر اليهودي «ناهون» (A. Nahon)، عن انشغال القناصل البريطانيين بقضايا التجارة لتحقيق أرباح شخصية غير مشروعة، بعدها اشتكى «موراي» (WMurray) ، من عدم تحصيل التجار البريطانيين لديونهم بسبب شراء المدنيين للحمايات من قناصل يمثلون دولا أخرى للتهرب من تسديد تلك الديون. بينما ذهب التاجر كارسون إلى عكس ذلك، فأكد أن تجربة أسرته التجارية في المغرب علمته استحالة الاستغناء عن الحماية القنصلية لتيسير التجارة وبعد الاستماع إلى أصحاب هذه التدخلات، أجاب «تشارلز بين إيوان سميث» الحاضرين بأن هناك طرقا عديدة لمعالجة القضايا الملحة. وأخبرهم بأنه قد اجتمع في مناسبات كثيرة مع جون دراموند في بريطانيا، فاستفاد كثيرا من توجيهاته وملاحظاته النابعة من تجربته الطويلة في المغرب الأقصى، ووعدهم بأن يعمل ما في وسعه، تطبيقا لتعليمات وزارة الخارجية البريطانية، واستجابة لاقتراحات رجال الأعمال والتجار الدم لتعزيز مصالحهم التجارية في المغرب. وختم «تشارلز بين إيوان سميث» كلمته بإبراز قيمة الدور الذي تؤديه الغرفة الـ مانشستر إلى جانب غرف تجارية أخرى، لترويج مصنوعات بلادهم وتقوية

الاقتصاد البريطاني في كل أنحاء العالم [(1)]. وأعربت صحيفة التايمز أوف مروكو – المتحدثة باسم البريطانيين في المغرب الأقصى– عن أملها في ان يكون الوزير المفوض الجديد صارما في التعامل مع المخزن، وقادرا على تلقينه درسا شبيها بما لقنه إلى دولة زنجبار، خاصة في ما يتعلق بالإيفاء بالالتزامات الموجودة في نصوص المعاهدات، وتعزيز العلاقات الودية مع الرعايا البريطانيين المتاجرين مع المغرب الأقصى، ويثبت بطريقة حازمة أهمية المصالح البريطانية وقوتها [(2)] .

**رابعاً. إستراتيجية تشارلز بين إيوان سميث في المغرب الأقصى :**

اعتمدت إستراتيجية «تشارلز بين إيوان سميث» في المغرب الأقصى على جملة من الأمور أهمها :

أ – تغيير الاستقبال الذي يقوم به السلطان المغربي إلى ممثلي الدول في اثناء اللقاءات الرسمية، وذلك ان السلطان المغربي يعاملهم كمعاملة رؤساء القبائل، ولا يوجد إقرار ظاهري من القصر السلطاني ولا من جميع الوزراء بأن الرجل الماثل أمامهم أثناء مراسيم الاستقبال هو ممثل معتمد لإحدى أهم الدول في العالم .

ب – سعيه من أجل الحصول على موافقة السلطان على القيام بالإصلاحات الشاملة تتعلق بمجالات مختلفة في المغرب الأقصى .

ج – إحداث تغيرات جذرية في العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى وبريطانيا عن طريق عقد اتفاقية تجارية جديدة تراعي في بنودها مقترحات سلفه «دراموند هاي» عام 1886، التي رفضها السلطان المغربي سابقاً .

د – تعديل نظام الحماية القنصلية القائم في المغرب الأقصى وتعويضه بنظام أكثر فعالية وأقل ضررا.

عندما عرض تشارلز بين إيوان سميث هذه المقترحات على «سالزبوري»، فإنه أكد له أن هناك صعوبات كبيرة عليه أن يواجهها لحث السلطان تبني دعواته التحديثية، ومع ذلك، أصر على المجازفة بالقيام بمحاولته – على حد تعبيره – لأسباب سياسية وإنسانية، وللحفاظ كذلك على مصالح التاج التجارية، كما أكد تشارلز بين إيوان

(1) التايمز أوف مروكو 28 نونبر،1891، ص. 3 افتتاحية عنوانها: Charles Euan Smith and the Manchester Merchants

(2) خالد بن صغير، بريطانية وإشكالية الإصلاح، المرجع السابق، ص 39 .

سميث بأن زيارته إلى السلطان في فاس يمكن أن تكون فرصة مهمة لم تسمح بها الظروف لبريطانيا منذ سنوات خلت للتفاوض على عقد اتفاقية جديدة، وعادة ما ينظر إلى وصول سفير جديد إلى البلاطات الشرقية كفرصة مواتية تعرض أثناءها مطالب جديدة للتفكير فيها والتمهيد لقبولـها.

وهكذا، كانت عند تشارلز بين إيوان سميث معلومات دقيقة عن وجود رغبة حقيقة عند السلطان لتعزيز علاقاته الودية مع بريطانيا، خاصة بعد الأحداث الأخيرة التي حدثت في طنجة، وتجمع المراكب الحربية لدول أجنبية كثيرة في مياها، مما زاد في إثارة انتباه السلطان إلى أخطار محدقة تهدد استقلال المغرب الأقصى، خاصة مع تحركات الفرنسيين في منطقة «توات» قد أحدثت بالغ الأثر في نفسية السلطان ورجال مخزنه، وربما دفعة إلى التفكير في تحقيق تقارب أكبر مع الإمبراطورية البريطانية[(1)].

**خامساً. خطوات تشارلز بين إيوان سميث في المغرب الأقصى ورد الدول الأوروبية :**

بعد تولي تشارلز بين إيوان سميث مهام عمله، توجهت أنظاره لتحقيق خطوة على غاية من خلال تعزّز قوة بريطانيا، وقد أدرك أنَّ المعاهدة التجارية هي الوسيلة الأفعل والأسرع في تحقيق الأهداف الكبرى، وكان يدرك، في الوقت نفسه عجز السلطنة المغربية عن مواجهة النفوذ الأوروبي. لذلك أشار «تشارلز بين إيوان سميث» في ختام تقريره بعث به إلى «سالزبوري»، إلى أنه يعتبر موضوع الاتفاقية الجديدة أهم محور تتركز عليها مهمته في مدينة فاس وطلب السماح له لو وافق السلطان من حيث المبدأ، على قبول الاتفاقية الجديدة، بأن يعلن له عن استعداد الحكومة البريطانية لاستقبال سفارة مغربية في لندن استجابة إلى رغبة السلطان، وكذلك ان يعلن له أيضا بأن حكومة بريطانيا عازمة على أن تهدي له فيلا أنثى استجابة لرغبته الشديدة في امتلاكها [(2)]. أما إذا رفضت الاتفاقية رفضا نهائيا، فقد طلب «تشارلز بين إيوان سميث» من سالزبوري السماح له بنهج أسلوب الترغيب والترهيب حفاظا على مصالح بريطانيا من جهة، وجعل السلطان ينتهج منهج يتفق مع المصالح البريطاني مقابل الحصول على مساند بريطانية أمام الأخطار

---

(1) الرسالة 164 من مجموعة(6173). وايت إلى سالزبوري، سرية، طنجة 14 أكتوبر 1891، الملحق 1 بالرسالة نفسها الغنجاوي إلى وايت، 4 صفر 1309 .

(2)انظر خالد بن الصغير مخطوط جديد حول هدية الفيل من الملكة فكتوريا إلى السلطان مولاي الحسن»، مجلة دار النيابة العدد 12، 1986، ص 44؛

Khalid Ben Srhir, «Le rapport du Capitaine Ingelfield sur le Makhzen et la tribu des Zemmours (1891), P48-52 .

المحدقة ببلاده من جهة ثانية. وحضر «تشارلز بين إيوان – سميث» مسودة الاتفاقية الجديدة، فأدخل على بنديها الأول والحادي عشر تعديلات طفيفة، ثم أرفقها بتقريره المرفوع إلى «سالزبوري» لإبداء رأيه في مضمونها قبل عرضها على أنظار المخزن المركزي في فاس»[(1)].

وجوابا عن هذا التقرير، أكد «سالزبوري» لـ«تشارلز بين إيوان سميث» أنه لا يعترض من حيث المضمون على مقترحاته التي ينوي عرضها في فاس، لكنه تحفظ من الطريقة والأسلوب اللذين اقترح نهجهما عند مفاتحة السلطان ومستشاريه في ذلك الشأن. كما شاطره الرأي حول أهمية التوصل إلى تحسين العلاقات التجارية مع المغرب بحكم الاهتمام الخاص الذي يوليه التجار البريطانيون للمبادلات مع المغرب، كما تشهد بذلك مذكرات كثيرة لم يتوقفوا عن توجيهها إلى وزارة الخارجية. غير أن «سالزبوري» لم يفته تنبيه «تشارلز بين إيوان سميث» إلى ما تضمنته تقارير «جون دراموند هاي» وخلفه «كربي گرين» من عبارات كثيرة تؤكد صعوبة حث السلطان على تخفيض رسومه الجمركية أو مطالبته بالتخلي عن منع صادرات الحبوب أثناء سنوات الحصاد. ولم يفته التنبيه أيضا إلى أن «دراموند هاي» و «كربي كرين» قد حصلا أثناء مفاوضات تجارية سابقة مع المخزن لم تكلل بالنجاح على مساندة حقيقية من ممثلي ألمانيا وفرنسا.

أمَّا على الصعيد الدبلوماسي فقد دعا «سالزبوري» «تشارلز بين إيوان سميث» على التفكير مليا في هذا الأمر حتى يقرر إلى أي حد يجب عليه هو أيضا أن يعتمد على مساندة زملائه الدبلوماسيين في طنجة. وبخصوص لهجة التفاوض مع السلطان، نصحه بأن يتجنب أسلوب التهديد تجنبا تاما لما مكن أن ينطوي عليه ذلك من خطورة مزدوجة. فإذا افترض بأن السلطان قد يقرر الصمود أمام لهجة التهديدية، « تشارلز بين إيوان سميث» فمن الممكن أن يفضي ذلك إلى خلق أزمة حقيقية، وحتى إذا تنازل السلطان الحسن أمام التهديد، فمن المحتمل أن يؤدي ذلك إلى اتهام الحكومة البريطانية بالرغبة في فرض حمايتها على المغرب. ولذلك، فإن أفضل وسيلة للتفاوض في نظر «سالزبوري»، هي أن يلتزم «تشارلز بين إيوان سميث» بعرض مقترحاته الإصلاحية على المولى الحسن ووزرائه بعبارات ودية ومعتدلة، مع تحري الدقة والإقناع بحجج معقولة وواضحة تجعل الطرف المغربي يقتنع بأن في تبني مقترحات بريطانيا فرصة كبيرة لتقوية مصالح البلاد وسكانها بالدرجة الأولى». وعلى أساس هذه التعليمات الحذرة،

(1) خالد بن صغير، بريطانية وإشكالية الإصلاح، المرجع السابق، ص44 .

اضطر إيوان سميث إلى تعديل موقفه الأول الذي اتسم بقدر واضح من الاندفاع، إذ وجد نفسه مقيدا بضرورة التشاور مع زملائه في طنجة والبحث عن مؤازرتهم لمشروع المعاهدة الجديدة قبل عرضها على و أنظار السلطان، وتلك مهمة ليست سهلة بحكم تضارب مواقف الدول الأجنبية واختلاف وجهات نظرها بخصوص مستقبل الأوضاع في المغرب.

وهكذا، ومع هذه الظرف اتخذت إيطاليا مبادرة للحفاظ على الوضع القائم في المغرب وعلى وحدته الترابية فدعت إلى توحيد الجهود لتحقيق ذلك بينها وبين بريطانيا وإسبانيا، ويبدو أن اتخاذ إيطاليا لهذه المبادرة جاء نتيجة حملة معادية شنتها المفوضية الفرنسية في طنجة على نفوذ بريطانيا في المغرب وعلى تعزيز مصالحها فيه. وقام «كانطاكالي»، الوزير المفوض الإيطالي بزيارة خاطفة إلى «تشارلز بين إيوان سميث»، فأخبره بأن رئيس المفوضية الفرنسية سوهار «Souhart» شن حملته على بريطانيا بسرعة كبيرة جعلته يتوجس خيفة من نتائجها السلبية المحتملة على الوضع القائم في المغرب. وكان الألماني «ططنباخ» قد فاتح « تشارلز بين إيوان سميث» قبل ذلك بيوم واحد في الموضوع نفسه، وحذره من تصعيد المفوضية الفرنسية من لهجتها المناوئة للمصالح البريطانية في المغرب الأقصى . وما لبثت أن بدأت فرنسا بمحاولات إضعاف نفوذ باقي الدول الأوروبية في المغرب الأقصى وعلى رأسها بريطانيا، وتناقلت الاوساط الدبلوماسية بطنجة السياسات الفرنسية، فاعتبرها « تشارلز بين إيوان سميث» تهدف بالدرجة الأولى لعرقلة مهمته المرتقبة في فاس.

**سادسا. موقف الدول الأوروبية من تحركات بريطانية :**

وأثار هذا التغيير المفاجئ في سلوك الإيطالي كانطاكالي انتباه «سالزبوري» و « تشارلز بين إيوان سميث» ، لأن كرين سبق له أن اشتكى من عرقلة «كانطاكالي» لمفاوضاته الأخيرة مع المولى الحسن حول المعاهدة التجارية. كما تلقى إيوان – سميث سالة من الوزير غريط حمل فيها «كانطاكالي» مسؤولية التأخير الحاصل في بناء مكتب بريدي بريطاني جديد بطنجة. حين وقعت اضطرابات عابرة في المدينة نفسها، حاول كانطاكالي أن يُفهم السلطان بأن إيطاليا هي الدولة الوحيدة ممكنه الاعتماد عليها للدفاع عن أراضيه لو تعرضت للهجوم من دولة أجنبية. كما وصلت الإخبار إلى «تشارلز بين إيوان سميث» في الأيام الأخيرة قبل سفرة إلى فاس أنه استغل اقتراب موعد زيارته فأبلغ

السلطان الحسن أن «تشارلز بين إيوان سميث» كان هو المسبب لانتقال زنجبار إلى التاج البريطاني وحرص الأخير على نقل تلك التفاصيل إلى وزير الخارجية البريطانية «سالزبوري» حتى يبلغها إلى الحكومة الايطالية ويتأكد من حقيقة تحالفها مع بريطانيا. ولاعتقادة بأن أعمال «كانطاكالي» ربما تصرفات فردية وأن وزير الخارجية الايطالي الجديد «دي روديني» ( Di rudini) لا علم له بها .

وفي ذات السياق، عندما اجتمع «ديريتك،» سفير بريطانيا في روما بوزير خارجية ايطاليا «دي رويني» ذكر عدم معرفته بتصرفاته «كانطاكالي» عبر عن استيائه من عدم الامتثال لتعليماته بالتعاون بين لحكومتين البريطانية والإيطالية وتجنب كل محاولة للانفراد بنفوذ استثنائي للتأثير في السلطان بطريقة تضر مصالح حكومات الدول الحليفة.

اما الموقف الألماني من تحركات بريطانية وإصرارها على عقد معاهدة تجارية طرفها الأول الدول الأوروبية صاحبة المصالح والطرف الثاني المغرب الأقصى معقد خاصة مع الرغبة الألمانية على البقاء المغرب الأقصى بعيد على الهيمنة الأوروبية على اقتصادها من جهة ومحاولة احتلالها مكانه مميزة في الميزات التجاري مع المغرب الأقصى خاصة مع زيادة نشاط الرأسمال الألماني فيها[(1)]. وهناك العديد من النتائج تؤكد نجاح «ططنباخ » في احتلال مكانه مميزة داخل بلاط السلطان الحسن حتى إنه جعله الناصح الأول في القضايا الخارجية والداخلية للسياسات المغربية على السواء، وكان الترجمان «منصور ملحمة» خبير معين «لطنباخ» من أجل التشاور معه باستمرار حول كل التفاصيل التي سوف يعرضها عليه « تشارلز بين إيوان سميث» في فاس. ونجد ان السياسات الألمانية استطاعت من الحصول على مكسب مهم في معاهدة 1890، ولم تجد ألمانيا مصلحة حقيقة في تأييد السياسات البريطانية في المغرب الأقصى .

**سابعاً.استراتيجية المخزن في التفاوض والإصرار البريطاني :**

صيغت بنود المقترحات البريطانية على أساس توصيات وزير الخارجية البريطاني سالزوبوري التي وضعت بالاتفاق مع ممثلي إيطاليا وفرنسا وألمانيا ورفعت إلى السلطان الحسن منذ ثمانينات القرن التاسع عشر فرفضها على الرغم من الضغوط الأوروبية في

(1) خالد بن صغير، المغرب وبريطانيا العظمي خلال القرن التاسع عشر، 1856 – 1886، منشورات كلية الاداب بالرباط، 1997، ص476- 501 .

وقتها، ولكن" تشارلز بين إيوان سميث» استفاد أيضاً من مضمون اتفاقية 10 نونبر 1886، بين بريطانيا واليونان ومن نص الاتفاقية المغربية الألمانية في عام 1890، وتعد الاتفاقية الجديدة اتفاقية شاملة تسعى إلى تجاوز محتويات كل المعاهدات التي سبق للمغرب أن وقعها مع جميع الدول، حتى حدود عام 1890[1] .

هكذا، دخل المفاوضون المغاربة الأربعة برئاسة غريط مباحثات طويلة وعسيرة مع تشارلز بين إيوان سميث ومساعديه، دقق المفاوضون المغاربة، بأمر من السلطان، جميع بنود المعاهدة و جرت مقارنتها مع محتويات معاهدتي 1856، و 1890، المبرمتين مع بريطانيا وألمانيا، وعلى أثر فحص دقيق تناولوا فيه بنود المعاهدة بالقراءة والتمحيص جميع التفاصيل بصورة دقيقة حرروا تقريرا مفصلا عنها للسلطان للاطلاع عليه وإجراء مشاورات إضافية مع مستشاريه قبل رد على ممثل بريطانيا كانت من ضمن مطالب بريطانيا من المغرب الأقصى :

1 – الدعوة إلى إنشاء محاكم مختلطة.

2 – اقتراح لمراجعة بنود اتفاقية مدريد الدولية المنعقدة عام 1880.

3 – المطالبة بإنشاء قنصلية بريطانية في فاس ورفع العلم فوق بنايتها .

4 – الحصول على امتيازات لمد خط تلغرافي في طنجة إلى الصويرة عبر ارأس سبارطيل والمناطق الساحلية.

5 – اقتراح بناء تحصينات جديدة في طنجة في مرشان ويتحمل السلطان الحسن تكاليفها.

6 – التنازل عن دار يقيم فيها الطريس بطنجة إلى شركة البنكية الشمال أفريقية (North African Banking Company) .

لم يقبل السلطان المغربي الموافقة على الطلبات البريطانية واعتمد أسلوب المماطلة والمقاومة وعدم الخضوع للرغبات البريطانية وما تبعه من ترغيب وترهيب. وأمام هذا الإصرار المغربي على الموافقة على المعاهدة المقترحة أمر **وزير الخارجية البريطاني سالزبوري تشارلز إليوت(ch Eliot)**[(1)] باستشارة جون درموند هاي في مسألة إرسال ترجمان المفوضية دويونتيو أو غيره إلى فاس للسؤال عن المفاوضات الفرنسية المغربية

(1) القائم بأعمال السفارة البريطانية في طنجة الموقت في عام 1892 .

الجارية في ذلك الوقت، فأيد درموند هي تلك الخطوة لأنها ممكن ان تحدث تأثيرا إيجابيا ونصح بإرسال دويونثو في أسرع وقت، وفي ضوء تلك النصيحة بعث **وزير الخارجية البريطاني سالزوبوري تعليمات واضحة إلى إليوت تخص مهمة دوبونتيو المرتقبة في فاس فإمرة بأن ينقل إلى السلطان ووزرائه، بلهجة ودية استغراب الحكومة البريطانية للصمت الطويل الذي لزمة المخزن**[(1)]**، وأن يطلب أيضا توضيح الأسباب الكامنة وراء استمرار عدم الرد على العرض البريطاني** . وشكلت رحلة دويونثيو هذه فرصة كشفت النقاب وسلطت أضواء على جوانب غامضة وخفية لها صلة بإخفاق إيوان – سميث الذريع في مهمته بفاس.

وحاول ططنباخ أن يتعرف أسباب توجيه دويونثيو إلى البلاط، لكن إليوت تسلح بالحذر، ولم يكشف له عنها كشفا كليا، فذكر له أنها زيارة عادية المقصود منها معالجة دعاوي قدمه ناقشها إيوان سميث مع المخزن دون أن ينهيها غير أن جون دراموند هاي الذي سبق له أن ألح على اليوت عند استشارته إياه حتى لا يكشف عن حقيقة المهمة المسندة إلى دوپونثيو، نجده يلتقي بمحمد الطريس ويبلغه سرا بأن مهمة المبعوث البريطاني هي الحصول على جواب المخزن عن رسالتي الحكومة البريطانية. وبناء على نصيحة أسداها له ططنباخ، طلب الطريس من ووزرائه أن يحرصوا عند تقديم جوابهم على الالتزام بالرواية نفسها كما سبق لهم أن قدموها في مراسلات سابقة إلى الحكومة البريطانية في الموضوع، دون زيادة أو نقصان.

وحل دويونثيو بفاس يوم 15 دجنبر 1892 ، فاستقبله القائد ماكلين وبعد يومين بعث رسالة إلى غريط يخبره فيها أنه جاء ليسلمه خطابا رسميا باسم الحكومة البريطانية، وحين التقى به في اجتماع ثنائي تبادلا عبارات ودية، فأعرب دوپونثيو عن رغبة حكومة بلاده الأكيدة في التغلب على جميع ا الصعوبات للحفاظ على العلاقات التقليدية القائمة بين البلدين ثم أكد للوزير المغربي أن زيارته تدخل في هذا الإطار، وبأن أمله كبير في تحقيق انفراج في العلاقات الثنائية وتجاوز الآثار السلبية لمهمة « تشارلز بين إيوان سميث»، وبعد هذه التوطئة بادر غريط من تلقاء نفسه إلى الحديث عن أوضاع فاس وما حدث من وقائع مثيرة أثناء وجود البعثة البريطانية فيها، فأعلن أن الفشل الذي لحق بمهمة « تشارلز بين إيوان سميث»لم يسبق أن تعرض له أحد ممن تردد سابقا من بين

(1) علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1947-1851، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء ، 2006، ص71-63 .

جميع الوزراء المفوضين الأجانب على السلطان في مهام رسمية مماثلة. وأفصح عن أسباب رفض المخزن لتبني مقترحات بريطانيا، فذكر أن السلطان ووزراءه لم يستسيغوا توزيع إيران – سميث قسطا من التعويض المالي الذي حصل عليه من العامل بوشتة بن البغدادي على الفقراء والمحتاجين من سكان المدينة. وأوضح أن تلك الخطوة أقلقت الجهاز المخزني برمته إلى حد بعيد، وجعلت أعضاءه يحسون بنوع من الاستصغار والاحتقار، مما كان له بالغ الأثر في سلوك السلطان ووزرائه خلال الأيام اللاحقة، فقرروا رفض جميع المقترحات البريطانية جملة وتفصيلا مهما كلفهم ذلك من ثمن ((1)).

**ثامنا. مشروع مجموعة المنافسة بجنوب طرفاية**

بعد تعثر المفاوضات البريطانية المغربية حول عقد معاهدة جدية بينهم، حدثت تغيرات في سياسية في بريطانيا بعد وصول الليبرالي روزبوري«Rosebory» وزير للخارجية عام 1892، وحاول عند وصولة حل الأزمة بين بريطانيا والمغرب الأقصى، فكان عليه أن يعطي الأولوية لتصفيه الأجواء بين المخزن والمفوضية البريطانية قبل استئناف التباحث في القضايا الثنائية((2))، وكانت أول خطوة اتخذها عي إعفاء « تشارلز بين إيوان سميث» منصبة في المغرب الأقصى وتعيين ريد جواي « West Ridgeway» وزيرا مفوضا ومبعوثا خاصا موقتا في المغرب الأقصى ثم أمره بالتعاون مع ممثلي الدول في طنجة، لتحقيق نتائج أفضل خاصة بعد فشل الدبلوماسيون البريطانيون السابقون بعد «دارموند هاي « من تعزيز مكانة بريطانيا في المغرب الأقصى. وقبل وصول ريدجواي إلى المغرب، شهدت منطقة رأس بوجدور القريبة من رأس جوبي أحداثا جديدة تسبب في وقوعها العربي السوري ايوب سپيريدون اضبيرة في الوثائق المغربية) أحد خريجي الجامعة الأمريكية في برهوت، وقد سبق له أن اشتغل سنوات عديدة ترجمانا لفائدة «شركة شمال غرب إفريقيا» في طرفاية، وكان في الأصل مسيحيا لكنه اعتنق الإسلام وتزوج مغربية مسلمة. وحين قرر التوقف عن عمله مع الشركة البريطانية ادعى أنه سيعود إلى بيروت، لكنه لم يفعل، فقضى حوالي ثلاث سنوات في لا نثاروطي، وربط علاقات تجارية مع بعض الإسبانيين وأعراب الصحراء، كما متن علاقاته بالشيخ ماء العينين، بل أصبح من أتباعه.

(1) الرسالة 277 من مجموعة (6290)، روزبوري إلى إليوت الخارجية، 5 دجنبر 1892. (193) السلطان إلى الطريس 2 جمادى الثانية 22/1310 دجنبر 1892، (ع. ع. ت)، مع 11 رث 61

(2) Foreign Office list for the years 1875-1905(Public Record Office, Kew, London, p 23-43.

وكان يتردد بين الفينة والأخرى على سواحل غرب إفريقيا لمقايضة بعض المواد والسلع دون النزول براء وغالبا ما رافقته زوجته أثناء تنقلاته لمساعدته في أعماله التجارية. ويبدو أن العلاقات توترت بين أعراب الصحراء وسبيريدون فاتهموه بالغش والتدليس عليهم، وقرروا الانتقام منه لو نزل برا. وبالفعل تحينوا الفرصة وحجزوه يوم 20 غشت 1892، رفقة زوجته وأبنائه الثلاثة بالإضافة إلى ستة إسبانيين. ويبدو أن الشيخ «ماء العينين»، الذي كانت علاقاته جيدة مع السلطان لم يكن غريبا عن هذه العملية، خاصة أن أعراب الصحراء من «العروسيين» الذين حجزوا «سپيريدون» ومن معه من الإسبانيين كانوا يعملون تحت إمرته[(1)]. وعلى الرغم من وقوع هذه الإحداث في منطقة رأس بوجدور على بعد حوالي مائتي ميل جنوب رأس جوبي

فإنها أسهمت في توتر الأوضاع في طرفية – دائما ما تؤثر الأوضاع الأمنية على النشاط التجاري – خاصة وإن السلطات الإسبانية بدأت في خلق عراقيل أمام مؤسسة مكنزي حين فرضت عليها، أداء رسوم جمركية على سلعها العابرة لجزر كناريا. وقد حلت قضية الأسرى بعد ان دفعت السلطات الإسبانية على أداء فدية مالية مقابل تسريحهم[(2)].

وهكذا، بذل «ريد جواي» جهدا جبارا في دراسة أهم الملفات الموجودة في المفوضية بطنجة، فتبين له وجود قضايا خلافية معلقة بين المغرب الأقصى وبريطانيا ومنها : مشكلات طرفاية، التي لها أهمية للمصالح البريطانية، وبعد دراسته للمراسلات الموجودة في القنصلية الخاصة بموضوعها خلص إلى إذا كانت منطقة رأس جوبي توفر على مؤهلات تجعلها تستحق حقا أن يحتفظ بها، فإنه لا بد من الإبقاء عليها في قبضة البريطانيين، لكن إذا أكد الخبراء بالحجة والدليل أنها لا تصلح لكي تتخذ مرسى تجاريا، وإن آفاقها التجارية تظل ضعيفة ولا سبيل لتطويرها لا في ظل ظروف أحسن . فمن الأفضل التخلي عن هذا الموضع لأنه لن يعود على بريطانيا بأي فائدة؛ بل على العكس من ذلك قد يضر بالعلاقات بين البلدين[(3)] .

(1) (282) الرسالة 38 من مجموعة (6384)، روزبوري إلى إليوت الخارجية، 13 يناير 1893.
(2) برحاب عكاشة، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي (1907-1873)، منشورات كلية الاداب، المحمدية، 1989، ص47-43 .
(3)Gwendol en Cecil, Lady, Life of Robert Marquis of Salisbury, London, 4 vol. 1921-32
Reprinted 4 vol. in 2, 1971 , p33-36 .

وكذلك، اقترح على الحكومة البريطانية أن تكلف خبراء ومختصين تسند إليهم مهمة القيام بفحص شامل للمنطقة المعنية ودراسة كنانيش « شركة شمال غرب إفريقيا» التجارية لاتخاذ قرار نهائي في مصير المحطة وأضاف «ريد جواي» بأنه مهما كانت النتيجة فإن الاعتراف بسيادة السلطان على بقية أجزاء المنطقة أمر ضروري للغاية، لأن دولا أخرى لا بد وأن تحاكي مشروع « شركة شمال غرب إفريقيا» الأسباب تجارية واقتصادية.

**تاسعاً. الخاتمة والتوصيات :**

إن الدول الأوروبية مدفوعة بضغط الرأسمالية وأساليب الاستعمار لم تدخر جهدا في تثبيت نظام من الامتيازات السياسية والاقتصادية والقضائية على حساب المغرب الأقصى. لقد كان التنافس الأوروبي على المغرب الأقصى متزايدا لما يوجد في المغرب من ثروات اقتصادية ومكان جيو استراتجي، وكانت المصالح تتقارب حتى تصل إلى مرحلة من التضامنات الأوروبية -الأوروبية القائمة على سياسة الضغط على المخزن المغربي من أجل انتزاع الاتفاقات التجارية، ولكن في الخفاء كل دولة كانت تحاول السيطرة قدر من المصالح معتمدة على مدى قدرتها السياسية والتجارية والعسكرية في تثبيت وجودها، قابلها رفض مغربي للهيمنة الأجنبية معتمد على ضرب الدول الأوروبية فيما بينها الخلق فرص مناورة وتملص من الضغط المتزايد. نجد أن أهم استنتاجات البحث

1 - التغلغل البريطاني التجاري البريطاني في المغرب قابله رفض الألماني وعدم اطمئنان فرنسي..

2 - إدراك المغرب الأقصى سلطانا ومخزنا وشعبا ان الوجود الأجنبي كان طامعا في الموقع والإمكانيات المغربية.

3 - انتهاج ألمانيا سياسة الترقب والانتظار تجاه المغرب الأقصى، وكانت تهدف إلى زيادة مصالحها ونفوذها تدريجيا.

4 - ركزت الشركات الأوروبية على المغرب الأقصى لسببين: الأول، القرب من أوروبا لذلك يحصل مكان استثماري مربح، الثاني، وجود المواد الأولية التوظيف رؤوس أموالها، وكان أبرزها الشركات الفرنسية والبريطانية والاسبانية والألمانية.

وختاماً، يمكن القول إن التنافس الأوروبي على المغرب الأقصى ألقى بظلاله السلبية على الإصلاحات المغربية وترك آثاره السلبية على البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى امتد هذا التأثير إلى الجوانب الثقافية، وأفقده الكثير من مقومات النمو والتقدم، وبقي تحت ضغط العسكري الأوروبي وتشابك النفوذ الرأسمالي الأوروبي بمصالح الطبقة السياسية الأجنبية.

## عاشرا. مصادر ومراجع الدراسة :

### أ. محفوظات الخزانة الحسنية بالرباط


1 – الرسالة 164 من مجموعة(6173). وايت إلى سالزبوري، سرية، طنجة 14 أكتوبر 1891، الملحق 1 بالرسالة نفسها الغنجاوي إلى وايت، 4 صفر 1309 .

2 – الرسالة 277 من مجموعة (6290)، روزبوري إلى إليوت الخارجية، 5 دجنبر 1892. (193) السلطان إلى الطريس 2 جمادى الثانية 22/1310 دجنبر 1892، (ع. ع. ت)، مع 11 رث 61

3 – الرسالة 38 من مجموعة (6384)، روزبوري إلى إليوت الخارجية، 13 يناير 1893.


### ب. المراجع باللغة العربية


1. أنور فاضل الخالدي، العلاقات الألمانية الفرنسية بين دبلوماسية التفاوض والحلول العسكرية في المغرب الأقصى، دار النهضة العربية، 2020، ص57–54 .
2. برحاب عكاشة، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي (1907–1873)، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 1989، ص47–43 .
3. التايمز أوف مروكو 28 نونبر،1891، ص. 3 افتتاحية عنوانها: «Charles Euan Smith and the Manchester Merchants
4. التايمز أوف مروكو، 30 غشت 1890، تجارة الحبوب وشروع التجار الألمانيين في تخزينها لفائدتهم بالمراسي استعداد لتصديرها.
5. –خالد بن الصغير، مخطوط جديد حول هدية الفيل من الملكة فكتوريا إلى السلطان مولاي الحسن»، مجلة دار النيابة العدد 12، 1986 .
6. ـــــــ، المغرب وبريطانيا العظمي خلال القرن التاسع عشر، 1856 – 1886، منشورات كلية الاداب بالرباط، 1997، ص476– 501 .
7. ــــــ، بريطانية وإشكالية الإصلاح في المغرب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2011، ص30.
8. –علال الخديمي، المغرب في مواجهة التحديات الخارجية 1947–1851، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء ، 2006، ص71–63 .



9. القائم بأعمال السفارة البريطانية في طنجة الموقت في عام 1892 .

**References:**


1 - Foreign Office list for the years 1875-1905(Public Record Office، Kew، London، 1955.

2 - Gwendol en Cecil، Lady، Life of Robert Marquis of Salisbury، London، 4 vol. 1921-32.

3 - J.A.S. Greneville، Lord Salisbury and Foreign policy: The close of the Nineteenth Century، London، 1964، reis sued 1970

4 - Gwendolen Cecil، Life of Robert، Marquis of Salisbury، 4 vol 1921-32. Reprinted 4 vol. in 2، 1971، Robert Taylor، lord Salisbury، 1975.

5 - J.P. Taylor، British Policy in Morocco ، 1886-1902، English Historical Review، v.66.July

6 - Khalid Ben Srhir، “Le rapport du Capitaine Ingelfield sur le Makhzen et la tribu des Zemmours (1891)، P48-52 .

7 - Pierre Guillen، L’Allemagne et le maroc de 1970-1909، Paris، 1967، p 209-216 .

8 - L. Playfair and Robert Brown.A Bibligraphy of Morocco، from the Earliest Times to the End of 1891، Royal Geographical Society، Supplementary Papers، Vol. 3. London، 1893 .

9 - Reprinted 4 vol. in 2، 1971

## باب الجغرافيا:

# دور السياحة في التنمية الاقتصادية

## (محافظة كربلاء في العراق نموذجاً)

# The role of tourism in economic development

## (Karbala Governorate in Iraq as a model)



**بقلم الباحث: عبد الله حسن البجاري**

دكتوراه في الحقوق والعلوم السياسية من جامعة بيروت العربية

Abdullah81866490@gmail.com

**ملخص:**

يعالج هذا البحث أهمية السياحة في الحركة الاقتصادية، ولذلك تم التركيز على السياحة الدينية وما لها من دور في التنمية الداخلية في تنشيط الدورة الاقتصادية على كافة الجوانب من مطاعم وفنادق ونقل وغيرها، ويبين البحث أهمية الأماكن الدينية في العراق وأخذنا محافظة كربلاء مثل في ذلك حيث يظهر الانتعاش كل عام في التنمية التي تساعد على التخطيط نحو تطوير هذه المقامات وساهم البحث، في تعريف الزائرين على حضارة العراق وثقافته وعاداته وتقاليده خصوصاً أن العراق تعاقبت عليه حضارات مختلفة فهو موطن للسياحة بأنواعها المختلفة إلا أننا ركزنا في هذا البحث على السياحة الدينية و في محافظة كربلاء تحديداً.

**Summary:**

This research deals with the importance of tourism in the economic movement, and that has been the focus on religious tourism and its role in internal development in revitalizing the economic cycle on all aspects of restaurants, hotels, transportation, etc. General to these places shows the recovery in the development that helps to plan towards the development of these shrines, and the research contributed to introducing visitors to the civilization of Iraq and the culture, customs and traditions, especially Iraq. Specifically Karbala.

**المقدمة:**

إن التخطيط للتنمية السياحية لا يقل أهمية عن التخطيط لباقي الأنشطة الاقتصادية في الإقليم، وذلك لما للسياحة وتنميتها من أهمية كبرى في تحقيق التنمية المستدامة على كافة المستويات: القومية الإقليمية والمحلية.

وقد ازداد الاهتمام في الآونة الأخيرة بصناعة السياحة نظراً لأهميتها الاقتصادية ولكونها تحقق أرباحاً كبيرة تدعم الاقتصاد الوطني لبعض الدول على اعتبار أنها مصدر من مصادر الدخل القومي.

ازدادت المساعي التي تهدف إلى رفع مستوى السياحة علمياً وفنياً، فاستعانت ببعض العلوم الاقتصادية، كالتسويق وفن تقديم الخدمات، ونشر الوعي السياحي بين المواطنين، وغيرها من العلوم ذات الصلة بالعمل السياحي. كل ذلك لا بدَّ أن يقترن بالتخطيط، لأننا ندرك أهمية التخطيط لقطاع السياحة خاصة في هذه الظروف التي نتطلع فيها إلى بناء اقتصاد قوي مبنيٍّ على أسس قوية ودعائم علمية متطورة.

لقد أصبحت السياحة صناعة متعددة القطاعات، تتفاعل مع قطاعات الاقتصاد الأخرى، مما يجعلها عاملاً مساعداً ومهماً للتنمية الإقليمية والاقتصادية وذات دور في التنمية السياحية المستدامة للمدن.

إن لمحافظة كربلاء إمكانات سياحية كثيرة في أقضيتها كافة، ولعل أكثر ما هو مستغلٌّ لحد الآن هو مجال السياحة الدينية، فلم تكن هناك التفاتة حقيقية لباقي الإمكانات السياحية التي تمتلكها المحافظة، مثل قضاء عين التمر وبحيرة الراززة وغيرها من مواقع أثرية وأماكن سياحية وغيرها، فلهذا يتطلب تفعيل دور التنمية السياحية استخدامَ أساليب تعمل على استدامة السياحة وتطويرها لما لها من مردودات، وتوفير فرص عمل، وتفعيل عدد من مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

**الفصل الأول:** السياحة المستدامة: الدلالة والمفاهيم

تعددت وتنوعت مفاهيم السياحة كمحصّلة لتعدد أنواعها، وكذلك لتعدد الاختصاصات العلمية التي تناولتها، وهنا سنحاول الوقوف على بعض التعريفات للخروج بتعريف إجرائي يمكن أن يشتمل على كافة الجوانب المحيطة بمفهومها، **فقد عرفها محمود كامل**[(1)] بأنها: (الانتقال من مكان إلى مكان آخر يكون خارج البيئة الأصلية للمسافر لغرض الراحة وتغيير الهواء والبحث عن الهدوء والراحة وجمال الطبيعة، ولا يكون الغرض الأساسي منها ممارسة التجارة أو كسب الربح أو تلقي الأجر مقابل الخدمات).

**وعرفها المشهداني**[(2)] بأنها: (ظاهرة حضارية، وهي عملية أخذ وعطاء تتمثَّل فيها الجوانب المادية والمعنوية)، إذ إن الجانب المادي فيها هو كل ما يدور من فعاليات اقتصادية داخل القطر من حيث الإنفاق، وأما الجانب المادي فيتمثل في نقلها للتراث الحضاري لذلك البلد.

كما عرفت بأنها عملية انتقال وقتية يقوم بها عدد كبير من سكان الدول المختلفة، فيتركون محل إقامتهم الدائمة منطلقين إلى أماكن أخرى داخل حدود بلدهم (سياحة داخلية) أو إلى بلدان أخرى (سياحة خارجية)[(3)].

**التعريف الإجرائي للسياحة: هي (نشاط يقوم به فرد أو مجموعة أفراد، يحدث عنه انتقال من مكان إلى آخر، أو من بلد إلى آخر بغرض أداء زيارة لمكان معين أو عدة أماكن، أو بغرض الترفيه، وينتج عنه: الاطلاع على حضارات وثقافات أخرى فضلاً**

(1) محمود كامل، السياحة الحديثة علماً وتطبيقاً، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1795. ص 11-15.

(2) خليل إبراهيم المشهداني، أثر التحضر في تطوير المواقع السياحية في مدينة كربلاء، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، مركز التخطيط الحضاري والإقليمي، 1792. ص 27.

(3) الظاهر، نعيم والياس، سراب، (مبادئ السياحة)، كتاب، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2001، ص21

**عن إضافة معلومات ومشاهدات عديدة واللقاء بجنسيات متعددة).**

## أنواع السياحة:

هنالك أنواع متعددة للسياحة، فمنها ما هو مرتبط بالمعيار المكاني، أو الزماني، أو التنظيمي، وهناك أنواع أخرى نوجزها بالنقاط الآتية:

1 – **السياحة الدينية:** وهي السياحة التي تهدف إلى زيارة الأماكن المقدسة (الإسلامية أو غير الإسلامية)، ويغلب عليها الطابع العقائدي كما في زيارة مقامَي الإمامين الحسين والعباس عليهما السلام في مدينة كربلاء على سبيل المثال لا الحصر.

**2 – السياحة العلاجية**: وهي سياحة تهدف إلى العلاج من أمراض الجسد بالإضافة إلى الترويح عن النفس.

**3 – السياحة البيئية**: والتي هي زيارة الأماكن الطبيعية كالجبال والشواطئ والمناطق الخضراء.

**4 – السياحة الثقافية:** يتم التركيز فيها على الدول التي تتمتع بمقومات تاريخية وحضارية كما هو الحال بالنسبة للعراق ومصر على مستوى الوطن العربي.

كذلك توجد أنواع أخرى للسياحة، كالسياحة الترفيهية والسياحة العلمية، والبحثية التي تقتصر على حضور المؤتمرات والندوات...إلخ([1]).

**الأركان الأساسية للسياحة: إن أي نوع من أنواع السياحة يتكوَّن من ثلاثة أركان تكاملية، وهي :**

- السائحون (ويمثِّلون جانب الطلب على الخدمة السياحية).
- الدول التي تقدم الخدمة السياحية لسائحيها (ويمثل جانب العرض للخدمة السياحية).
- الموارد الثقافية (المعالم السياحية).

## عناصر الجذب السياحي:([2])

لقد أثبتت الأبحاث التسويقية السياحية أن هناك عدداً من العناصر تشكل عناصر جذب للسياح، ومنها:

(1) الظاهر، نعيم والياس، سراب، مصدر سابق، ص45.
(2) السامرائي، نبيهة صالح، علم النفس السياحي (مفاهيم وتطبيقات)، دار زهران، القاهرة، 2012، ط1، ص45.

**1 – المناخ:**

المناخ متنوع، فقد يفضل بعض السياح السياحة الشتوية التي تتناسب مع هواياتهم الرياضية كالتزحلق على الجليد، ويفضل بعضهم السياحة الصحراوية في فصل الربيع. ويفضل عدد كبير من السياح السياحة الصيفية، وهي أوسع أنواع السياحة نظراً للإجازات الدراسية في هذا الفصل، فالأسرة تخطط لهذه الإجازة لتوافقها مع إجازات الطلاب، إضافة إلى أن كثيراً من الدوائر الرسمية أو الأهلية تمنح الإجازات في هذا الفصل تخلصاً من حرارة الجو التي قد تسهم في توتر الأفراد وتزيد من انفعالاتهم، فيمارس فيها الأفراد الكثير من الهوايات كالسباحة والتزحلق على الماء والجلوس في الساحات الخضراء في الهواء الطلق... إلخ.

**2 – أماكن الإقامة:**

تشكِّل أماكن الإقامة السياحية أهمية كبيرة للسياح وهي واحدة من عناصر الجذب السياحي، ويختلف السياح في اختيارهم باختلاف مستوى الخدمات وحسب الأسعار.

**3 – الطعام والمشروب:**

ويقصد به جودة الطعام والطريقة الجذّابة عند تقديم الطعام ومنظر الشخص الذي يقدمه والمكان الذي يتم فيه تقديم الطعام وسعره الذي يناسب السائح، وكذا عن المشروبات التي تقدَّم مع الطعام. وحيث في بعض الفنادق أو المطاعم يصاحب تناول الطعام الموسيقى الهادئة.

**4 – الضيافة وحسن الاستقبال:**

وهي تعني الوعي السياحي لأبناء المنطقة السياحية والبشاشة في وجوههم وتقبلهم للسياح ومد يد المساعدة لهم عندما يحتاجون إلى مساعدة ما.

**معالم سياحية:**

يلاحظ أن بعض الدول لا تتوفر فيها مقومات سياحية، ولكنها تشكل عنصر جذب للسياح كالمغرب، وتونس، والكاريبي. أما الدول التي تتصدر السياحة بشكل كبير فهي التي تملك مقومات السياحة كالآثار، والمناخ، والمناظر الطبيعية، والأسواق... إلخ.

اشتهرت بعض الدول بتقديم خدماتِ إقامةٍ مريحة كاليابان في الدرجة الأولى ثم هونج كونج وهاواي إلخ... وأشهر من يقدم طعاماً مميزاً بالجودة والنوعية وفن التقديم هم: النرويج، وسويسرا، والدانمارك إلخ...

مع هذه العناصر، لا بدَّ أن تأخذ بعين الاعتبار تحقيق دراسة شخصية السائح وإدراكه لمستوى الخدمات الذي يتناسب مع اتجاهاته وتعلمه، وهذا يدفع الإدارات السياحية إلى تخطيط وتطوير خدماتها بصورة مستمرة والتي تعتبر ضرورية من خلال عرض هذه الخدمات في سوق الطلب السياحي وبما يتناسب مع المتغيرات المطلوبة للجذب السياحي لتحقيق تنمية سياحية مستدامة.

**التنمية السياحية المستدامة:**

في البداية سنحاول إعطاء تعريف لكلمة الاستدامة، فالاستدامة تعني: تحقيق مستوى معقول من الرخاء والأمن لجميع أفراد المجتمع بين الدول النامية، ولذلك يُعدُّ أمراً أساسياً لحماية التوازن البيئي والحفاظ على مقومات السياحة دور العناصر البشرية في تسويق الخدمات السياحية[(1)].

لقد ارتبط مفهوم الاستدامة بالسياحة كما هو الحال بالنسبة للقطاعات الأخرى، وبات هذا المصطلح شائع الاستخدام في كافة المجالات. تتضمن التنمية السياحية المستدامة: الاستخدام الأفضل للموارد الطبيعية، وتخفيف آثار السياحة على البيئة، بمعنىً آخر: هي التي تلبّي احتياجات السياح، والمناطق المضيفة لمستقبل أفضل. وبإدارة جميع الموارد بما يمكِّنها من الإيفاء بالاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والجمالية مع الحفاظ على السلامة الثقافية، والعمليات الإيكولوجية الأساسية، والتنوع البيولوجي ونظم دعم الحياة[(2)].

من خلال التعاريف أعلاه للتنمية السياحية المستدامة نلحظ أنها تركز على تلبية احتياجات السياح دون الإضرار بالمحيط البيئي والاجتماعي للمناطق المستضيفة، وتعمل على الوفاء بالسلامة الثقافية، والعملياتِ الإيكولوجية الأساسية[(3)].

---

(1) الكتاني، مسعود مصطفى، علم السياحة والمتنزهات، جامعة الموصل، 1770، ص191.

(2)سعد الدين إبراهيم، مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير التعليم، منتدى الفكر العربي، عمان، 1797م، ص4

(3) التركستاني، حبيب الله محمد، ورقة عمل مقدمة للقاء السنوي الرابع عشر لجمعية الاقتصاد السعودية، خلال الفترة 15 . 19 صفر 1423هـ، ص12.

إذاً: المقصود بالتنمية السياحية المستدامة في هذا البحث: تنمية المناطق السياحية، وتوفير الهياكل والقواعد الأساسية للسياحة، وكل ما تتطلَّبه العملية السياحية دون الإضرار بهذه المناطق، سواء من الناحية الإيكولوجية أم الاجتماعية أم الثقافية، ومراعاة سلامة التنوع البيئي والبيولوجي، ونظم دعم الحياة المتنوعة.

**متطلبات قيام التنمية السياحة المستدامة:**

لنتمكن من إحداث تنمية سياحية مستدامة لا بدَّ من التأكيد على مجموعة من الأساسيات أو المبادئ، **التي يمكن تحديد أهمها بالنقاط الآتية:**

1. وجود مراكز للدخول في المواقع السياحية لغايات تنظيمية ولتدعيم الإعلام السياحي.
2. ضرورة توفير كادر سياحي مدرَّب ومزوَّد بمعلومات كافية عن المواقع السياحية في المنطقة على الأقل، والذي بات يطلق عليه بـ: الدليل السياحي[(1)]، أو ما يعرف بالمرشد السياحي في العراق.
3. وجود الإدارة السليمة لمتابعة العملية السياحية بشكل دقيق.
4. التأكيد على أهمية التوعية والتثقيف السياحي والبيئي من خلال وضع اللوحات الإرشادية للمحافظة على المواقع السياحية من العبث.
5. ضرورة وجود قوانين وأنظمة حاكمة تضبط وتنظم عملية السياحة.
6. ضرورة تحديد الطاقة الاستيعابية للمواقع السياحية؛ لأنَّ كثرة أعداد الزائرين تؤدي إلى الإضرار بالموقع السياحي فضلاً عن زيادة الضغط على البنى التحتية والمرافق الخدمية الأخرى.

**الرؤية التخطيطية في دعم التنمية السياحية المستدامة:**

ارتبط ظهور التخطيط السياحي وتطوره، وكذلك أهميته ببروز السياحة كظاهرة حضارية سلوكية من ناحية، وظاهرة اقتصادية اجتماعية من ناحية أخرى، وقد حظيت السياحة المعاصرة كنشاط إنساني بأهمية واعتبار كبيرين، الأمر الذي استدعى توجيه الاهتمام إلى ضرورة تنظيم وضبط وتوجيه وتقييم هذه النشاطات للوصول إلى الأهداف المنشودة والمرغوبة وبشكل سريع وناضج[(2)]. وقد ترتَّب على ذلك اعتماد وتبنِّي أسلوب

(1) غسان عويس، فن الدلالة السياحية، دار زهران، القاهرة، ط1، 2012، ص23.
(2) يسري الجوهري، جغرافية التنمية، مطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، ط1، 1777. ص 74.

التخطيط كعلم متخصص يتناول بالدراسة والتحليل والتفسير جميع الأنشطة السياحية ويعمل على تطويرها.

وعلى هذا فإنّ التخطيط للتنمية السياحية لا يقل أهمية عن التخطيط لباقي الأنشطة الاقتصادية في الإقليم، وذلك لِمَا للسياحة وتنميتها أهمية كبرى في التنمية الإقليمية وعلى كافة القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، ومن ثم تظهر آثار تلك التنمية على تطور الإقليم وازدهاره[(1)].

فمن خلال التخطيط يمكن الوقوف على السلبيات لتلافيها مستقبلاً، والإيجابيات لدعمها وتطويرها.

يرتبط بعملية التنمية السياحية وزيادة عوائدها، والحيلولة دون ظهور أيّة مشكلات اقتصادية، واجتماعية، وبيئية، وثقافية على النشاطات السياحية المختلفة بمدى الأخذ بالتخطيط السليم، وأساليب الإدارة الناجحة، حيث إنه لا بدّ من أن تنسجم عملية التنمية السياحية مع مسارات التخطيط الإقليمي والتخطيط القومي[(2)]. للخروج بخطة متكاملة تربط التنمية السياحية بنظيراتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ومن هنا تتولد عملية الاستدامة في القطاع السياحي من خلال الترابط والاستغلال الأفضل للموارد المتاحة ولا يمكن ذلك إلا من خلال رؤية سليمة وواضحة لا يمتلكها شخص سوى المخطط (منظومة لا فرد) كونه ذا دراية ونظرة بعيدة المدى، بالإضافة إلى امتلاكه القدرة على رسم صورة تقديرية مستقبلية للنشاط السياحي، وتحديد الاستجابة لقرارات أو برامج وخطط تحقق هدف كلٍّ من: بائع الخدمة في البلد المضيف، والمستفيد (السائح)، وبالتالي يمكن تحقيق الهدف لكليهما.

**<u>أهم الأهداف التي يجب أن تتحقق في مجال التخطيط لتنمية سياحية مستدامة:</u>**

1 – التخطيط للعمل على تحديد أهداف التنمية السياحية القصيرة والمتوسطة والبعيدة المدى، وأيضاً رسم السياسات ووضع إجراءات تنفيذها.

2 – تشجيع القطاعين العام والخاص على الاستثمار السياحي.

3 – مضاعفة العوائد الاقتصادية، والفوائد الاجتماعية للنشاطات السياحية لأقصى حد

(1) السوق السياحي والآفاق المستقبلية للسياحة في المملكة ورقة عمل الغرفة التجارية الصناعية بجدة، مقدمة للقاء السنوي الرابع عشر لجمعية الاقتصاد السعودية خلال الفترة 15 . 19 صفر 1423هـ، ص ص. 4– 9.
(2) الروبي، نبيل، اقتصاديات السياحة، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1779م، ص 24 . 33.

ممكن وتقليل الكلفة لأقل حد ممكن.

4 – الحيلولة دون تدهور الموارد السياحية وحماية النادر منها.

5 – توفير وتنظيم الخدمات العامة على النحو المطلوب في المناطق السياحية.

6 – توفير التمويل من الداخل والخارج اللازم لعمليات التنمية السياحية.

7 – وضع القرارات المناسبة وتطبيق الاستخدامات المناسبة في المواقع السياحية.

8 – تنسيق النشاطات السياحية مع الأنشطة الاقتصادية الأخرى على نحو تكاملي.

9 – إعادة التوازن في التنمية المكانية والإقليمية من خلال تنمية المناطق المختلفة والنائية ذات الجذب السياحي، إضافة الى تحفيز صناعات تابعة للنشاط السياحي على نحو متكامل.

**الفصل الثاني: الواقع السياحي في مدينة كربلاء: المشاكل والمعالجات نبذة تاريخية عن مدينة كربلاء**

**الموقع:**

تقع مدينة كربلاء على بعد (105 كم) جنوب غرب بغداد عاصمة العراق على حافة الصحراء، غربي الفرات وعلى الجهة اليسرى لجدول الحسينية، (ولقد كانت منطقة غير مأهولة بالسكان عندما نزل فيها الإمام الحسين (عليه السلام) سبط الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة 11هـ/192م)، وتقع المدينة على خط طول 44 درجة و40 دقيقة، وعلى خط عرض 33 درجة و31 دقيقة، وتحدّها من الشمال محافظة الأنبار، ومن الجنوب محافظة النجف، ومن الشرق محافظة بابل وقسم من محافظة بغداد، ومن الغرب بادية الشام وأراضي المملكة العربية السعودية.

**المناخ:**

يميل مناخ كربلاء إلى الاعتدال على الرغم من أنه مناخ حارّ جافّ صيفًا، وبارد ممطر شتاءً، فيكون الربيع والخريف معتدلين، ويكون القسم القريب من الهضبة أكثر تطرفًا. تسجل درجة الحرارة العظمى معدل (45 درجة) في شهر آب، في حين يسجل الانخفاض في درجة الحرارة في كانون الثاني (4 درجة)، وهذه الدرجة المسجَّلة في فصل الشتاء إنما هي في المناطق الدافئة بالقياس إلى الدول المجاورة الباردة، وبذلك تكون مناطق جذب

سياحي. تتميز كربلاء بقلة الأمطار وتتأثر بأمطار حوض البحر المتوسط.

إن موقع ومناخ مدينة كربلاء يعطيانها ميزة أكبر في امتلاك مقوّمات السياحة؛ فمن ناحية الموقع: يتميز بإمكانية الوصول بسهولة من أي محافظة أخرى، وأما بالنسبة للمناخ – فلكون مدينة كربلاء تختص بالسياحة الدينية – فإن مناخها يسمح بقدوم السائحين لها في أي وقت، ومنها السياحة الدينية بشكل خاص، إذ إن أوقات الزيارات في المناسبات المعروفة تأتي متعاقبة فتارة في فصل الصيف وأخرى في فصل الشتاء.

**أهم المعالم السياحية في مدينة كربلاء :**

**1 – المعالم الدينية، وتشمل:**

- **الروضة الحسينية**، وتضم: مرقد الإمام الحسين (عليه السلام)، ومراقد أبنائه (عليهم السلام)، ومجموعة من أنصاره عليهم السلام.
- **الروضة العباسية**، وتضم: مرقد الإمام العباس (عليه السلام)، كما أنها تضم عدّة غرف دفن فيها مجموعة من العلماء والسلاطين.
- **مرقد الحر بن يزيد الرياحي:** ويقع على بعد خمسة كيلو مترات من مركز كربلاء وهو أحد شهداء معركة الطف.
- **مرقد عون بن عبد الله**، وهو من سلالة الإمام الحسن (عليه السلام).
- بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المراقد، وأهمها: محمد بن علي بن حمزة الطوسي وهو أحد أعلام المسلمين في القرن الخامس الهجري.
- **مقام الإمام علي عليه السلام**، وهو المقام الذي يُنسب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عند مروره بكربلاء في حرب النهروان.
- **مقام الإمام المهدي (عج)**، وموقعه على الضفة اليسرى من نهر الحسينية عند مدخل كربلاء على الطريق المؤدي إلى مركز المدينة، وهو مزار مشهور عليه قبة عالية أُعيد بناؤه في التسعينات.
- **المخيم الحسيني**، وهو ما يعرف بمقر خيم الحسين (ع)، وقد كانت تسمى هذه البقعة قديماً: محلة آل عيسى، إحدى القبائل العلوية القديمة التي تُنسب إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.

- **مقام تل الزينبية**، ويقع في الجهة الغربية من مرقد الإمام الحسين عليه السلام بالقرب من باب الزينبية المرتفع المعروف بتل الزينبية، ويقال: إن هذا التل كان يشرف على مصارع القتلى في حادثة الطف، حيث كانت زينب الكبرى (عليها السلام) تتفقد حال أخيها، فسمِّي هذا الموضع باسمها، والناس تزور المقام للتبرك وتقدم له النذور، وقد جدد هذا المقام عدَّة مرات كان آخرها عام 2002[(1)]. **والكثير من المراقد الأخرى التي لا يتَّسع المقام لذكرها.**

**2 - المعالم الأثرية والسياحية، وتشمل:**

- **حصن الأخيضر:** يعدّ من المعالم الحضارية الدقيقة التصميم والهندسة، ذات الطابع العربي الإسلامي، يقع على بعد (35 كم) من كربلاء على جهة الغرب. أغلب المؤرخين أن قصر الاخيضر يعود لأحد الكنديين ويقع ضمن قضاء عين التمر، وله أسماء عند العامة في كربلاء كالخراب وقصر الخفاجي عامر.

- **خان العطشان**، ويقع على بعد (30 كم) جنوبي غربي كربلاء، وهو مثلما وصفه الرحالة الفرنسي تافرنييه: (بناء قديم مبنيّ بالآجر). والكثير من أقواسه وجدرانه تُرى إلى يومنا هذا وإن تصدعت[(2)].

- **بحيرة الرزازة**، وتقع على بعد (11كم) غربي مدينة كربلاء، وهي بقعة تمتد حتى محافظة الأنبار بطول(10 كم) وعرض (30 كم). تتوافد إليها الجموع من كل مكان ترويحاً للنفس من عناء العمل[(3)].

- **كهوف الطار**، وتقع بالقرب من مدينة كربلاء قرب بحيرة الراززة وتعود إلى أقدم العصور، وقد تحدَّت عوامل التعرية والاندثار بكل قوة، إلا أنها تنتظر معاول التنقيب والبحث والتحري.

**معالم السياحة العلاجية:**

- **عين التمر**، وتقع على بعد (91 كم) جنوبي غربي كربلاء، وهي منطقة جميلة سياحية اشتهرت ببساتينها ومياهها المعدنية وبيوتها ورمانها، وهي غابة من النخيل تخترقها دروب ريفية، وبوقوعها وسط الصحراء بالقرب من هور أبي دبس تنتشر

(1) هادي ال طعمه، كربلاء في الذاكرة، مطبعة الصافي، بغداد، 1799 ص43.
(2) بشير قرنيس، العراق في القرن السابع عشر للرحالة اقرنيه 1750، ص133.
(3) الدليل الإداري، 1770، وزارة الحكم المحلي، مطبعة بغداد، ص19.



فيها العيون الكبريتية التي تتدفق مياهها خلال أيام السَّنة، وقد اكتسبت أسماءها من البيئة المحلية (العين الكبيرة– العين الحمرة– عين مراز– عين السيب– عين ام الكواني)[(1)]. وقد أدّى الإهمال الكبير إلى جفاف أغلب هذه العيون، وأمر آخر يجب توفره، وهو: ملاكات طبية للإشراف على دور العلاج، وكذلك بناء الحمامات للسباحة والاستشفاء والاسترخاء فيها.

إن هذه المواقع تعطي المدينةَ الإمكانيات الكبيرة لتحقيق الموارد المالية الكبيرة لقطاع السياحة في العراق عموماً، ومدينة كربلاء خصوصاً إذا ما تمَّ وضع خطط سليمة وواقعية تنعكس بإحداث تنمية شاملة في المدينة، وتوفير فرص عمل كبيرة وتحقيق دورة اقتصادية. إن مدينة كربلاء تمتلك من المقومات السياحية ما تتفوق به على الكثير من المدن العراقية الأخرى، فضلاً عن ضرورة استغلال مكانتها الدينية في هذا المجال.

إلا أن هذه المقومات تعترضها جملة من المشاكل:

**الواقع السياحي في مدينة كربلاء:**

**أهم المشاكل التي تعترض القطاع السياحي في مدينة كربلاء:**

يواجه القطاع السياحي في محافظة كربلاء مشكلات كبيرة نتيجة للظروف التي مرَّ بها العراق من حروب وأوضاع سياسية وأمنية غير مستقرة، فضلاً عن ضعف التخطيط، وإهمال كبير للمواقع السياحية. كل هذه الأسباب مجتمعة أدَّت إلى تعثر النهوض بالقطاع السياحي في محافظة كربلاء.

يمكن التنبيه إلى جملة من المشاكل التي يعاني منها القطاع السياحي في مدينة كربلاء، وهي:

1 – الافتقار إلى استراتيجية واضحة المعالم حول السياحة وآفاق تطورها على المستوى الإقليمي والمحلي في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية وعدم وضوح الرؤية السياحية.

2 – ضعف موقع التنمية السياحية في خطط التنمية، مما يقلل وباستمرار من أهميتها، خاصة ضمن إطار التخصيصات المالية لها، مما يعكس قلة المشاريع المنجزة أو

(1)الطائي، زهراء محمد جاسم، تنمية السياحة العلاجية في منطقة عين التمر دراسة ميدانية، رسالة ماجستير مقدمة إلى المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي، 2005، ص53.

المخطَّط لها.

3 – تواضع نوعية المنشآت والخدمات، وضعفٌ أو قصورٌ في المرافق الأساسية والخدمات كالطرق والكهرباء والاتصالات والفنادق، والتي تحدُّ من عملية الجذب السياحي في كربلاء.

4 – تواضع وقلةُ المؤسسات التعليمية، وضعفُ مستوى التأهيل والتدريب لدى نسبة عالية من العاملين، وقصور برامج التدريب السياحي والفندقي للنهوض بمستوى الخدمات والتسهيلات السياحية التي تتطلب قوىً عاملة مؤهَّلة.

5 – ضعف مشاركة القطاع الخاص في تطوير السياحة في كربلاء، وعدم التعاقد مع الشركات الأجنبية العالمية الرصينة المتخصصة في مجال التطوير السياحي، واقتصارها على شركات محلية أو إقليمية لا تتمتع بالخبرة الطويلة.

6 – غياب الدور المهم المتمثل بالترويج والتسويق السياحي، وقصور الاعتمادات الحكومية المخصصة للتسويق والبحوث والإحصاءات والإعلام السياحي والتي تلعب دورا كبيراً في القطاع السياحي.

7 – اقتصار السياحة في مدينة كربلاء على الجانب الديني، وإهمال التعريف بالجوانب السياحية الترفيهية والتراثية الأخرى، والتي يمكن أن تتكامل مع جوانب السياحة الدينية.

**<u>الحاجة إلى وضع استراتيجية لتطوير القطاع السياحي في مدينة كربلاء، رؤية للمعالجات:</u>**

لا يمكن الإيمان بتحقيق النجاح للقطاع السياحي في العراق عموماً، وفي مدينة كربلاء خصوصاً ما لم ترتكز هذه العملية على وجود خطة استراتيجية شاملة للنهوض بالقطاع السياحي منسجمةً مع المخطط الأساسي لمدينة كربلاء، فمن خلال التخطيط العمراني يمكن توجيه الخدمات العامة إلى البلديات التي تقع فيها المعالم والآثار السياحية، ولا بدَّ أن تشمل هذه الاستراتيجية مراحلَ، نوجزها في النقاط التالية:

**المرحلة الأولى، وتتضمن:**

- التواصل مع الجهات المعنية داخل المحافظة.
- تحليل الوضع الحالي للقطاع والمنافسة الإقليمية.
- دراسة الوجهات السياحية الأخرى.

**المرحلة الثانية، وتتضمن:**

- تحديد الملامح وتحليل السلوك الشخصي للسياح.
- تحديد ممكنات الإقبال السياحي، وتحديد نوعية المشاريع والخدمات السياحية لجذب الشريحة المطلوبة.
- تحديد الملامح والوضع المستقبلي والقيمة المضافة للسائح.

**المرحلة الثالثة، وتتضمن:**

- تأثيرات المخطط التشغيلي والاقتصادي، وتشمل مراجعة هيكلة وزارة السياحة والآثار ووضعِها المؤسَّسي.
- تحديد التأثيرات الاقتصادية وتحديد ملامح الهيكلة الملائمة للاستراتيجية.
- تحديد خطة التنفيذ الاستراتيجية للقطاع السياحي ورسم خريطة كربلاء السياحية.

**المرحلة الرابعة، وتتضمن:**

- التركيز على بناء المرافق العامة بما ينسجم مع النتائج التي يمكن أن تحققها المراحل الثلاث السابقة، وبناء رؤية منسجمة مع الواقع الفعلي للقطاع السياحي في كربلاء من خلال المعطيات التي تتمخض عنها الدراسة المستفيضة فيها، والاستعانة بشركات متخصصة ورصينة في مجال توفير الخدمات العامة، وتتضمن: تطوير القدرات البشرية، ورفع كفاءتها من أجل إدارة هذه المرافق خصوصاً في مجال السياحة الفندقية.

وفيما يتعلق بالجهات التي تساهم في وضع هذه السياسة الاستراتيجية، فتتمثل بـ: وزارة السياحة والآثار، وزارة النقل والمواصلات، وزارة التخطيط، وزارة الداخلية، وزارة الخارجية، الإعمار والإسكان، التعليم العالي والبحث العلمي، مع مراعاة إشراك

القطاع الخاص والمتمثل بمكاتب السياحة والسفر.

ولعل الجهة الأهم هي المجتمع المحلي لمدينة كربلاء والمتمثِّل بمجلسها المحلي ومنظمات المجتمع المدني فيها، كونهم الأقدر على طرح المشاكل واقتراح الحلول والمعالجات، كذلك ضرورة إشراك التخطيط العمراني لتضمين هذه الاستراتيجية في وضع المخططات الأساسية والتوقيع المكاني للخدمات العامة؛ لأن إشراك هذه المؤسسات في صياغة الاستراتيجية للقطاع السياحي يُتوخَّى منه الخروج برؤية صائبة، ولكي تأخذ كل جهة على عاتقها حل المشكلات المتعلقة بها.

إن مسألة نجاح هذه الاستراتيجية لا بدَّ أن أن يكون بتعزيز دور فاعل للترويج، فكما أشرنا إلى أنّ السياحة أصبحت ليست مجرد سفر أو تحرك من مكان إلى آخر، وإنما أصبحت صناعة، وإن كل صناعة تحتاج إلى تسويق، ومن هنا يبدأ دور الإعلان في أداء دوره التكميلي لأي استراتيجية توضع لتطوير القطاع السياحي في كربلاء، ويمكن تحديد الدور المناط بعملية الإعلان والترويج بالنقاط الآتية:

**أولاً:** تكثيف البرامج التوعوية من خلال النشرات الإرشادية حول الوعي السياحي الداخلي.

**ثانياً:** توجيه برامج إعلامية خاصة بالمعالم السياحية الداخلية.

**ثالثاً:** تحفيز التدابير المحافظة على السمات المادية للسياحة المستدامة.

**رابعاً:** رعاية المواقع والمعالم التاريخية والحياة البشرية البرّية.

**خامساً:** تخصيص مساحات صحفية وإذاعية خاصة بالتربية السياحية الوطنية ونشر الوعي السياحي.

**الاستنتاجات والتوصيات**

الاستنتاجات:

1 – تتوفر في مدينة كربلاء المقدَّسة موارد سياحية تتمثَّل في وجود المراقد المقدَّسة للإمام الحسين وأخيه العباس عليهما السلام، كذلك الموارد الطبيعية والبشرية، والتي يمكن أن تساهم في عملية الجذب السياحي.

2 – يواجه القطاع السياحي في كربلاء بعض المشكلات التي تتعلق بتوفير الكوادر

المتخصصة في مجال السياحة كالمترجِمين والمرشدين والعمال.

3 – يؤدي الاستقرار الأمني والسياسي دوراً في تفسير الطلب على الخدمات والسياحة الدينية، وتليها التسهيلات الإدارية.

4 – عدم وجود خطة استراتيجية مُعدَّة للقطاع السياحي وفي كافة المستويات التخطيطية القومية والإقليمية والمحلية، وفقدان حلقة التواصل فيما بين هذه المستويات، وإن أغلب الخطط الموضوعة لتطوير القطاع السياحي لا تمتلك رؤية واقعية.

5 – غياب واضح لدور الحكومة المحلية المتمثِّلة بمجلس المحافظة والبلديات، فدورهم كبير للغاية في إحداث النهضة السياحية المطلوبة في أيِّ استراتيجية جديدة يمكن أن توضع لتطوير القطاع السياحي في المحافظة، خاصة أن الأماكن السياحية المختلفة الموجودة تقع مباشرة تحت إدارة الحكومة المحلية، ومن الضروري أن تكون لها الأولوية في طرح المقترحات والآراء الضرورية لإحداث النهضة السياحية المطلوبة.

6 – عدم إظهار الاهتمام بالأنواع الأخرى من السياحة؛ كالعلاجية والترفيهية والأثرية في مدينة كربلاء، واقتصار الاهتمام على السياحة الدينية على الرغم من أن الاهتمام يجب أن ينصبَّ على إبراز الأنواع الأخرى لتحقيق التكامل فيما بينها، وهو ما يشير إلى العملية الثنائية للتنمية السياحية في كربلاء.

7 – إن ما يبرر عدم الاستمتاع لدى الكثير من السواح هو: عدم امتلاك الكثير من الكوادر السياحية رؤيةً علمية متطورة تُسهِم في دمج شعور السائح مع الموقع السياحي وخصوصاً في مجال السياحة الترفيهية والآثارية.

التوصيات:

1 – التركيز من قِبَل وزارة السياحة والآثار على جذب الكوادر المتخصصة، وخصوصاً من المخرجات العلمية؛ كأقسام السياحة في كليات الإدارة والاقتصاد، أو في مجال الآثار، كونهم الأقدر على إدارة هذا القطاع، وهذا سيحقق اتجاهين مهمَّين، هما: سحب جزء كبير من البطالة التي يعاني منها خريجو هذه الاختصاصات، والاتجاه الثاني: تحقيق مبدأ الكفاءة في إدارة القطاع السياحي للبلاد عموماً، وفي مدينة كربلاء خصوصاً.

2 – نوصي بدراسة إمكانية إنشاء صندوق لتمويل التنمية السياحية المستدامة على

غرار صناديق التنمية الأخرى، على أن يتمَّ ذلك ضمن منظومة الشروط اللازمة لتحقيق النمو المستدام لها.

3 – ضرورة تحقيق التكامل ما بين السياحة الدينية والترفيهية، واستغلال السياحة الدينية في تطوير أنواع السياحة الأخرى: (الترفيهية – العلاجية – الأثرية)، والاستفادة من ميزة وجودها معاً في محافظة كربلاء.

4 – خلق الوعي السياحي في مراحل مبكرة وتضمينها في مراحل الدراسة الابتدائية وتدعيمها من خلال إجراءات سياحية مجّانية بالتعاون بين وزارة التربية ووزارة النقل إلى هذه المواقع السياحية، خصوصاً السياحة الآثارية. ومن شأن ذلك أن يسهم في خلق قاعدة سياحية في المستقبل.

5 – تحقيق مبدأ المناورة في عملية جذب الطلب السياحي الخارجي من خلال تخفيض الرسوم المفروضة عليهم، وتسهيل إجراءات دخولهم في المنافذ الحدودية، وتعويضها من خلال توفير مرافق أخرى من شأنها تعويض المبالغ المتوخاة من عملية التخفيض.

6 – النظر إلى السائح الأجنبي كبوَّابة رئيسة في المنظومة الإعلانية عن المواقع السياحية، كون السائح سينقل ما شاهده إلى أقرانه الآخرين، وبالتالي فإن مدى شعور السائح بالراحة سيؤدي إلى عكسِ نظرةٍ إيجابية للقطاع السياحي في العراق عموماً وكربلاء خصوصاً، يدفع إلى تعزيز جانب الطلب على الخدمة السياحية.

7 – ضرورة مشاركة وسائل الإعلام المختلفة في دعم الترويج للخدمات السياحية، انطلاقاً من أهمية عملية التسويق للخدمة السياحية والتركيز على المواقع السياحية غير الدينية: (ترفيهية وأثرية وعلاجية)، فالسياحة الدينية لا تحتاج إلى وسائل دعائية، حيث إن زيارة الفرد للعتبات المقدسة تعدّ واجباً عقديًا، خصوصاً بالنسبة لمحبي آل بيت رسول الله عليهم السلام.

8 – قيام مجلس المحافظة باعتماد التخطيط أساساً في التوسع في النشاط السياحي من خلال التعاون مع المختصين في المؤسسات الأكاديمية في المحافظة، وتوظيف الخريجين كمرشدين سياحيين ومترجمين، وإقامة دورات تأهيلية لتطوير عمال المطاعم والفنادق والمساهمة في صياغة استراتيجية تطوير القطاع السياحي.

9 – ضرورة إنشاء صندوق لدعم التنمية السياحية يتمّ تمويله من ميزانية تنمية الأقاليم

المخصصة لمحافظة كربلاء، يأخذ على عاتقه تمويل عمليات تطوير الواقع السياحي إلى جانب ما يخصص له في الموازنات الاستثمارية العامة.

**المصادر:**


1. محمود كامل، السياحة الحديثة علماً وتطبيقاً، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1795. ص 11–15.
2. خليل إبراهيم المشهداني، أثر التحضر في تطوير المواقع السياحية في مدينة كربلاء، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، مركز التخطيط الحضري والإقليمي، 1792.
3. الظاهر، نعيم والياس، سراب، (مبادئ السياحة)، كتاب، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان ط1، 2001.
4. السامرائي، نبيهة صالح، علم النفس السياحي (مفاهيم وتطبيقات)، دار زهران، القاهرة، ط1، 2012.
5. غسان عويس، فن الدلالة السياحية، دار زهران، القاهرة، ط1، 2012، ص23.
6. يسري الجوهري، جغرافية التنمية، مطبعة الإشعاع الفنية، القاهرة، ط1، 1777.
7. الروبي، نبيل، اقتصاديات السياحة، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1779م.
8. هادي الطعمه، كربلاء في الذاكرة، مطبعة الصافي، بغداد، 1799.
9. التركستاني، حبيب الله محمد، السوق السياحي والآفاق المستقبلية للسياحة في المملكة، ورقة عمل مقدمة للقاء السنوي الرابع عشر لجمعية الاقتصاد السعودية، خلال الفترة 15 . 19/نيسان، 2007.
10. الكتاني، مسعود مصطفى، علم السياحة والمتنزهات، جامعة الموصل، 1770.
11. سعد الدين إبراهيم، مستقبل النظام العالمي وتجارب تطوير التعليم، منتدى الفكر العربي، عمان، 1797م.
12. بشير قرنيس، العراق في القرن السابع عشر للرحالة اقرنيه، 1750.
13. الدليل الإداري، 1770، وازرة الحكم المحلي، مطبعة بغداد.
14. الطائي، زهراء محمد جاسم، تنمية السياحة العلاجية في منطقة عين التمر دراسة ميدانية، رسالة ماجستير مقدَّمة إلى المعهد العالي للتخطيط الحضري والإقليمي، 2005.

# باب اللغة العربية وآدابها:

## 1 - جوانب من الصراع الحضاري في الأدب العربي المعاصر

## Aspects of the Civilizational Conflict in Contemporary Arabic Literature



**بقلم الدكتورة فدوى نور الدين الخطيب**

أستاذة اللغة العربية وآدابها في الجامعة اللبنانية/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية وكلية التربية

عضو اللجنة الثقافية في اتحاد الجامعات اللبنانية

**Written by Dr. Fadwa Noureddine Al-Khatib**

Retired Professor from the Lebanese University/Faculty of Arts and Human Sciences and the Faculty of Education in Arabic Language and Literature

Member of the Cultural Committee of the Association of Lebanese Universities

### مقدمة:

كانت الازدواجية الثقافية قد أصابت الحياة العقلية للمثقفين العرب منذ بدايات القرن العشرين، وقد صيغت تلك الازدواجية بألفاظ تباينت من مرحلة تاريخية لأخرى، منها التقدمية والرجعية والأصالة والمعاصرة... إلخ.

والذي لا ريب فيه أن المفاهيم المستخدمة في طرح الإشكالية مسؤولة الى حد بعيد عن التخبط والفوضى في طرح الإشكالية التي تجعل الوصول الى حل فيها يكاد يكون مستحيلاً، وقد تتحدد المشكلة في خطأْ الطرح الذي جعل مفهوم التراث مقابل مفهوم المعاصرة.

**الصراع بين القديم والجديد**

خرج الأدب العربي من القرن التاسع عشر حاملاً بعض المشكلات التي منها ما يتعلق باللغة ومنها ما يتعلق بالمضمون الفكري والمنحى الحضاري الذي أراده كتّاب تلك الفترة. لهذا كانت اللغة العربية وما زالت أحد الموضوعات الخلافية بين الفريقين، وكان أبرز معالم ذلك الصراع بين الفصحى والعامية، فصحى كان أصحابها يميلون إلى التقعر والأساليب المتكلفة التي حولت اللغة الى نوع من التزويق اللفظي وهي التي كانت وريثة لفترة الحكم العثماني.

هذا الصراع بين المجددين والسلفيين برز بأوضح صورة بين فئتين كونا طرفي الصراع في نظرتهم الى اللغة العربية، وتوجهاتهم المستقبلية فيما يجب ان يأخذوا او يتركوا من الغرب وحضارته.

وقد تمثلت الفئة الأولى ببعض الكتاب والأدباء الذين أتاح لهم القدر أن يحصلوا على الثقافات الغربية، فتأثروا بها ورأوا أن الغربيين قد هجروا اللغة اللاتينية الى لغات جديدة ذات جذور واحدة، وهي الفرنسية والإنكليزية والإيطالية وغيرها، فأرادوا تقليدهم بهجر اللغة الفصحى لصعوبتها في رأْيهم ولعجزها عن أداء المعاني المختلفة ولتقصيرها في التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم، فراحوا يطالبون بهجرها واحلال اللهجات العامية في البلاد العربية، وكان ابرز هذه الظاهرة في لبنان وفي مصر، الى جانب قضايا أخرى كانت من الإنكليز والفرنسيين، وهذا ما رأيناه مع الشاعر اللبناني والمفكر الكبير سعيد عقل في ترويجه لرؤية خاصة إذ لم يستطع الخروج من اللغة العربية فراح يدعو الى الكتابة بالعامية اللبنانية، فاعتمد على الحرف العربي المكتوب بالحرف اللاتيني ومرتكزا على العامية اللبنانية، التي تختلف من مدينة لأخرى ومن قرية لأخرى، معتبرا أن العربية الفصحى لا يمكن أن يكتب لها البقاء، فلا بد من استبدالها بالعامية.

لذلك أسس سعيد عقل عام 1967 داراً جديدة للنشر باللغة اللبنانية والحرف اللاتيني، أطلق عليها اسم – دار أجمل الكتب– وسعى من خلال هذه الدار الى مواصلة ما

دعاه «**ثورة اللغة وثورة الحروف**»، ولكن البداية لهذه الثورة كانت أقدم من ذلك وتعود للخمسينيات حيث ألقى سعيد عقل سلسلة طويلة من المحاضرات والأحاديث دفاعاً عن نظريته الداعية الى استبدال اللغة الفصحى باللهجة اللبنانية التي أصر على تسميتها بـ«**اللغة اللبنانية**» واستبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني.

لذلك سعى سعيد عقل لتطبيق هذه النظرية فنشر ديوانه الشعري «**يارا**» معتمداً الحرف اللبناني الجديد المشتق من الحرف اللاتيني، وقد أثار بذلك موجة من السجالات والمناظرات، غير أن العاصفة هدأت بسرعة، وعاد سعيد عقل للكتابة بالعربية الفصحى وبالحرف العربي ولكنه لم يعترف بالهزيمة.

وبعد سنوات سافر سعيد عقل إلى بريطانيا وزار مؤسسة «**لينو تيب** « وعاد منها حاملاً بطاقة تعريفية طبعت عليها حروف الأبجدية العربية المبنية على الحروف اللاتينية، وأطلق دعوته الى اعتمادها مجددا دون جدوى[(1)]، إلا أن نجمه بقي ساطعاً في أسمى معاني الإنسانية يوم حمل شعره قضية فلسطين مع زهره والمدائن وفيروز.

التقى دعاة العامية بما أراده المستعمر الإنكليزي والفرنسي في مصر ولبنان في التهجم على العربية الفصحى، فالمحتل الإنكليزي حاول أن يخلق من المصريين جيلاً غريباً عن ثقافته وبيئته وتراثه الحضاري، وهذا لا يتسنى له الا إذا استطاع عزل اللغة العربية الفصحى عن الأجيال الناشئة، فحاول الإنكليز إقناع المصريين بأن سبب تخلفهم هو تمسكهم باللغة العربية الفصحى القديمة البالية. وزين لهم أن إجادة الإنكليزية والتخلي عن اللغة العربية هو الذي سيفضي بهم للنهوض من التخلف الذي هم فيه، واللحاق بركب الحضارة الغربية، وصوروا لهم أن العامية لغة حية يفهمها الشعب بمختلف أطيافه، وهذا ما أثار حفيظه الشعب المصري بأكثريته، وما تحرك به أقلام الكتاب والشعراء في دفاعهم عن العربية الفصحى[(2)] .

وقد أدت التدخلات الأجنبية إلى بروز تيارات مختلفة منها تيار ينادي بالقومية المصرية وتبث الشعور بالوطنية الإقليمية للأمة والتي تقوم في تصورهم على الانتماء الوطني لا الديني، ثم انقسمت هذه المجموعة الى تيارين تمثل أحدهما جريدة المقطم التي تصور الإنكليز في صورة إنسانية رفيعة متجاهلة دور الإنكليز في نهب ثروة وطنهم، والتيار

---

(1) نقلًا عن Google أحمد الشريف الثلاثاء في تشرين الثاني 2017.

(2) د. شوقي ضيف، الأدب العربي الحديث والمعاصر في مصر ط2، دار المعارف، مصر 1961، ص 181.

الثاني الذي يتزعمه مصطفى كامل الذي أنشأ الحزب الوطني الحر... ودارت السجالات بين جرائد هذين التيارين في تلك الفترة، كما رافق هذه السجالات بعض الأحداث التي أججت الفتنة على الصعيد الشعبي، ومن هذه الأحداث اغتيال رئيس الوزراء الخارجية بطرس غالي [1] وخطاب روزفلت في جامعة القاهرة عام 1911 والتي عكست محاولات الإنكليز تمزيق الأمة إلى مسلمين ومسحيين، وقد أدى تفاقم تلك النزعة إلى انعقاد أول مؤتمر في أسيوط([2]).

كل هذه الدعوات كانت تهدف إلى إدخال العربية الفصحى إلى المتحف أسوة باللغة اللاتينية في أوروبا، وكانت مقالات وليم ويلكوكس في الكيد للعربية الفصحى بما كان يوحيه من أن اللهجة التي يتكلمها المصريون لا تمت بصلة إلى العربية، بل إنها تتصل باللغة الفينيقية أو البونية كما دعاها، وقد انحدرت إليهم من الهكسوس في مصر ([3]).

كان لضعف الدولة العثمانية أثر بالغ في ازدياد تدخل الدول الأوروبية في الشؤون الداخلية بحجة الامتيازات، هذه الامتيازات التي أتاحت لأوروبا أن تشمل بحمايتها من تريد من مواطني الدولة العثمانية بغية تفتيت رعاياها الى شيع وأحزاب وطوائف لتسهيل مهمة تدخلها المباشر في ما بعد، مستغلة بذلك ما كان من التفرقة التي كانت تمارسها الدولة العثمانية بين المسلمين والمسحيين، هكذا أوجدت الدول الأوروبية المبرر في تلك المعاملة المتمايزة لبسط نفوذها، كما كان لروسيا ايضاً دور مهم في تفتيت أبناء الأمة أسوة بأوروبا فادعت روسيا حماية الأرثوذكس وفرنسا حماية الكاثوليك وبريطانيا حماية اليهود والبروتستانت [4] . ولكي تزيد كل دولة تدخلها في رعايا الدولة العثمانية، بدأت بشرح نظرياتها في اشكال الحكم معرفة المفهوم الديمقراطي الذي يتيح الحكم للشعب الذي كان في معظمه جاهلاً، والتي كانت ترمي من تدخلها إلى تعميم أساليبها للسيطرة على جموع الشعب وتوجيهه بالشكل الذي يتناسب مع مصالحها، وكان للبعثات التبشيرية والإرساليات الأجنبية الدور الفعال في نشر المذاهب الأوروبية في أقطار العالم العربي كافة، وأصبحت بلادنا مسرحاً للتيارات الفكرية الغربية من المثقفين الذين انجذبوا

(1)هو جد بطرس غالي الذي كان وزيراً للخارجية في الثمانينيات.
(2) دار شوقي ضيف الادب العربي الحديث و المعاصر في مصر ص 181ط2 دار المعارف بمصر 1961
(3) أنور الجندي، المعارك الأدبية، مطبعة عابدين –مصر شارع حمود المقاول، ص 73.
(4) موسى سليمان، الحركة العربية، منشورات دار النهار، 1970 ، ص: 21–20.
– قسطنطين بتك وفيتش، لبنان واللبنانيون، ترجمة يوسف عطاالله، دار الهدف للطباعة والنشر، 1986، ص: 17–18

إلى الأفكار الأوروبية مما أدى إلى انتشار المذاهب الغربية على تنوعها من وجودية إلى شيوعية أو اشتراكية أو ماسونية، وتبعاً لذلك تراوحت مشاعر الانتماء بين انتماءات وطنية وإقليمية أو قومية مما أدى إلى اختلاف مفاهيم الوطنية في كثير من المراحل التاريخية، لكننا إذا تركنا هذه الفروق جانباً فإننا نرى أن النزعة القومية قد أصبحت من أهم العوامل التي تؤثر في تطور الدول وتكون الأوطان منذ اوائل القرن التاسع عشر [(1)].

وقد كان لتصارع الثقافات ومحاولات السيادة على الأرض العربية من جانب كل من الفرنسين والإنكليز أثر كبير في تشتيت الأذهان وضياع البوصلة، فقد تميزت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى بالمبالغة في التهجم على العربية، لغةً وتراثاً وتاريخاً.

بدأت هذه المعارك منذ عام 1914 برسالة منصور فهمي التي قدمها في باريس، فكانت هذه الرسالة إحدى مقدمات اتجاه أطلق عليه تيار التغريب، وقد شمل هذا التيار مهاجمة أسس الثقافة العربية ومنها:

– القومية العربية والوحدة العربية– مقاومة اللغة العربية الفصحى والدعوة الى اللغة العامية – الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية – مهاجمة الخلافة والاسلام والأديان السماوية بصفة عامة –اتهام العرب والاسلام بالتخلف العقلي وهي نظرية أرنست رينان – النزعة اليونانية بتجريد العرب من الرؤى الفلسفية واعتبار اليونان اساتذة العرب– تصارع الثقافات الفرنسية والانكليزية – إثارة الاتهامات حول القرآن والإنجيل – تغليب الجانب الأسطوري في السيرة المحمدية–الدعوة الى الأدب المكشوف معارك الفن للفن– الدعوة الى نقل الحضارة الغربية بخيرها وشرها، ما يحمد منها وما يعاب– إنكار فضل العرب الحضاري –الدعوة الى الفرعونية[(2)].

ولم تقف دعوات التهجم على العربية لغةً وتراثاً وتاريخاً عند حدود مصر ولبنان اذ عمت البلاد العربية في محاولات الأوروبيين لخلق لغات بديلة للغة العربية، وقد عمد الفرنسيون الى استنباط قواعد اللغة البربرية، ووضع معاجم لأحرفها وكتابتها بالحرف اللاتيني، وذلك لأن البربرية لغة محكية لا حرف لها، فجمعوا الكلمات التي هي مزيج من السواحلية أي الأوغاريتية والعربية والفرنسية، ووضعوا لها المعاجم كي تصبح لغة رسمية ثانية في الجزائر الذي كانت تستعمره فرنسا حينها وعممت هذه اللغة في المغرب

---

(2) ساطع الحصري – آراء وأحاديث في الوطنية والقومية ص 12 – مركز الدراسات الوحدة العربية 1984.
(2) عمر الدسوقي– في الادب الحديث – ص 500. – انور الجندي – المعارك الادبية ص 6-5.

العربي وليبيا ايضاً.

كان رائد هذه الحملة المستشرق الفرنسي شارل بيلا الذي بعثته فرنسا لدراسة اللغة البربرية وجمعها واستنباط القواعد لهذه اللغة، وفي عام 1975 أراد الفرنسيون تكريس هذه اللغة رسمياً في جامعة السوربون، وقد رفض الجزائريون هذا الموقف يومها، حتى الذين هم من أصل بربري، وقد استغلت الحكومة الفرنسية وجود وزير خارجية الجزائر يومها وهو المرحوم عبد العزيز بوتفليقة في فرنسا فدعوه لافتتاح القسم الخاص باللغة البربرية في جامعة السوربون، وعندما تفاجأ بوتفليقة بقسم اللغة البربرية رفض المشاركة قائلا:

لقد حاربناكم أكثر من مئة سنة تحت شعار الله أكبر واليوم تريدون اقامة شرخ داخلي في الجزائر وإثارة النعرات وزرع بذور الاقتتال الداخلي بين العرب والبربر لتجعلونا فرقاً متطاحنة؟!

- **أساليب تشويه اللغة العربية وأصل اللغات**

ما زالت ظاهرة محاربة اللغة العربية تجد لها صدى في البلاد العربية، وهذا ما نراه يومياً في الإعلانات التلفزيونية ووسائل التواصل الاجتماعي وغيرها من وسائل الإعلام، وقد أسهمت جهود الأوروبيين في الكيد للغة وأصبح لدينا كتاب عرب يحقرون ويحتقرون لغتهم الأم التي نبتت من تراب شرقنا العربي ومن السواحل الفينيقية بالذات والتي منها اشتقت حروف لغات العالم اجمع منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا.

التقى تيار دعاة العامية بما أراده المستعمر الفرنسي والانكليزي في التهجم على اللغة العربية الفصحى، فالمحتل نجح ولو جزئياً في خلق جيلاً غريباً عن ثقافته وتراثه العربي وذلك بعزل لغته محاولاً اقناع الأجيال الناشئة بأن سبب تخلفه هو تمسكهم باللغة العربية الفصحى القديمة البالية.

مثل هذه الدعوات كانت تهدف إلى إدخال العربية الفصحى المتحف أسوه باللاتينية، إلا أنها لم تنجح بالكامل، فما زالت هذه الظاهرة تجد لها بعض المناصرين ولكن الذي لا بد من الإشارة اليه أن الفينيقية والهيروغليفية وغيرها من اللغات التي عمت بلاد المشرق العربي ومغربه، هي اللغة السواحلية التي عمت البلاد العربية في مشرقها ومغربها.

بدأت اللغة السواحلية عام 1300 ق.م. مع اللغة الأوغاريتية و التي انتشرت مع قوافل

التجار الفينيقيين، ثم اللغة الكنعانية التي انتشرت في مدينة جبيل اللبنانية ما بين عامي 900 – 1400 قبل الميلاد، ثم الكتابة المصرية الهيروغليفية ومشتقاتها ما بين عامي 1400 قبل الميلاد الى عام 476 ميلادية، و العربية الجنوبية أي اليمن ما بين عامي 1000 ق.م. الى عام 600 ميلادية والتي منها الثمودية وهي احدى القبائل العربية واللحيانية والصفائية والسبئية والمعينية و جميعها أيضاً من القبائل العربية وقد تطورت جميعها للوصول الى الآرامية التي انتشرت في بلاد الشام ما بين عامي 900 ق.م. الى 100 ميلادية والتي كانت اللغة السائدة ايام سيدنا عيسى المسيح وبها كان يتكلم لأنها كانت لغة عصره، وإلى آخر اللغات التي سادت انطلاقاً من الشواطئ الفينيقية مع تفاوت الفترات الزمنية بينها الى نهاية مطاف تطور هذه اللغات لتصبح في شكلها النهائي اللغة العربية الفصحى التي نتداولها اليوم، وهي لغة قريش من الجزيرة العربية التي شرّفها الله سبحانه وتعالى باعتماده لهجتها في الوحي للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وللكتابة القرآنية.

**القائمة**

**<u>الواقع الثقافي لأوروبا وبدايات موجة الإلحاد</u>**

لقد تفشت الفوضى العلمية في أوروبا، قبل ظهور الداروينية، ومع ظهور نظريات داروين هب الباحثون من سباتهم في مناقشتهم لها، بالتأييد او المعارضة، وهي النظرية التي أقام عليها نيتشه فلسفته التي استبدلت الله بالسوبرمان.

كانت نظرية داروين ترصد تطور الانسان من طحلب ثم تطور، ليصبح جدنا القرد ثم إنسانا.

أقام نيتشه فلسفته على اساس نظرية التطور والارتقاء ليسير بالإنسان في طريق التطور البيولوجي ليصبح إله هذا الكون – اي السوبرمان–

ولقد توسع علماء القرن التاسع عشر في تطبيق مذهب النشوء والارتقاء فطبقوه على النظم الاجتماعية والعلاقات الإنسانية وأشكال الحكومات والمنطق والدين، هكذا أصبحت نظرية النشوء والارتقاء هي المعيار الذي اعتمده نيتشه في نظرية السوبرمان والتي تُوجب قتل الضعفاء والمرضى لا مساعدتهم، وفقا لمفهوم البقاء للأقوى، وبعد تأكيده على موت الله، ليجعل الألوهية للقوة فقط ((1))

(1) د. مصطفى محمود، الشيطان يحكم، دار العودة– بيروت، 1986 ص 138.

**ملامح الرفض والقبول في الادب العربي المعاصر**

كان انتماء مصر الثقافي والقومي ورسم ملامح نهضتها هو أحد أهم أسباب الخلاف بين عملاقي الأدب والفلسفة في مصر، ودار السجال بين الفريقين حول قبول الافكار والفلسفات الغربية، فيما الفريق الاخر جهد في مجابهة الغزو الثقافي الغربي الذي كان سلامة موسى أحد أبرز رواده.

لقد مثل سلامة موسى ذروة التيار المؤيد للغرب، فانطلق يصب جام غضبه على اللغة العربية الفصحى في كتاباته واصفاً إياها بالعجز عن تأدية الرسالة الأدبية والعلمية مشيراً إلى أن اللغة العربية لا تخدم الأدب المصري ولا تنهض به، لأن الأدب هو مجهود الأمة وثمرة ذكائها وابن تربتها ووليد بيئتها التي ينبت فيها، لذلك اعتبر سلامة موسى أن الكتابة لا يمكن بحال من الاحوال ان تنشأ ما لم تستخدم اللغة العامية، وكذلك القصص، وقد اعتبر أن الأدب الأوروبي كله يبتدئ تاريخه من الوقت الذي عمد فيه الأدباء، كل إلى لغته، فكتب بها وهجر اللاتينية التي كانت لغة أوروبا جمعاء.

كان من أبرز دعواته الى جانب الداروينية دعوة سلامة موسى إلغاء ظاهرة الاعراب ((1)) وهي أول أسس هدم بناء اللغة العربية الفصحى وتدميرها، اذ لا يمكن ايصال المضمون الفكري والتعبير عن الأحاسيس إلا من خلال معرفة الإعراب بتشكيلاته للتمييز بين المعاني وعدم اختلاطها إلا بالتشكيل المناسب.

اعتبر سلامة موسى أن المحافظة على العربية الفصحى تجعل المصري يتفاخر بأبطال الشرق بدل أن يتفاخر بتاريخه المصري، بل إن الإبقاء على العربية الفصحى يفترض درس ابن الرومي والبحث عن أصل المتنبي والمفاضلة بين علي ومعاوية والتعصب للجاحظ.

كل ذلك نبذاً لشرقية المصري وانتمائه للعرب التي كان شديد التمسك برفضها. وما بدأ به القرن الماضي من دعوات جائرة هو بالضبط بعض ما حصل في أواخر القرن الماضي وبدايات القرن الحالي بحجة تحديث البرامج الذي قام به المركز الوطني للبحوث، وهو النسق الذي اعتمدته الجامعة اللبنانية «كلية الآداب» في تحديثها للبرامج الدراسية بتمويل من البنك الدولي.

---

(1) سلامة موسى– اليوم والغد – –المطبعة المصرية–مصر ص 124.

التقى سلامة موسى في طروحاته مع ويلكوكس وارنست رينان، ولعل ذلك كان تحقيقا لما أراده المستعمر، والذي يهدف الى ربط الاقطار المستعمرة بالغرب لا بالشرق لقطع أوصال تراث الشرق وحضاراته، وطبيعي أن المدخل إلى ذلك هو في قطع الأداة الموصلة لهذا التراث ولهذه الحضارة وهي اللغة.

رأى سلامة موسى أنه لا يمكن للمصري ان يواكب الحضارة الغربية المعاصرة بما فيها من علوم وصناعة إلا إذا تخلى عن الحروف العربية لاعتقاده أنه يجب ان يكون للمصريين لغة متطورة، بل متمدنة تسع للتعبير عن مئة وعشرين علماً وفناً لم يعرفها العرب الذين ورثنا عنهم لغتنا[(1)] .

وهذا ما جعل سلامة موسى يفتح النار على مدرسة دار العلوم، التي عملت على تطوير اللغة العربية مع المحافظة على أصالتها، إذ اعتبر ان خريجيها من أعظم المعاكسين للرقي لأن تخصصهم حال بينهم وبين دراسات عديدة فضاق افقهم [(2)] . رأى سلامة موسى أن المحافظة على اللغة العربية الفصحى تجعل المصري يتفاخر بأبطال الشرق بدل أن يتفاخر بتاريخه المصري، بل اعتبر أن الإبقاء على العربية الفصحى تفترض درس ابن الرومي والبحث عن أصل المتنبي والمفاضلة بين على ومعاوية والتعصب للجاحظ، كل ذلك نبذاً لشرقية المصري التي رفضها.

اعتقد سلامة موسى أن لا رجاء لنا بالنجاح في العالم الا إذا تملصنا مما اكتسبناه في العادات الشرقية أي العربية في نظام الحكم ونظام العائلة والنظر للمرأة والادب حتى في الصناعات والمعايش، لهذا نراه يقول: «كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي في الأدب كما أزاوله، وهي تتلخص في انه يجب علينا ان نخرج من آسيا وان نلتحق بأوروبا، وكلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بانه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها وزاد شعوري بأنها مني وانا منها».

لهذا كان يؤكد موقفه الرافض لموروثه الشرقي العربي وليعلن عن دوافعه بأنه لم يزاول حرفة الأدب إلا كي يعظ أمته بوجوب كفها عن ممارسة العادات التي اكتسبتها من الشرق واصطناعها عادات أوروبا [(3)] . وفي ذلك يقول سلامة موسى: «خلاصة القول

(1) سلامة موسى البلاغة العصرية واللغة العربية ص 15.
(2) سلامه موسى –اليوم والغد– ص 234.
(3) سلامة موسى –اليوم والغد ص234.

أننا نطلق على أنفسنا صفة الشرق بلا حق لأننا غير شرقيين، ثم نتعصب لهذا الشرق ونقيم في أذهاننا منه غرضاً نكره الغربيين والحضارة الغربية ونتعصب للقديم»، وفي ذلك يضيف بلاد الشرق هي بلاد السلف يحكمونها وهم في قبورهم بأدبهم وتقاليد وشرائعهم؟ وما علينا سوى الإذعان. [(1)] ، ولقد كان شديد الايمان بوجوب خروج مصر من آسيا للالتحاق بأوروبا وقد جسد ذلك برواية –وادي الجهل– التي عكست موقفه من تراث الأمة العربية السابق مع طموحه لغد افضل يأتيه من الغرب المتقدم [(2)] .

لقد أراد سلامة موسى لأدب بلاده أن يكون أدباً أوروبياً قائما بنسبة 99% منه على المعنى والقصد، لا كما هو الحال عند العرب، كما أراد أن يكون أدب بلاده عصرياً في أبطاله وفتيانه، لا رجال الفتوحات العربية والدولة العباسية، كما أراد أن تكون ثقافة بلاده أوروبية، لكي تغرس في أنفسهم حب الحرب والتفكير الجريء».

اما الثقافة الشرقية، فقد طالب بمعرفتها لحسن تجنبها ، لما رأى آثارها في الشرق من عبودية، ومن الذل والتوكل على الله والخضوع لأولي الامر ظالمين كانوا او عادلين[(3)].

و قد أشار سلامة موسى إلى أن الرابطة الشرقية–أي العربية–هي إحدى الكوارث، ولهذا يرى أن انتهاج وطنيات وقوميات تسير على المبادئ الأوروبية وفي هذا يقول: «والدعوة بأننا أمة شرقية هي دعوة زائفة لا اساس لها البتة»، لهذا فهو يدعو إلى حاجته لرابطة تؤلف بين بلاده وبلاد أوروبا[(4)].

من أجل هذا يعلن سلامة موسى رايه قائلا :هذا هو مذهبي الذي اعمل له طوال حياتي سراً وجهراً، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب، في كل ما اكتب احاول أن اغرس في ذهن القارئ النزعات التي اتسمت بها اوروبا في العصر الحديث، وان اجعل قرائي يولون وجوههم نحو الغرب ويتنصلون من الشرق[(5)]. والدعوة بأننا أمة شرقية الدم او الثقافة هي دعوة زائفة لا أساس لها البتة.[(6)]

---

(1) سلامة موسى –اليوم والغد ص 232.
(2) سلامة موسى، اليوم والغد، ص: 9–8.
(3) سلامة موسى اليوم والغد ص 248.
(4) سلامة موسى اليوم والغد 249.
(5) سلامة موسى اليوم والغد 250–249.
(6) سلامة موسى اليوم والغد 248.

لقد هب في وجه تيار التغريب الذي تزعمه سلامة موسى الكثير من الأدباء والشعراء في الدفاع عن تراث الشرق الحضاري ولغته القومية، لاعتبارهم تيار التغريب جزء موجه بالإرادة الاستعمارية التي تهدف الى تقطيع أوصال الشرق، وبذلك تذبل جذور ثقافتنا القومية، وفي ذلك يقول المفكر والأديب مصطفى الرافعي: «والذين يتعلقون باللغات الأجنبية، ينزعون الى اهلها بطبيعة هذا التعلق إن لم تكن عصبيتهم للغتهم قوية مستحكمة، من قبل الدين والقومية، فتراهم اذا وهنت فيهم هذه العصبية يخجلون من قوميتهم، ويتبرأون من سلفهم وينسلخون عن تاريخهم، فتقوم في انفسهم الكراهية للغتهم وآداب لغتهم، ولقومهم واشياء قومهم فلا يستطيع وطنهم أن يوحي اليهم اسرار روحه، اذ لا يوافق فيهم استجابة في الطبيعة وينقادون بالحب لغيره وهم فيه، ويرثون دماءهم من أهلهم ثم تكون العواطف من هذه الدماء للأجنبي»[(1)].

كما وصف هذا التوجه الشاعر الكبير حافظ ابراهيم الذي راح يدافع عن لغته في وجه هذا التيار فتراه يقول:

رَجَعتُ إِلى نَفسي فَاِتَّهَمتُ حَصاتي ... وَنـادَيتُ قَومي فَاِحتَسَبتُ حَياتي

رَمَـوني بِـعُقمٍ فـي الشَبابِ وَلَيتَني ... عَقِمـتُ فَلَـم أَجـزَع لِقَولِ عُداتي

وَلَـدتُ وَلَمّا لَـم أَجِـد لِـعَرائِسي ... رِجـالاً وَأَكـفاءً وَأَدتُ بَنـاتي

وَسِـعتُ كِتـابَ اللَهِ لَفـظاً وَغايَةً ... وَمـا ضِقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظاتِ

فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ ... وَتَنسـيقِ أَسـماءٍ لِمُختَرَعاتِ

أَنا البَـحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ ... فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي

فَيـا وَيحَـكُم أَبلى وَتَبلى مَحاسِني ... وَمِنـكُم وَإِن عَزَّ الدَواءُ أَسـاتي

فَـلا تَكِلـوني لِـلزَمـانِ فَإِنَّني ... أَخـافُ عَـلَيكُم أَن تَحينَ وَفاتي

أَرى لِـرِجالِ الغَـربِ عِـزّاً وَمَنعَةً ... وَكَـم عَـزَّ أَقوامٌ بِعِزِّ لُغاتِ

أَتَـوا أَهلَـهُم بِالمُعجِزاتِ تَفَنُّناً ... فَـيا لَيـتَكُم تَأتونَ بِالكَلِماتِ

أَيُـطرِبُـكُم مِن جانِبِ الغَربِ ناعِبٌ ... يُنـادي بِـوَأدي في رَبيعِ حَياتي [(2)]

(1) مصطفى الرافعي–من وحي القلم– ج3 من 157– دار الكتاب العربي ط2 بيروت.
(2) ديوان حافظ ابراهيم– صفحة 155–153– منشورات محمد دمج بيروت ط 1969.

**ملامح الصراع الفكري وقضية الالوهية:**

ليس من شك ان تحديد الاهداف والقدرات شرط اساسي في اي محاولة للانتفاع من ثمار الحضارة المعاصرة والحضارات السابقة. من هنا كان ادراكنا الصحيح لحياتنا يتطلب استكشاف القيم التي تتضمنها حياتنا ومبلغ سلامتها واصالتها او ضعفها وخللها، ومدى ما ينبغي من تعديل بما يتناسب مع واقع حياتنا.

هنا كان الصراع على أشده بين التيارات الفكرية التي تمثلت بأهم اقطابها سلامه موسى وتوفيق الحكيم.

كان سلامة موسى يؤمن بشكل مطلق بالغرب وفلسفاته، هكذا تركزت دعواته على القبول بكل ما هو غربي، ومن المحقق ان تلك الفترة كانت غنية خصبة عقليا وروحيا بفضل ما كان يكتبه المفكرون في مختلف شؤون الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية.

كانت اوروبا قد شهدت في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وفي ظل المنهج التجريبي تغيرات جذرية عميقة في المفاهيم والقيم الحياتية ونظرة الانسان الى نفسه والى الكون المحيط به، وقامت المفاهيم العقلية التي جعلت من التجربة العلمية والمعرفة المحسوسة ميداني المعرفة الوحيدين نتيجة لمقومات المدرسة الوضعية التي لا تعترف إلا بالمادة المرئية وحدها، والتي تعتبر ان لا ثنائية بين عالمي الروح والمادة، وان لا مجال للبحث في غير عالم المادة، فعالم ما وراء الطبيعة ليس سوى الفاظ جوفاء، لهذا اعتبرت المدرسة الوضعية المادة بديلا عن الله.

اعتبرت الفلسفات الغربية ان كل شيء مردود الى مبادئ عقلية تجريبية، فظهرت نظرية داروين حول النشوء والارتقاء، والتي اعتمدت على نظرية الانتخاب الطبيعي، وهو قوة مستمرة عبر الظروف والازمان في نشوء التغيرات العضوية تبعا للحاجة، وهي النظريات التي طبقها كل من سبنسر ولامارك على علم الاخلاق ايضا.

كان ابرز فلاسفة الغرب الذين تأثروا بالتقدم العلمي والعلوم التجريبية والداروينية نيتشه، الذي لم يكن يعترف بأي عقيده دينية، لا صراحة ولا ضمنا ، وقد رأى نتشه ان العقيدة الدينية وعلى رأسها الله، هي العقبة الأساسية التي تحول دون تأكيد الانسان لذاته، لذلك فهو يدعو لإزاحة شانها بعد موتها، وعلى الانسان ان يستجمع قواه وينميها

ليصبح بعدها إله هذا الكون أي السوبرمان [(1)] .

لاقت تلك النظريات الأوروبية صداها لدى مفكري الشرق الذين توزعوا بين مؤيد لها ومعارض، وكان من أبرزهم سلامة موسى وتوفيق الحكيم، لقد أمن بها سلامة موسى الذي راح يدعو الى تمكين الانسان من ان يكون أكثر من إنسان، أي ان يكون إله هذا الكون. لذلك راح يدعو الى إزاحة شان الدين وفكرة الله الواردة في الأديان كي يصبح الانسان الإله الأوحد لهذا العالم، فكانت له بهذا الشأن نظرية اليوجينية، أي علم اصلاح الذريات بيولوجيا وهي مبادئ الهجاء الأولية نحو الألوهية أي السوبرمان.

اما توفيق الحكيم فقد اقام إشكالية التفاعل الحضاري على المفاهيم الدينية التي لونت المناخ الفكري لثقافة عصره، وهي نظرية النشوء والارتقاء. لقد رفض الحكيم المقاييس العقلية التجريبية التي قامت عليها المذاهب الغربية، معتبرا ان نظرية النشوء والارتقاء عند لامارك وسبنسر لن تصدق فيما يتعلق بالإنسان الا اذا ادرك وجود النموذج الأرقى الذي ينشط الرقي (أي الله)، فنمو عقل الانسان وقلبه رهن بهذا الادراك بحسب القاعدة التي تقول بتطور العضو تبعا للوظيفة، فالإنسان لا بد له من نموذج، ولا بد له من هداية وجدها توفيق الحكيم بالنموذج الأرقى ، وذلك لأن الانسان أعطي آلة مفكرة قابلة للنمو هي العقل أداة العلوم التجريبية، وآلة شاعرة قابلة أيضا للنمو هي القلب، اداة الايمان الديني في الانسان، والانسان قد تطور فعلا في راي الحكيم بناء على هذا الادراك بعقله وقلبه، ثم جاءت علوم الغرب التجريبية في العصر الحديث لتوقف هذا التطور، اذ وقف الايمان الديني في الغرب واستمر التفكير العقلي وحده يتطور في قفزات باهرات جعلت العصر الحديث ينسى النموذج الأصلي وهو الكائن الأرقى –أي فكرة الله – وهذا ما عبرت عنه تعادلية الحكيم الإسلامية باختلال التوزان بين تطور الفكر وتطور الايمان الذي عرقل سير الإنسانية في طريق التطور الكامل فردا ومجتمعاً [(2)].

تضمن ادب توفيق الحكيم مرتكزات معتقده الديني من خلال أهمية القلب المتوجه دائماً نحو السماء، وليكرس في نتاجاته أهمية القلب الى جانب العقل في النهوض الحضاري والإنساني الكامل وليصنع في ثنائيات العقل والقلب ملامح ثقافتنا العصرية بعد ان تزود بكلا الزادين وهما:

---

(1) مصطفى محمود –الشيطان يحكم –ص- 145. – سلامة موسى – اليوم والغد ص 20-9 .
(2) توفيق الحكيم – التعادلية الإسلامية والتعادلية –ص 57- مكتبة الادب ومطبعتها –الجماهير، 42 ميزان الاوبرا –الحلمية الجديدة – القاهرة.

1-الثقافة العربية الاصلية بعد عصرنتها والمنطلقة من الإنجيل والقرآن.

2-ثقافة العصر السائدة، بعد تليينها وتهذبها وتطويعها بصوره الفنية ليخرج منها مزيجاً هو الذي يمكن ان يطلق عليه بحق « **الثقافة العربية المعاصرة**».

اعتمد الحكيم على ثنائيات العقل والقلب كأدوات للتوازن على الصراط المستقيم بين جاذبية الأرض وجاذبية السماء ، وبين الانسان والحيوان، فهو لم يسلم مطلقاً بأن رقي الإنسان هو في تقدم أسباب معاشه المادي ولكن الرقي بالمعنى الإنساني والمثالي شيء غير ذلك في نظره، فالإنسان الأعلى بحسب مصطلحاته الأدبية والفلسفية ليس ذلك الذي يضع كل شيء في فمه، ولكنه ذلك الذي يشعر بحاجته إلى قيم معنوية وأغذية روحية لا شأن لها بضرورات حياته الجثمانية والمرتبطة بالأرض وحدها، وهو الفارق الوحيد الذي وجده الحكيم بين الإنسان والحيوان لارتباط هذه الصورة بالقران والإنجيل وقد جاء في الميراث الفلسفي الإسلامي من خلال ابن عربي والجيلاني.

اتخذ الحكيم من آلة القلب والمفاهيم الروحية الأداة الرئيسية لتمييز الفلسفة العربية الشرقية عن الفلسفة الغربية، التي كانت لديه تتفق في صفة واحدة يطلقون عليها لقب «الفلسفة المادية» وليس معنى ذلك لديه انها فلسفة خاصة بالمادة وحدها، فمعناها أوسع لديه، لذلك فهو يسميها الفلسفة الدنيوية لأنها تقوم فقط على المصالح الدنيوية.

عارض بعض مفكري العرب المعاصرين نتائج العلم الحديث وعلى رأسهم توفيق الحكيم، لذلك انتقد العلوم التجريبية في مسائل الروح، وبقى على رفضه لنتائج العلوم الغربية. كان يرى ان النظريات الحديثة لم تكتف بكل التوجهات العلمية والأخلاقية، بل تناولت جسم الجمال ومقياسه الأوحد وهو -الله- واعملت فيه المشرط والمسبار، فخرج بذلك علم الجمال الروحي من حدائق الفلسفة الى معامل المختبرات، لهذا عمل جاهدا على التوفيق بين أصول العلم وأصول الإيمان، وكان ذلك هو الهدف الرئيسي لديه لأنه اعتبر ان الاتصال بالله عن طريق العلم مستحيل فالعلم محدود والذات الإلهية لا حدود لها [(1)]. وكان ذلك هو الهدف الأبرز لمسيرته الأدبية.

هكذا جعل من ثنائياته التعادلية بين العقل والقلب والخالق والمخلوق أساسا للتوازن بين العلوم العقلية والايمان الديني [(2)] .

---

(1) الحكيم- تحت شمس الفكر-ص 14 -15.

(2) الحكيم، تعادلية الإسلام والتعادلية، ص:.146

رأى الحكيم ان الخط البارز والمظهر الغالب للعصر الحاضر هو الاقتصاد اي مطالب الارض والدم والجنس والبيئة، اي كل شيء ارضي، هكذا رأى الحكيم في مقومات الحضارة الحديثة ان كل شيء خاضع للشطر «غير الروحي» في الكائن البشري، وقد ادى ذلك في رايه الى سيطرة الالة والارقام على الحياة المعاصرة، فأصبحت تخضع الحياة كلها لمقاصدها المادية على النحو الحاصل اليوم.

لقد كان أول مآخذ الحكيم على الحضارة الحديثة، انها تحلم باختراع يخرج الانسان من جاذبية الارض ليلحقه بالكواكب الاخرى، فيما فضل الحكيم ان تفكر في اختراع اعظم واجدى للإنسان، اختراع يخرج الانسان المعاصر من جاذبية الارض والدم والجنس في عالم تركيبه الحيواني ليلحقه بالإنسانية العليا التي يتصورها الفكر الحر ويحسها الروح الطليق.

والانسان في مصطلحات الحكيم الادبية مخلوق يمشي بمهارة على حبل مشدود عن يمينه القلب والعقل والضمير، وكل ما دخل في نطاق العالم الروحي، وعن يساره الجسد والغريزة والدم وكل ما دخل في نطاق العالم الحيواني، والتوازن هو المطلوب، وهو امر عسير المنال في ظل الحضارة الغربية الراهنة.

اعتبر الحكيم ان لكل ملكة من حواس الانسان عوالم منفصلة، وكل ملكة لها خصائص واختصاصات، وجميعها تعكس ظاهرة تباين ألوان الحقيقة لدى كل منهما، فما يصدق عند القلب، قد لا يصدق عند العقل، فهما ملكتان منفصلتان، والحقيقة العقلية ليست الحقيقة كلها، ولكنها الحقيقة التي استطاع العقل ان يراها من زاويته، واذا كانت العقيدة الدينية مرجعها القلب، فإن العقل لن يرى منها الا الشطر الذي استطاع ان يراه، فيما يظل محجوبا عنه الشطر الواقع في دائرة القلب. فوجود الخالق الجبار لا شك فيه عند القلب، اما العقل فستظل حقيقة الخالق بعيدة عن قدراته [(1)] .

كانت أزمة الانسانية المعاصرة في رأي الحكيم أنها لم تتقدم في وسائل حكمتها بما يوازي تقدمها العلمي، ذلك أن المخالب في الانسان الأول قد تطورت من أسلحة حجرية الى سيف، ثم الى قنبلة ذرية، ولكن وسائل تحكمه في غرائزه، لم تتطور الى حد يمكنها في كل الأحيان من كبح جماح القدرة المطلقة، وهذا ما جعله يصور انسان القرن العشرين في الحضارة الغربية بصورة عجيبة، فهي صورة المخلوق له ذكاء العالم

(1) الحكيم، تحت شمس الفكر، ص:15-14.

وضمير القرصان وغريزة الحيوان [(1)] .

اعتبر الحكيم أن الانسان يتغذى كغذاء الحيوان المادي، الا أن ما يميز الانسان لديه انه يتغذى ايضا بغذاء نوراني إلهي لا يناله الحيوان، لذلك اعتبر أن ما جاء في الأديان السماوية هو الحق، كما اعتبر ان الإنسان إذا خلع رداءه الديني فقد خلع رداءه البشري[(2)]، فهذا هو الشرط الأساسي لاكتمال انسانية الإنسان ملتزما بذلك ما جاء في الإنجيل والقرآن[(3)] .

كان الدين لدى الحكيم هو الصوت الداخلي الذي يجمّل النفس البشرية ويحكم سلوك الأفراد والجماعات، فإذا كانت القوانين الوضعية تحكم سلوك الإنسان الخارجي، فالدين كما اعتبره هو المضاد الحيوي للخطايا البشرية التي تكمن في نفس الانسان، والتي تنمو وتتراكم كما الجراثيم غير المرئية، وهي الاشعة الروحية التي تستطيع النفاذ الى الداخل وقتل هذه الجراثيم في مكامنها.

كان الله عند الحكيم هو منبع الفن والدين ومصدر الإدراك الجمالي منذ بداية الخلق، لذلك كان مأخذه على علماء القرن التاسع عشر أنه لم يحسبهم رفعوا أبصارهم الى اسلوب الله مستلهمين، إنما خروا أمام تمثال العلم ساجدين بعد أن أصبح القرن التاسع عشر عصر تأليه العلم.

اتخذ الحكيم من آلة القلب والمفاهيم الروحية الأداة الرئيسية لتمييز الفلسفة الشرقية.

انتقد الحكيم المجتمع الغربي القائم على المصالح الدنيوية وحدها لاعتقاده انه كلما كان المجتمع همجياً انطلقت غرائز الانسان فيها غير مبالية بضرر الغير، وكلما ارتقى المجتمع اتخذ نفع الغير وضعاً هاماً في سلوك الأفراد والمجتمعات. فالدين الحق هو الذي يرفع بصر الانسان الى اعلى من اقدامه وطعامه وشرابه. واذا استطاع الانسان ان يرفع بصره الى اعلى من فمه فهو ارقى من الحيوان واذا ارتفع الى تقوى الله عندها يكون سيد الكائنات فكل شيء قد يعرفه الحيوان الا الدين، ولو عرفت جماعة من الحيوان معنى الدين لانقلبت في الحال بشراً ساجدين[(4)].

---

(1) الحكيم، فن الأدب، ص: 212.

(2) الحكيم، تحت شمس الفكر، ص: 31-30.

(3) انجيل متى 4.4 مقولة ليس بالخبز وحده يحيى الانسان بل بكل كلمة تخرج فم الله. القرآن الكريم سورة محمد صلى الله عليه وسلم اية 12 وسورة الأنفال أية 55 .

(4) توفيق الحكيم- عصفور من الشرق ص 101. توفيق الحكيم تحت شمس الفكر ص 47.

لقد رأى الحكيم أن لقلق العصر الحديث سبباً آخر متصلاً بأمنه، فهو في كل لحظة يخشى دماره المادي بيده هو نفسه، هذا السبب في الوقت عينه نتيجة من نتائج انتصاراته العلمية، فهو قد أصبح قادراً قدرة مادية ساحقة يمكنها ان تفلت من يده، وإذا أفلتت فقد هلك. هذه القدرة الهائلة لا يلجمها غير حكمته، وهو لا يضمن كثيراً هذه الحكمة، ومن هنا جاء قلق الانسان الغربي المعاصر على سلامته وكيانه، فهو يعيش من يوم لآخر في هذا العصر الحديث ناظراً الى ميزان التعادل بعين زائفة شاردة[(1)].

**ظاهرة الانهزام الثقافي وأساليب معالجتها**

لا ريب أنه من العبث، كل العبث القبول بإخضاع آدابنا ومفكرينا الى المقاييس المذهبية والتيارات الوافدة التي هبت على حياتنا، فالنظم الفكرية الغربية ومقاييسها هي التي ما زالت تسيطر على حياتنا الثقافية وتوجهها وتسيطر على نفوسنا وعقولنا، وهي في جملتها نابعة في ثقافة غربية مغايرة لثقافتنا، تحكمت في صياغتها ظروف اجتماعية غربية مغايرة لثقافتنا سيطرت وتسيطر على عقولنا ونفوسنا لكننا نربط قيمنا الادبية والفكرية بها، وقد استطاعت تلك التيارات بتر مثقفينا عن ثقافتهم القومية والتأثير على وجدانهم واقناعهم بأن تلك النظم هي الأفضل ما دام الغرب قد حقق تقدمه على أساسها، وأن موروثنا بكل مكوناته لا يصلح للحياة المستقبلية، فراحت تبشر بأرض جديدة ودولة يهودية جديدة[(2)] ، لا تمت الى واقعنا الأصيل بصلة. وقد واكب ذلك كله محاولات طمس شخصيتنا القومية ببتر ماضيها والانطلاق نحو أخلاقيات وقيم الحضارة الغربية، وغدا محيطنا الثقافي ميدانا خصبا لأخلاط غريبة من الثقافات الغربية الصهيونية التي تتسرب الى وجداننا بألوانها المختلفة.

هذا التصدع الفكري المطبق أمام المد الثقافي الكاسح في جبهتنا الداخلية، وما تبعه من انهزام ثقافي أمام مهب التيارات الفلسفية والفكرية والسياسية الوافدة، تتساوى فيه كافة أنماط الفكر التغريبي الغربي، كما ينطبق على الفكر السلفي الذي راح يلوذ بالفرار من التحدي بأشكال من التقوقع والضياع المختلفة.

وما هو أكيد أن معركتنا الفكرية بكل أبعادها الحضارية التي لا بد لنا من خوض غمارها يجب ان يكون سلاحنا الأول فيها إيماننا بقيمنا الموروثة ومعرفة دقيقة لملامح

---

(1) الحكيم – التعادلية– ص 28.

(2) غسان كنفاني – في الأدب الصهيوني ص116 – دراسات فلسطينية ط1982 مركز الدراسات الفلسطينية.



مشروعنا الحضاري الغائب والذي ضيعته الخلافات الفرعية وغياب أو تغييب المشروع الحضاري القومي.

هنا بدأ مشروع توفيق الحكيم القومي محاولاً تدعيم الثقافة الشرقية والعمل على إنهاضها لتقف الى جانب الحضارة الغربية قوية غنية، وهذا الغنى لن يأتي في رأيه الا اذا عمل كل بلد من بلاد الشرق في أول الأمر على نفسه ليستخرج منها كنوز ماضيه، حتى اذا اجتمع لدى الدول العربية قدر عظيم من ثقافته، قدم للإنسانية باسم الثقافة الشرقية كما كانت تدعى حينها في بدايات القرن التاسع عشر.

إلا أن ما يدعو للأسف عند الحكيم ان بعض المفكرين الشرقيين يشكون ويشككون في حقيقة وجود «الثقافة الشرقية» وهم الذين بهرتهم انتصارات العلوم الغربية للحضارة السائدة الآن على العالم. فأعمتهم أشعتها الساطعة وأقعدتهم يسبحون بمجدها، ويفركون أعينهم التي لا ترى سوى هذا النور المتوهج.

ذلك كان في رأيه هو العمى والعقم والكسل كما وصفه، كذلك كان لا يقر تلك الفئة من الشرقيين الذين يظنون أن التحمس للثقافة الشرقية معناها الجلوس متدثرين في أطمار حضارة بالية. يصعرون خدودهم ويصيحون بألفاظ نعرة مضحكة وفخر كاذب وذلك كان لديه أيضا هو العمى والعقم والكسل[(1)].

لهذا كانت بداية مسيرته الأدبية مع رواية «**عودة الروح**» التي تعكس شخصية مصر الفرعونية، ثم رواية «**عصفور في الشرق**» التي تعكس شخصية الشرق العربي بكل تفاصيلها التاريخية والجغرافية، ثم مع مسرحية «**أهل الكهف**» التي تعكس رؤياه للزمن بين المجددين والسلفيين والتي يطالب فيها بأخذ ما يصلح للفضائل من تراثنا مع عدم التمسك بالرجعية الكافرة بالتقدم الذي وجده في الحضارة الغربية لاعتباره أنها من غير شك لديه أنها نهار للإنسانية بزغ نورها في عصر إحياء العلوم واستمر متألقا بكل أشعة العقل الإنساني وحده.

ولكن للأسف كان لنقاده الذين رفضوا أفكاره النهضوية لزجه بالفرعونية بعد تجريده من تراثه الديني واللغوي، وبعد بتر أفكاره لتحريفها الأثر البالغ في مواقفه السلبية في

(1) الحكيم –تحت شمس الفكر– ص81.

كهولته[(1)] ، فساهمت تلك العوامل بفقدان ثقته بنفسه وبأعماله جميعاً وهي التي تحمل ملامح مشروعه الحضاري. وقد جندت كثير من الاقلام لطمس مشروعه الحضاري فجعلوا مذهبه هو الفن للفن وهو ما درسناه في الجامعة اللبنانية، رغم أن مذهبه هو التعادلية الاسلامية، صحيح أنه ساهم في إقامة مسرحياته ورواياته على القوالب الاغريقية والأوروبية، حتى العبثية منها إلا أنه بقي شرقي التوجه، اسلامي الروح في كل نتاجاته حتى العبثية منها والتي كتبها كي لا يبقى هناك بابا مقفلا أمام أدباء العربية الجدد[(2)] مع احتفاظه بروح مذهبه التعادلي في نتاجه الأدبي المنوّع الذي أقام على أساسه نتاجه الأدبي في إطار رؤيه عربية اسلامية تحمل ملامح الحضارة الحقيقية التي كانت قديما في هذا الشرق والتي كانت ايضا في الحضارات الكاملة كما يدعوها [(3)] .

اعتبر الحكيم ان انهاض الثقافة الشرقية لا يكون الا بنهوض الشرقيين أنفسهم الى العمل، فيبدأون بالجري للحاق بما وصلت اليه الحضارة الغربية من انجازات مفيدة للبشرية، لا اخذ كل ما جاءت به من نظريات وفلسفات ومؤامرات. وفي إطار الانتفاع من الحضارة الغربية نراه يعارض مقولة أمين الريحاني، «أنا الشرق عندي فلسفات، فمن يبيعني بها طائرات، اعترض الحكيم على قول امين الريحاني مؤكدا ان الشرق الان ليس عنده شيء، وأن الفلسفات يوم كانت موجودة في الشرق، كانت لديه ايضا ضروب القوة المعروفة في تلك الفترة، ويوم انتقلت الى الغرب انتقلت معها بذرة روح الاختراع، فدماغ المهندس الذي يصنع الطائرة والغوصة والدبابة، هو دماغ كونته الفلسفات والفنون المختلفة على أنواعها.

أوجب مشروع النهوض الحضاري لدى الحكيم عدم إضاعة اي جهد بشري، علميا كان ام دينيا متأصلا، هكذا جعل الانسان الامثل لديه هو الذي يمشي على حبل مشدود عن يمينه العقل والفكر والضمير، وكل ما دخل في نطاق العالم الروحي، وعن يساره الغريزة والدم وكل ما دخل في نطاق العالم الحيواني – والتوازن هو المطلوب وهو امر عسير المنال في ظل الحضارة الغربية المسيطرة، وهنا كان اول معالم سقوط هذه الحضارة في رأيه

---

(1) د. غالي شكري –ثورة المعتزل ص69– –دار الآفاق بيروت– ط3– 1982.
الحكيم – تحت شمس الفكر ص 46 – و بمقارنة صفحات غالي شكري وصفحات تحت شمس الفكر تظهر جليا ملامح التحريف.
(2) الحكيم – يا طالع الشجرة – عم مقدمة المسرحية.
(3) الحكيم – ادب الحياة – ص177. عصفور من الشرق ص 173.

كان يرى الحكيم ان التعادل بين تطور الفكر وتطور الايمان هو الذي عرقل سير الانسان في طريق التطور الكامل، فما من مجتمع غير مجتمعنا البشري اهتدى الى الايمان الديني لان حياة الروح لم يلج بابها من مخلوقات الله سوى الانسان الذي أعطي آلة مفكرة قابلة للنمو هي العقل – وآلة شاعرة قابلة أيضا للنمو هي القلب، اداة الاحاسيس الدينية، والانسان لا بد له من نموذج للرقي وجدها الحكيم في النموذج الارقى – اي الله حسب اصطلاحاته التعادلية. وقد انطلقت هذه الرؤية من القرآن الكريم والانجيل[(1)]، فالإنسان مسؤول عن وجوده، وهو الذي يتحمل مسؤولية مصيره بعد ان منح الله الحرية للإنسان منذ البداية ليصنع تاريخه الفردي والجماعي بتعاون كامل حواسه من قوى العقل والقلب امام الله يوم الحساب [(2)] .

وهنا التقت الفلسفة الإسلامية القديمة ومع المعتزلة وابن عربي بالذات مع الفكر العربي المعاصر وهي تحمل ثنائيات العقل والقلب، وهي الملامح الواضحة في فلسفة المعتزلة، وهي التي تري ان اول واجبات المُكَلّف[(3)] معرفة الطاعات والمعاصي، ومعرفة الثواب والعقاب، فالله خالق الانسان قد ألزمه قديما وحديثا في رأيهم التكاليف التي هي غاية الحياة، لهذا فلن يتسنى للإنسان أداء التكاليف دون معرفة المُكَلف.

وهنا قصور العقل، لذلك ينبغي وجود القلب معه. وهي نقطة التقاء الفكر المعتزلي القديم والفكر الإسلامي الحديث لدى المفكر التعادلي. فكلاهما يتلاقى في نظرته الموحدة الى الذات الإلهية التي لا يستطيع العقل وحده ادراكها ثم في عدله بمقتضى المفهوم الإسلامي للعدل والتي تقوم أولا على مجاهدة النفس ومحاربة الغرائز الحيوانية الأرضية لأنها تعتبر ان إرادة الله تهدف الى غاية واحدة، هي مصلحة العباد جميعاً. ومصلحة العباد تقتضي «رقي» سلوكه الأخلاقي لهذا اصطلح حديثاً الحكيم على تسمية الله بـ» النموذج الأرقى الذي ينشط الرقي[(4)] في فترة سيطرت فيها نظرية داروين النشوء والارتقاء .

هنا –ومع الذات الإلهية بالذات بدأت رحلة توفيق الحكيم الفلسفية ورسالته الأدبية في عصرنا الحديث، فتناول إحدى القضايا الرئيسية في هذا الكون، والتي تطرق اليها

(1) القرآن الكريم سورة محمد – ايه 12 سورة الأنفال.
ومن المسيحية ايضا – مقولة سيدنا عيسى – ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكلمات تخرج من فم الله.
(2) د. نشأت الخطيب – التاريخ والمؤرخون العرب – تصور ومنهج شركة النعمات التجارية ط1، ١٩٩٠.
(3) في القرآن الكريم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم والمؤمنون)، سورة التوبة 105.
(4) توفيق الحكيم – التعادلية مع الاسلام والتعادلية، ص: ٥٢–٥٣ – ١٨٦.

فلاسفة عصره والعصور السابقة، ألا وهي الوجود في هذا الكون .. فبعد كل ما قام به الفلاسفة والمفكرين من الأبحاث والتأملات يلحظ شعور الفلاسفة هؤلاء بهذا الواحد الخفي الذي يحرك هذا الكون ويتحكم بمساره ومصيره، وقد حاول كل منهم ان يعبر عنها بطريقته وبما جاءت عليه نتيجة تأملاته فكانت في فلسفة نيتشه «القوة» التي قضت بهزيمة الإحساس الروحي وفي فلسفة برغسون «الطاقة الحية» وفي فلسفة شوبنهور «الإرادة» وفي فلسفة هيجل «المطلق» وفي فلسفة ماركس المادة وفي الأديان السماوية اسمه «الله» ((1)) .

لقد اتفقت جميع الآراء عند الفلاسفة عامة على ان هناك شيئا خفيا يحرك هذا الكون وكل الخلاف هو في تحديد الاسم، فما هو دور الله في ارتقاء الانسان فرداً ومجتمعاً ؟؟

هذا بعض ما شارك فيه الحكيم خلال مسيرته الأدبية، فقد شغلت تلك القضية كتاب عصر النهضة إذ إن هذه القضية كانت مطروحة في وجدان بعض الكتاب الذين عايشوا فترة التحضير لإقامة دولة اسرائيل وكان تيودور هيرتزل قد زف الى يهود العالم بعد مؤتمر بازل في سويسرا عام 1897 بانه سيقام الوطن القومي لليهود بناء على الوعد الالهي بعد خمسين عاما، وهو ما حصل فعلا بعد ذلك عندما تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار تقسيم فلسطين عام 1947 بناء على الوعد الالهي المزعوم.

**انعكاس فكرة الله في الأدب المعاصر**

انسجاما مع الفلسفات والافكار الحديثة أصبح الادب هو الاداة المعبرة عن مكنونات نفوس المجموعات البشرية، وبذلك تحول المذهب الانساني في الادب ليصبح مرادفا للثورة المادية التي تقترب من الالحاد بحجة مهاجمة الافكار الدينية فأصبح معها على الانسان ان يهتم بالمادة قبل الروح.

وقد حفل الادب الصهيوني باعتبار ان الاسرائيلي هو السوبرمان او الانسان الاعلى الذي نادى به الفيلسوف الالماني نيتشه الذي اعتبر أحد أكبر اعداء المسيحية. فإنسانية اليهود افضل من انسانية أي جنس آخر، ومن حق اليهودي ان يحققها عن طريق الاعتداء على الاجناس الاخرى وانتهاك ادميتها انسجاما مع معتقداتهم الدينية التي

(1) توفيق الحكيم سلطان الظلام –ص 16 –17 و العادلية مع الإسلام والتعادلية من ص 60 ~ 68.
د. مصطفى محمود – الشيطان يحكم – ص: 138 دار العودة بيروت عام 1986 .
د. عبد الرحمن بدوي نيتشه ص 217 مكتبة النهضة المصرية ط1 1945.

لخصها التلمود ونادى بها بروتوكولات حكماء صهيون فإسرائيل هي النموذج الارقى، وقد ترجم هذا الشعور نفسه في توجهات الادب الصهيوني ومضامينه الذي راح يشرح علاقة اليهود بأرض الميعاد استنادا الى تفسيره لأساطير يهودية قديمة([1]) .

قامت النزعة المثالية عند اليهود على أنهم شعب الله المختار، وهذا ما بلوره أدب كل من تيودور هيرتزل وعجنون في نتاجاتهما الأدبية، وقد ذهبت تلك الظاهرة بهيرتزل الى لادعاء بأن الارض المغتصبة كانت صحراء لا زرع فيها الى ان زرعها اليهود الذين اتو بالنخيل الى هذه الصحراء أي فلسطين فيما يعارضه توفيق الحكيم في رواياته ويدعوها بـ «جبل الزيتون» ([2]) .

هكذا استطاع الادب الصهيوني تغييب الشعب الفلسطيني حضاريا ليحملوه وزر التخلف وتحويل أرض العسل الى صحراء قاحلة وليظهر الفلسطيني في الأدب الصهيوني ككل وفي نتاجات هيرتزل بالذات إنساناً حقيراً تافهاً متخلفاً ينعم بكسله ورمزا من رموز العداء للحضارة والعمران وعنوانا للفوضى والتخريب تحكمه نزواته ولا يحكم بغير الشر والعدوان ([3]) وهنا يناقض هيرتزل نفسه ومضامينه الأدبية في نقطتين وهما:

**الصورة الأولى:** هي التي جعلت من فلسطين صحراء قاحلة ولم يسكنها أي انسان قبل ان يعمرها اليهود.

**الصورة الثانية:** حين اعترافه بوجود شعب بهذه الأرض، هذا الشعب الذي نعته هيرتزل بكل صور التخلف والهمجية بأبشع صورها.

هكذا تجاهل هيرتزل الشعب الذي كان يسكن ارض فلسطين ليجعل من اليهود في توجههم الى فلسطين انما يقدمون خدمة للعقل الغربي وحضارته، وفي ذلك يؤكد هيرتزل أن اليهود لم يفعلوا شيئا للأرض الجديدة القديمة سوى انهم نقلوا المؤسسات المتحضرة والنماذج الاجتماعية والاخلاقية المتحضرة التي كانت موجودة في البلاد المتحضرة في اواخر القرن التاسع عشر الى الأرض الجديدة أي النماذج الغربية.

وقد عزا المفكرون اليهود لشعبهم ولأنفسهم فعل كل عمران وحضارة على أرض فلسطين وأوهموا العالم ان الواحات الخضراء في فلسطين هي من صنع المستوطنين

(1) جورجي كنعان امجاد اسرائيل في فلسطين ص 4 دار الطليعة ط 1978
(2) توفيق الحكيم عصفور من الشرق ص 190
(3) غسان كنفاني، في الأدب الصهيوني، ص: 124-123

اليهود هكذا تحول الادب الصهيوني الى عالم الادعاءات التي تجعل من اليهودي اسطورة في الشجاعة والتفوق والعطاء الانساني اما الفلسطيني والعربي فانهم لم ينتجوا شيئا يستحق المشاهدة سوى الكباريهات... إلخ((1)) .

كان تيودور هيرتزل في رواية الارض الجديدة القديمة أبرز ممثلي الادب الصهيوني، ولقد حولت تلك الرواية هيرتزل الاديب والفنان الى هيرتزل السياسي، وقد اعترف هيرتزل نفسه ان هدف روايته لم يكن فنيا بل كان هدفا دعويا لهذا كانت ارض فلسطين في أدبه تستلقي بانتظار اليهود ليعودوا اليها فيصلحوها ويسكنوها((2)) .

إن الله عند العبريين كثيراً ما يرتكب الأخطاء التي كان يصلحها الربانيون. كما اعتبروا ان الله كثيرا ما يأخذ رأي الربانيين الذين يعيشون على الأرض في المشاكل التي تنشأ في السماء. وقد جاء في التلمود سفر الامثال شرحا لذلك يقول: «ان الربانيين يعلمون أهل السماء الابرار».

لذلك كانت كلمات الربانيين هي كلمات الله الحية، ومخافة الربانيين هي مخافة الله نفسه، و من يعاكس ربانه او يجادله ويتذمر منه كمن يعاكس العزة الإلهية، وقد تمسكت جميع الكتب اليهودية بان كلمات الربانيين وشروحاتهم، مهما كانت متناقضة فإنها اتية من السماء ((3)) .

ومن نظريات اليهود ان الله هو علة جميع الشرور التي تقترف على الأرض لأنه هو الذي خلق طبيعة الانسان السافلة، وهو الذي يقود الانسان الى الخطيئة لأن الله وحده هو المسؤول عن ذلك والمخطئ في ذلك هو الله(2).

كانت نظرية نيتشه التي اعتنقها هيرتزل تعتبر ان الله هو الإنسان الذي ينمي قواه ليصبح إله هذا الكون، وهنا تظهر ملامح التناقض واضحة بين الله عند هيرتزل ونيتشه وبين ما جاء في التوراة التي تقول:

- اتخذتكم شعبا وأكون لكم إلها. ((4))

(1) جورجي كنعان – امجاد اسرائيل في فلسطين – ص41
(2) غسان كنعاني – في الادب الصهيوني – ص 116 – دراسات فلسطينية ط 2 – 1982 – مركز التحرير للدراسات الفلسطينية.
(3) بولس مسعد –همجية التعاليم الصهيونية ص 27-26
(4) سفر الخروج-76

– تكونون لي خاصة بين الشعوب، مملكة وكهنة وأمة ((1)) .

– وتكونون لي قديسين، أنا يهوه إلهكم الذي ميزكم عن العالمين وقد جاء في التوراة أيضا مقولة الرب مخاطبا ابنته المدللة إسرائيل عن سائر أخواتها والمختارة من بين شعوب الأرضي جميعا قائلا ((2)):

بالوجوه الى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك((3)) .

–وبنو الغريب يبنون اسوارك ، فتنفتح أبوابك دائما ليؤتى اليك يغني الأمم وتقاد ملوكهم((4)) .

–ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم اما انتم فتدعون كهنة الرب تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون ((5)) . كان التفوق العرقي من المعتقدات اليهودية التي لخصتها كتب الدين اليهودية ونادى بها حكماء بني صهيون في بروتوكولاتهم خاصة سفر الخروج و نظرية السوبرمان التي ابتكرها نيتشه و دعا اليها هيرتزل(7).

استنكر بعض الكتاب العرب المعاصرين مفاهيم التفوق والألوهية عند اليهود منهم عباس محمود العقاد وتوفيق الحكيم، وفي أكثر من رواية ومسرحية منها رواية «الشهيد» لتوفيق الحكيم التي يبرز فيها مفهومه للأديان السماوية الثلاثة، كما يتناول موضوع الألوهية. في كتاب خاص عن سلطان الظلام وفي مسرحية صلاة الملائكة بالذات حيث يستنكر مفهوم اليهود للألوهية، فيتوجه بالخطاب الى اصدقاء الانسانية قائلاً في وصف إله بني اسرائيل:

– «يعبدون اليوم إلهاً جديداً يحل قتل الشعوب ويأمر بشريعة الأقوى ، إلهاً ذا مخالب وأنياب: مصفحا بالصلب والفولاذ((6)).

اما الله عند بني اسرائيل كما يقول عنه عباس محمود العقاد فهو إله قبيلة، وسبب

---

(1) سفر الخروج 91/5
(2) سفر لا بين 20
(3) سفر اشعيا 49/22
(4) اشعيا 6/10
(5) اشعيا 66/92
(6) الحكيم، سلطان الظلام، عن مسرحية صلاة الملائكة، الحكيم، شجرة الحكم السياسي في مصر في 1919 – 1970 ص: 25

ذلك لديه ان الديانة اليهودية لا عناية لها بالدعوة الى تقبل الناس الغرباء ، وقد اعتمدت صورة الاله في التوراة والانجيل على انه متميز للشعب الاسرائيلي فقط، وهو نفس المضمون الذي اقام عليه توفيق الحكيم رؤياه في رواية الشهيد((1)).

## الضوابط الأخلاقية في الميدان الفلسفي والأدبي القديم والمعاصر

شارك أدباء العربية في مرحلة النهضة المعاصرة في بداية القرن العشرين بالإدلاء بآرائهم في القيم الأخلاقية

التي ظنوا انها تسير بالأمة في طريق التقدم والرقي، فازدهرت الفرضيات التي اقيمت على الأسس الدينية أو الالحادية، وقد رأى بعض الكتاب العرب المعاصرين ان شرط إنسانية الأنسان لا تتحقق لديهم إلا بالدين، وهو المفصل الذي أضافه توفيق الحكيم الى الصورة الأفلاطونية التي ابتدعتها الفلسفة اليونانية الأفلاطونية للإنسان، والتي جاءت على شكل عربة يجرها حصانان وسائق. كانت الصورة الأفلاطونية قد قامت على عالم الحاجات الطبيعية الغريزية، وعالم العواطف وانفعالاتها، وكل من هاتين القوتين تندفع في الصورة الأفلاطونية. فلا تتزن الا إذا جاءت قوة العقل، هكذا جاءت على شكل عربة يجرها جواد العاطفة والشهوة وكان السائق هو العقل.

وعندما جاءت الصورة الافلاطونية من أثينا الى الإسكندرية، انطبعت بالطابع الشرقي الصوفي على يدي افلاطون الأسيوطي في القرن الثالث الميلادي، وهو الذي أنشأ ما يسمى بالأفلاطونية الجديدة، حيث بدأ اللاهوت المسيحي ينسق لأول مرة بين العقيدة الدينية والعقل الفلسفي من جهة أخرى، مما رسم الطريق أمام أوروبا المسيحية بعدها((2)).

بذلك يتضح لنا ان انتقال مركز الثقافة من أثينا الى الإسكندرية، لم يكن مجرد تغير في المكان فحسب، بل كان تغيراً في منهج التفكير كذلك، ودليلا على اجتماع أمرين لشرقنا، وقد اتسمت الصورة الأفلاطونية بصفات ثلاث هي: صفة الشجاعة للعاطفة- صفة العفة للشهوة ثم جعلت من العقل العنصر الثالث القائد وهو الذي يمسك بزمام هذه العربة((3)) .

---

(1) عباس محمود العقاد – ما يقال في الاسلام، ص:43 توفيق الحكيم – أرني الله ص:21-9 سفر الخوج 76- 5/91

– عجاج نويهض – بروتوكولات حكماء صهيون ج2 ط2 ص 122 – 124 – 228

(2) زكي نجيب محمود –أماكن ومواقف، ط 4- دار الشروق 1987 ص47

(3) د. زكي نجيب محمود-عربي بين ثقافتين ص 314

اما توفيق الحكيم في العصر الحديث، فقد عدل بهذه الصورة للإنسان، اذ جعل من الدين القيمة الاساسية التي تحكم العاطفة والشهوة، فالدين لديه هو الذي يضع للإنسان الحدود والمعايير، وهو الذي يعدل لإيجاد التوازن في اخلاقيات الانسان ومسلكه. فجعل الانسان المؤمن هو الذي يمسك بلجام العربة الافلاطونية، فالإنسان الممسك باللجام رمز الى هداية الدين وتخطيط العقل معا في آن واحد، وهو السائق بحياته في مسالك الارض، وبين سائر الناس والكائنات، فمن الدين يأتي الانسان السائق بالمعايير التي ترسم الحدود الفاصلة بين ثنائيات الخير والشر، والحق والباطل والارض والسماء، والانسان والحيوان.

وهذا ما تجسد في أدب الحكيم وفلسفته التعادلية الذي يبرز اثر توازن العقل و القلب في الرقي الانساني وهي التي نجدها ايضا في فلسفة ابن عربي وعبدالله الجيلاني في مفهومها للإنسان الكامل قديما[(1)] .

ولعل السبب في كثرة استعمال ابن عربي لتعبير الانسان الكامل هو ادراكه العميق لهذه المرتبة الكونية في تصورات المسلمين والقائلة بان الانسان الذي يتصف بالحيوانية من الجنس البشري، هو مخلوق جمع جميع حقائق العالم الارضي وحده، اما الانسان الكامل فهو مخلوق جمع جميع حقائق العالم الارضي، مضافاً اليها مجموع حقائق الحق الالهي وتوجيهاته لهذا اختلف مفهوم الانسان الكامل، عن الإنسان الحيوان في الفلسفة الاسلامية ويعود ذلك للسبب التالي:

ان الانسان الحيوان يرزق برزق الحيوان، ويتغذى كغذائه المادي، اما الانسان الكامل، فهو الذي يرزق الى جانب الغذاء المادي بغذاء الهي نوراني لا يناله الانسان الحيوان. فهو يتغذى من نور السماء، ومن علوم وطيبات الارض، و هذا لا يكون للإنسان الحيوان[(2)]. (وهذا ما وجدناه في مسرحية الطعام لكل فم ولكل فهم).

لقد اتفق اكثر الفلاسفة حول الدور المعطى للإنسان، فاعتبروه ظاهرة تقوى مع التربية و الممارسة، وعلى السيطرة على توجيه الغرائز والعقل معاً ليوجهها باتجاه أهدافه ليس على الصعيد الفردي فقط، بل في الميدان الاجتماعي الذي يتحول تلقائيا و باستمرار

(1) د. سهيلة عبد الباعث الترجمان : نظرية الانسان الكامل عند عبدالله الجيلاني، دار المقاصد للطباعة والنشر ط1، 2011. ص:218

(2) د. سعاد الحكيم–الموسوعة الفلسفية– معهد الانماء العربي ط1–م1986–1– مقالة تحت عنوان اصطلاح ومفاهيم ص 134 - 137.

الى ميدان السياسة[(1)].

انعكس الفكر السياسي في أدب الحكيم في كل مؤلفاته، فقد زعم الانكليز ان ما يقال له مصر ليس اكثر من قطر يتبع سياسياً الدولة العثمانية، وواقعيا الاحتلال الانكليزي، أي أن مصر ليست بدولة ولا بكيان له شخصية، ففكر في ابراز شخصية مصر المدفونة في الرمال منذ آلاف السنين، فكانت **عودة الروح** هي التي بدأ بها رحلته الأدبية مركزا على أداة القلب التي كان لها الاهمية الرئيسية في إنسانية الانسان. لهذا نراه يقول في عودة الروح: «أمة اتت في فجر التاريخ بمعجزه الاهرام، لن تعجز عن الإتيان بمعجزه او معجزات: – أمة يزعمون أنها ميتة منذ قرون ولا يرون قلبها العظيم بارزاً نحو السماء من بين رمال الجيزة، لقد صنعت مصر قلبها بيدها ليعيش الى الأبد[(2)] .

**مقومات عقيدة البعث في الأدب العربي المعاصر**

كانت عقيدة البعث بوجهيها الدنيوي والديني هي التي شكلت اللبنة الرئيسية في بناء توفيق الحكيم الأدبي، وهي حقيقة إيمانية لا تحتمل الرفض او المناقشة لديه، وهي الحديقة التي أنبتت زهرات فكره لاعتقاده ان عمل الفنان ليس في امتاع الحس فقط وتخوير الشعور بل يرمي الى ايقاظ التفكير والذاتية وتدعيم الشخصية مع اعتقاده بان الفن لا يزدهر عادة الا في مجتمع بزغت فيه عوامل الاحساس بحرية التعبير والرأي، واذا لم يكن كذلك انعكست الحالة عندها ليجد الفنان نفسه معطلاً من ناحيتين، ناحيته هو الذي لا يستطيع ان ينشئ فناً يوحي بتفكير حر، ومن ناحية الناس الذين وقفت عقولهم في هذا الجو الخانق عن النمو فالجو الخانق يصيب بالعطب والعطل في الوقت عينه اداة الإرسال واداة التلقي، وبهذا يتم الشلل الفكري في الأمة، وتكف شخصيتها عن النمو والنضج في طور بدائي من أطوار الرقي البشري[(3)].

آمن الحكيم بوجوب جعل قضايا البعث والزمن وحياً للأدب العربي المعاصر وهي من افكار مصر الثابتة التي ولدت في العصر الفرعوني الاول ولم تزل مع المسيحية والإسلام، لذلك رأى الحكيم ان مصر لم تقبل المسيحية والاسلام دينا لها لم تجد في هذين

---

(1) د. بشارة صارجي، الموسوعة الفلسفية، اصدار معهد الانماء العربي، م١– ط١– 1968 ص 142

(2) الحكيم، عودة الروح، ج2/240. و سجن العمر من 164– 155

(3) توفيق الحكيم فن الادب ص 181

الدينين فكرة والبعث في جوهرها ولبها. وفي راية ان سبب رفض مصر دين اسرائيل هو خلوه من تلك الفكرة التي لا تعيش مصر بغيرها ((1)) . فالواقع برأي الحكيم ان مصر كانت تؤمن ايمان عجيباً بانتصارها على الزمن بالبعث الدائم، وكان دوماً أداة هذا الانتصار هو القلب ((2))، وهو الذي ركز عليه تركيزاً كبيراً في مسرحية اهل الكهف وعودة الروح كما اتخذ الحكيم من آلة القلب وقضايا الزمن والبعث أساسا للتراجيديا العربية اعتقاداً منه ان سر اهمية التراجيديا انها صراع الانسان ضد قوى أخرى، هكذا كان الصراع عند الاغريق بين الانسان وآلهته، وعند الأوروبيين ومن خلال أعمال كورني وراسين حيث يقوم الصراع بين الانسان وعاطفته، اما عند توفيق الحكيم فقد وجد ان الصراع في التراجيديا العربية والمصرية يجب ان يقوم بين الإنسان وزمنه ((3)).

فالصراع بين الإنسان والزمن وما ادى اليه من فكرة التحنيط و التشييد عند المصريين القدماء، ثم الايمان بجنة الخلد في المسيحية و الاسلام، هذا الصراع بين الانسان وزمنه، أي عوامل الفناء التي تهدد كيانه وتهدد بنيانه و تحلل شخصيته هو الذي جعله اساسا في اقامة التراجيديا العربية و ذلك لاعتقاده ان فكرة البعث تصلح وحيا للأدب العربي الحديث، وهي المعيار امام الله تعالى يوم الحساب في خيارات الانسان بين الخير والشر ((4)).

وفي مفهوم الزمن اتت اسفار اليهود التاريخية تسجل ما اتاه ربهم لأجلهم، وفكرة اليهود في التاريخ تدور حول شعب اسرائيل اولا، وقد رأى بعض علماء اليهود ان الله يتصرف بالانسان دون ان يكون للإنسان موقف او دور اما فلسفة الزمن في الفكر المسيحي فلم تخرج عن كونها ملحمة مقدسة تمتد من بدء الخليقة حتى يوم الحساب والزمن ليس سوى المظهر الفعلي للصراع بين الله وقوى الشر وهو صراع بين مدينة الشيطان ومدينة الرب.

اما عند المسلمين فقد كان للزمن اثره الفعلي في التاريخ وحركته فقدم مفهوماً خاصاً

---

(1) توفيق الحكيم من شمس الفكر ص 103

(2) الحكيم، عودة الروح، ج2/240. و سجن العمر من 164- 155

(3) الحكيم مسرحية **اهل الكهف** ص: 155. **وعودة الروح** ج 2، ص:240 –245 وتحت الشمس وهي مقدمة **مسرحية الملك أوديب**، ص:41–40–29

(4) الحكيم تحت شمس الفكر ص 102 103

للحياة ولمصير الانسان جعل فيها للفعل الانساني الدور الكبير، والانسان بهذا المعنى اصبح هو صانع تاريخه ومصيره، وذلك بعد ان منح الله الانسان مسؤولية صنع تاريخه الفردي والاجتماعي بحرية لتشكيل مصيره بتعاون حواسه من قوى العقل والقلب والتي يتشكل منهما معاً مسؤولية الانسان امام الله يوم الحساب ((1)).

كان لمسؤولية الانسان امام الله تعالى هي الأساس الذي بدأ به الحكيم مسيرته الادبية مع عقيدة البعث متخذاً من القلب الأداة المحركة في مختلف الاتجاهات هكذا تحرك القلب في رواية عودة الروح كما هو في رواية عصفور من الشرق في اتجاه ازدراء الحضارة الغربية المعاصرة وعلومها العقلية التي لا تسمح للناس ان يعيشوا الا في عالم واحد وهو سبب رفضه لها، مفضلاً عليها الحضارة الشرقية التي تسمح للإنسان ان يعيش في عالمين، لذلك فهو يقول في رواياته المختلفة:

ان الغرب يكتشف الارض والشرق يكتشف السماء ((2)).

وفي تعريفه للعلوم وانواعها يقول في صوره الادبية: العلم علمان: «العلم الظاهر والعلم الخفي»، وان اوروبا حتى اليوم طفلة تعبث تحت اقدام ذلك العلم الخفي، الذي كانت حضارات أفريقيا وآسيا قد وصلت به الى قمم المعرفة البشرية. إن قمم المعرفة البشرية هي مجاهل ذلك العلم الخفي الذي لم يدخل قط عقل أوروبا، لأن وسائلها لا تهيئها الا لفهم مظاهر الحياة السطحية.... انّها مدينة لا تعترف الا بما يقع تحت لمسها وبصرها ومنطق عقلها، ولا تقوم الا على عالم المحسوس، ان عين الأوروبي لا تقع الا على سطح الأشياء، ولا تقوم الا على عالم المحسوس... ان هي الاّ مدينة ناقصة، لأنها لا تعرف العيش الا في عالم واحد ((3)).

كما انتقد بشدّة المسار الأخلاقي للحضارة الغربية ومصير العلم فيها بقوله:

- «تلك هي نتائج العلم التطبيقي عندما ترك في أيدي الأوروبيين، وذلك أثره في النّفس الانسانيّة، تجد أنّه استحال قنابل وغازات خانقة وطوربيدات وغواصات ودبابات الى آخر ذلك الابداع والتفنن في وسائل الفتك بأجسام البشر.... فالعلم التطبيقي في الغرب كل محوره تحطيم البشرية روحاً وجسماً...

(1) د. نشأت الخطيب التاريخ والمؤرخون العرب ص 88
(2) الحكيم عصفور من الشرق ص 103 وص:188 و190
(3) الحكيم- عصفور من الشرق- ص 188

– انّ العلم تلك الماسّة العظيمة لم تضعها أوروبا في قمة عمامتها لتشع نورًا وجمالًا، ولكنها وضعته في سن مخرطة بخارية لتقطع ذلك الكأس العظيم، كأس البشرية الممتلئ بما روحها ومادة جسدها ((1)).

– وعن خصائص الشعوب بين الشرق والغرب نراه يقول في بحثه عن جذور كل شعب وبأسلوبه الإنشائي المميز:

- اذا كانت الأديان السماوية هي الحق، فلا بد أن تكون قديمة قدم الحق أو على الأقل قدم الانسان، فالأنبياء اذن لم يخلقوا الحق بظهورهم، ولكنّهم كشفوا عن وجوده الأزلي، اذن فلا غرابة على ضوء ذلك من البحث عن منابع الوثنيَة في قلب الانسان من يوم ظهوره على هذه الأرض((2)).
- قلت وأقول الجوهر باق دائمًا((3)).
- أين اذن قانون الوراثة الذي يصدّق حتى على الجماد((4)).
- إنّ الفرق بين عبقريّة الغرب الروحيّة، وعبقريّة الشرق الرّوحية كالفرق بين المشعوذ والمسيح((5)).
- لا تنكري أن المعجزة تتخذ لون الأرض التي تظهر عليها، وأن العظيم يتغذى ككل نبات بعناصر التربة التي ينبت فيها.... لا تحسبي عبقرية ألمانيا أو أوروبا تصلح لإبراز نبي من أنبياء الشرق((6))...

وفي وصف الحضارات القديمة التي جعلت الناس يعيشون في عالمين يقول: «لقد عرفت تلك الحضارات العلم، والعلم التطبيقي فالحضارة التي تشيد الأهرام لا يمكن ان تجهل العلوم التطبيقية، ومع ذلك فالعلم لم يفسد من الرؤوس زجاجات الصور التي تمثل الحياة الأخرى. تلك الحضارات يسميها الحضارات الكاملة((7)).

وفي وصفه للعالم الغربي الذي يعيش في عالم واحد يقول في صوره الأدبية: «ان

(1) الحكيم– عصفور من الشرق ص 179– 181
(2) توفيق الحكيم – زهرة العمر– ص 329
(3) توفيق الحكيم –عودة الروح ج 2– ص 62
(4) توفيق الحكيم – عودة الروح ج 2– ص 55
(5) توفيق الحكيم – عصفور من الشرق– ص:183
(6) توفيق الحكيم – حماري قال لي – ص:38
(7) الحكيم –عصفور من الشرق – ص 172

الغرب انما عاش أجمل حياته في ذلك الحلم السماوي الجميل وذلك العالم العلوى الذي صنعه الشرق .... وان ضياع الغرب لم يبدأ الا يوم افاق من هذا الحلم لينزل الى عالم واقعه يدب في هضابه المتحجرة ووديانه الجافة كما تدب الحشرات([1]).

وعن نتائج الإلحاد يقول:

– ما من شخص يجحد الله الا ويجحد الانسان ([2]).

– اني اخشى ان تكون أوروبا موشكة على دفع الانسانية الى هوة([3]). .

كل شيء في هذه المدينة الحاضرة يتآمر على قتل الفضائل الإنسانية العليا وصفاتها الادمية السامية. ([4])

وعن واقع العالم العربي المتردي امام حضارة الغرب يقول: «مركب النقص في الشرق يخيّل إليه دائما ان الغرب لا يمكن ان يتأخر، وما الغرب في حقيقة الامر الا متخلف جدا في كل شؤون الروح والحكمة العليا([5]).

وعن واقع العالم العربي يقول أيضا في صوره الأدبية:

ان ثياب الشرق الجميلة النبيلة، وهي اليوم خليط عجيب من الثياب الاوروبية يثير منظره الضحك كما يثير منظر قردة اختطفت ملابس سائحين من مختلف الاجناس وصعدت فوق شجرة ترتديها وتقلد حركات أصحابها([6])

وعن ممارسات العالم الغربي يقول:

–الغرب.... كل منبع للسعادة يسممه الغرب، حتى منبع الدين، وكل جار له يحطمه، حتى لو كان مصدرا للعلم والتفوق والاختراع([7]).

وعن تأثير ذلك على العالم العربي يقول:

–نعم اليوم لا يوجد شرق، انما غابة على اشجارها قردة تلبس زي الغرب على غير

(1) الحكيم– عصفور من الشرق ص 103
(2) الحكيم – عصفور عصيا الحكيم ص41
(3) الحكيم عصفور من الشرق ص108
(4) الحكيم عصفور من الشرق ص180
(5) توفيق الحكيم –فن الادب 119
(6) توفيق الحكيم– عصفور من الشرق ص190
(7) توفيق الحكيم فن الادب ص117

ادراك ولا ترتيب ولا فهم ولا ادراك[(1)] .

ثم يفصل في نظرته لمقومات الشرق والغرب قائلا: «ان طابعنا الفكري وطريقة نظرتنا الى الاشياء وتقاليدنا واحساسنا بالجمال الذهني ومشاعرنا كل ذلك ينم عن عقلية خاصة وعبقرية مستقلة لا ينبغي ان تتحلل أو تتزايل تحت طغيان موجه اقوى... فاذا نادينا بالوحدة العربية فإنما ذلك لندعم كتلة الروح الشرقي امام كتلة الروح الغربي ثم يرفع صوته قائلا ان الشرق لن تقوم له قائمة إذا بقيت فيه ذرة في روح التنابذ والتحاسد فإن لم يسعفنا التعاون والتساند فلنوقن بسقوطنا العاجل بين فكي الغرب النهم[(2)].

وعن حال اوروبا تاريخياً يذكر قارئه قائلا: «لا تنس ان اوروبا هي الوحيدة التي أعدمت في يوم علمائها حرقاً واتهمتهم بالسحر والجنون وخنقت حرية الرأي حتى في شؤون الأدب والفن، وجعلت من المسيحية التي تبشر بالمحبة سلاحا للفتك امام محاكم التفتيش[(3)].

لأجل ذلك نراه ينذر بسوء المصير قائلا: «إنذار بالويل فقد طغت شهوة الاستبعاد في أمم تسمي نفسها راقية»، فنبذت تعاليم اولئك الذين يوم عرفوا انفسهم كشفوا للإنسانية عما بها من جمال وصفاء وسلمت نفسها لأولئك الذين جهلوا انهم جهلاء فايقظوا فيها غرائز الجشع والظلم والدماء [(4)].

كل هذه الصور التجريدية كانت لاعتقاده بأن سيطرة الغرب على الشرق اليوم لا تكتفي بالإخضاع المادي والاقتصادي، انها تشمل ايضاً الاخضاع الروحي، ثم يضيف: من يسلبك بلدك يسلبك روحك.

بريطانيا في الشرق الاوسط والهند، وفرنسا في شمال افريقيا، عين الخطة والطريقة، و ليس الباعث في كل الأحيان أصبع الاستعمار وحدها، ولكن وجود غالب ومغلوب يؤدي حتماً الى تغلب روح على روح، وفكرة على فكرة ليتلاشى المقهور في القاهر[(5)].

لذلك يناشد العرب الشرقيين قائلاً:

---

(1) توفيق الحكيم عصفور من الشرق ص189
(2) توفيق الحكيم قمت تسمى الفكر ص 111
(3) توفيق الحكيم من البرج الحاجي ص 179 و توفيق الحكيم عصفور من الشرق ص 180 181
(4) توفيق الحكيم حمار الحكيم ص 160
(5) توفيق الحكيم فن الادب ص 124

«الروح والجوهر... هنا نقول للغرب قف، حذار ان تمس هذا الجانب في الشرق، مهما يكن من أمر اتهامه لنا بالرجعية، فنحن اقدم عهدا واكبر سنا...ونحن نعرف انه الآن في شبابه المتقد لا يمكن ان يتريث ليبحث عن معونة، ولكن غدا عندما يقعده الكبر وتذله الهزيمة ويذهب عنه الغرور ربما وقف لحظة وتلفت حوله يلتمس الهداية، فلن يجد له عندئذ من هاد غير الشرق مهبط الحكمة ومنبع النور [(1)]».

هكذا نراه يكمل تحذيراته قائلا:

الواقع يقول لنا... اتبعوا الشمس حيث تسير، وافحصوا كل شبر من أرض يقع عليه منها شعاع ... تجدوا راية غربية، وفتوحا حربية ومطامع استعمارية [(2)].

وفي كيفية التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب نجده لا يقع بالعنصرية البغيضة، اذ كان يرى ان هذا العصر هو عصر صراع لا بين القوى المادية وحدها بل بين القوى الفكرية ايضاً، لذلك نراه يقول فيما يجب ان نأخذ من الغرب بأنه يجب أن:

« نأخذ ما في رؤوسهم وأن ندع ما في نفوسهم، ذلك أن إحساسنا ملكنا وإحساسهم ملكهم، فالشعور طابع شخصي لا ينقل ولا يستعار، ولكن المعرفة ملك مشاع يتداوله الجميع، فما من شعب في هذا المعترك العالمي الحاضر، يغتفر له الجهل بعلم من العلوم، او أدب من الآداب، أو فن من الفنون، ولن تقوم للشرق نهضة حقيقية الا اذا احاط بكل معارف الأرض إحاطة شاملة، ثم صهرها في قلبه، واخرجها مرة أخرى معدناً نفيسا يشع أضواء جديدة [(3)]».

## أثر عقيدة البعث الدينية في الفكر الفلسفي المعاصر

حمل بعض الادب العربي المعاصر ملامح فلسفة العرب الدينية لاعتباره أن لا أصالة صادقة دون معاصرة فاعلة...، هذا ما تقوله الفلسفة الوجودية المعاصرة، فماضي الانسان مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحاضره ومستقبله ليس سوى امتداد لذلك الماضي... والذاكرة التاريخية هي التي تحفظ للوجود الفردي والجماعي وحدته، وهي التي تجعل حياته متماسكة ملتحمة الأسباب والنتائج، والتاريخ ذاكرة الشعوب والأمم الذي يحفظ لها وحدتها، وتختزن فيها مفاخر ماضيها وآمالها بالمستقيل، والأمة التي فقدت تاريخها هي

(1) توفيق الحكيم فن الادب ص 121
(2) توفيق الحكيم – فن الادب من 116
(3) توفيق الحكيم – فن الادب من 122 – 123

اشبه بالإنسان الذي فقد ذاكرته، فهو ضائع لا يدري له اصلاً، حائر لا يعرف مستقراً....

من هنا راح بعض المفكرين المعاصرين يحضون للإبقاء على ما هو ثابت في تراثنا وجدير لإقامة أساس جديد لانطلاقة ناهضة لأمتهم في وجه الماسونية بمختلف وجوهها الإلحادية والداروينية والماركسية والعلمانية والصهيونية.

ومن هنا انطلق الفكر العربي المعاصر الى الحض على ما هو ثابت في تراثنا وجدير لإقامة اساس جديد لانطلاقة حضارية ناهضة لأمتهم وقد وعت المنهج السماوي للمعرفة قيماً رفيعة قررت كرامة الانسان وأعلت شرف العلم وغاياته واعزت آدمية الفرد وحفظت حياته، لا على شكل صراعات دموية كما أرستها وامتدت بها حضارة محاكم التفتيش – ونعني هنا الحضارة الغربية التي أقامت اسرائيل كنتاج طبيعي لمقوماتها الاخلاقية.

من هنا جاءت الصورة لأحد اقطاب الفكر العربي المعاصر للمفهوم الخاص بالإنسان والحيوان، وهي الفلسفة التي اقام عليها توفيق الحكيم صوره الفنية وفلسفته التعادلية، القائمة على الثنائيات، ثنائيات الخالق والمخلوق والأرض والسماء والدنيا والآخرة... إلخ.

حيث كان جوهر التعادلية لا يعني التساوي والاعتدال او التوسط في الأمور، بل يعني التقابل او القوة المعادلة، وإذا لم يفهم معنى الكلمة على هذا الوضع فإن التعادلية تفقد حقيقة معناها ومرماها، فالتعادلية هي الحركة المقابلة والمناهضة لحركة أخرى، فالواحد الصحيح في التعادلية يساوي صفرا في اصطلاحاته.

والحياة الإيجابية تبدأ من العدد «اثنين» اذ بوجود شيئين توجد علاقة بينهما، أي الحركة والحياة، وكل حركة يجب ان تقابلها وتناهضها حركة، وكل قوة يجب ان تعادلها قوة، فقوة السلطان في التعادلية هي حركة سلبية لا بد لها من حركة مقابلة ومعادلة لها في القوة وهي قوة المحكوم لتبدأ في المجتمع حياة إيجابية. فالتعادلية في جوهرها ترى ان الواحد الصحيح وجود سلبي وهو خطوة بعد العدم، وهو من حيث الحركة الإيجابية يساوي صفرا، لأنه لا يقام غيره. ولا يجد من يقاومه، وبانعدام المقاومة تقف الحركة، هكذا كانت الحياة الإيجابية في التعادلية الإسلامية لا تبدأ الا من العدد «اثنين».

ولكي يظل الاثنين موجودا دائما يجب ان يحافظ كل واحد فيه على قوته الخاصة، فاذا تضخم واحد على حساب واحد آخر، او ابتلعت قوة أحدها قوة الآخر، رجح العدد

اثنين الى واحد صحيح، أي الى الوجود السلبي.

- التعادلية اذن تفسر الحياة بأنها ضرورة وجود جملة قوة تتقابل وتتوازن مناهضة بعضها في الكون والمجتمع. وان العدم يبدأ بابتلاع جميع القوى في واحد صحيح - الواحد الصحيح هو السكون-.

والأعداد المختلفة المقابلة هي الحركة المعادلة المناهضة هي فلسفة الحركة المقابلة المعادلة..... أي الحياة. لهذا دعت التعادلية لاحتفاظ الفرد والمجتمع بقوته الخاصة حرة مستقلة لتعادل بها وتقابل القوى الأخرى التي تريد ان تبتلعها بذلك تقاوم وتحيا.

**التعادلية هي مقاومة الإبتلاعية:**

هكذا تقول التعادلية: عادل وجودك كما فعلت ارضك ازاء الشمس..... وازن نفسك تجاه القوى المواجهة.... والا ابتلعتك وأصبحت وقوداً لها وطعاماً وصرت عدماً.

ومما تقوله التعادلية ايضاً:

كل قوة تتضخم تريد ابتلاع غيرها ......... ففي المجال السياسي والاجتماعي مثلا» الرأسمالية ارادت ابتلاع العمل... الاستعمار يريد ابتلاع الشعوب الطبقة القوية تريد ابتلاع الأمة كلها..... الغرب يريد ابتلاع الشرق. والتعادلية هي فلسفة القوة المقابلة والحركة المقاومة للابتلاعية ((1)) .

هكذا نرى أن القيم الدينية والروحية ليست مجرد ترف عقلي انما كانت ضرورة بشرية واجتماعية فمن دون الأخلاق يستحيل الانسان الى حيوان، وهو المفهوم الذي كان قديماً في الفكر الفلسفي وهو نفس المفهوم في الفكر الفلسفي المعاصر، فالذي يفرق الإنسان عن الحيوان هو الكم المضاف إليه من قيم، ليس فقط من معلومات وانما من قدره على ترتيب تللك القيم بحيث يستطيع الفرد وبعد حسن تنميته وتوجيهه ان يستخلص لنفسه فلسفة او نهجا» يزاول بها حياته فالإنسان دوناً عن الحيوان مزود الى جانب الغريزة بعقل لا بد ان يعمل واذا لم يعمل هذا العقل في اتجاه صالح فلا بد ان يعمل باتجاه خاطئ واحياناً اجرامي وهو ما نراه واضحاً جلياً بإقامة إسرائيل.

---

(1) الحكيم – التعادلية مع الاسلام والتعادلية ص: 158-157-156-155

لذلك كانت اولى فضائل الفرد التمسك بتراث امته الحضاري وقيمها الروحية والاخلاقية حيث ميزت بين الانسان والحيوان، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذي كلفه الله في اعمار الارض لا تدميرها ، وهو المخلوق الوحيد المطلوب منه ان يمشي على الصراط المستقيم بين جاذبية الارض وجاذبية السماء وان يعمل للعالمين معاً ليس فقط للعالم الأرضي الذي هو كل عالم الحيوان طوال مسيرة حياته، وهي الثنائية التي توازن بين العقل والقلب التي كانت قديما» في الفلسفة الإسلامية.

من هنا جاء المفكر التعادلي المعاصر توفيق الحكيم بآلهة البعث (ايزيس) من مصر الى لبنان مروراً بالأقطار العربية كافة تجمع منها اشلاء زوجها المبعثرة (اوزيريس) وبعد هذه الرحلة الطويلة تتجح (ايزيس) في جمع اشلاء زوجها في الجنوب اللبناني لتعيد إليه الحياة مع اناشيد لصيدا وصور والمقاومة وقد اهدى هذه المسرحية الى جيل عربي جديد ومختلف عن الجيل الذي كان يعرفه جيل لم تسقط هاماته شموسهم لم تنطفئ [(1)] .

هكذا رأينا في أدبنا العربي المعاصر التقاء جدية العلم بمفاهيم الأديان السماوية وصرامة الفلسفة ووقارها مع عبثية الفن الروائي ليكونوا جميعاً تتويجاً صريحا وصارخاً لسخرية المصير وسوء التقدير.

---

(1) مثلت هذه المسرحية على خشية المسرح القومي في القاهرة ببطولة كرم مطاوع وسهير المرشدي الى جانب فريق كبير من الممثلين

# 2 – البعـد الوطنـي والبعـد القومـي فـي شعـر حسيـن حيـدر

The national and national dimensions in the poetry of

Houssein Haidar



**بقلم الباحث : حســن توفيــق مظلــوم.**

باحث في اللغة العربية وآدابها

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها قيد المناقشة، جامعة الجنان

dr.hassan.mazloum@outlook.com

**ملخص:**

يتناول هذا البحث البعدين الوطني والقومي في شعر حسين حيدر، مجسدا رؤيته حول الوطن والأمة العربية التي يريدها قوية في وجه الأعداء...

فالوطن عند حيدر متوحد في حالته الشعرية بكل ما فيه من إنسان، وعناصر طبيعية، فولاؤه له مطلقا، والطاعة واجب مقدس...

أما الهموم العربية فيترجمها من خلال رؤيته الفكرية المنتمية إلى مرحلتين حزبيتين :بعثية، وناصرية،حيث برز قلقه من التشرذمات العربية،لذلك كانت قضايا الأمة العربية محور الاهتمام في قصائده،داعيا إلى الوحدة، ومتغنيا بالقدس وبالماضي العربي المجيد...




**Summary:**

This research deals with the national and national dimensions in Hussein Haidar's poetry, embodying his vision about the homeland and the Arab nation that he wants to be strong in the face of enemies... For Haidar, the homeland is unified in its poetic state with all its human beings and natural elements. Loyalty to it is absolute, and obedience is a sacred duty. As for the Arab concerns, he translates them through his intellectual vision belonging to two partisan phases: Baathism and Nasserism, where his concern about Arab fragmentation emerged, so the issues of the Arab nation were the focus of attention in his poems, calling for unity, and glorifying Jerusalem and the glorious Arab past...

**المقدمة:**

- **البعد الوطني:**

1. التوحد بالأرض.
2. العشق الجديد.
3. البعد الانساني للأرض.
4. الولاء والطاعة.

- **البعد القومي:**

1. الدعوة إلى الوحدة العربية.
2. الحنين إلى الماضي العربي.
3. القدس بين الواقع والرمز.
4. عودة الماضي المجيد.

**- خاتمة البحث.**

**- تمهيد:**

تكثر في شعر حسين حيدر القصائد ذات الاتجاه الوطني التي تجسد رؤية الشاعر إلى الوطن، وما يعانيه من اشكاليات، فضلاً عن البعد القومي، الذي يتضمن رؤية حيدر إلى الأمة العربية وتكوين دولة قوية تتصدى لمخططات الأعداء، وقد أشار إلى الإنجازات التي تحققت في عهد بعض قادة العرب ولا سيما جمال عبد الناصر. نقرأ في قصائده نقمة على الخونة العرب الذين يقضون على الإنجازات القومية ويطعنون التاريخ العربي، فضلاً عن الإطار الإنساني، الأمر الذي يجعلها تجارب إنسانية صادقة. وتشمل أبعاداً قيادية وقتالية واستشهادية.

إن هذا البحث يطرح إشكالية البعد القومي في شعر حسين حيدر، ويتفرغ إلى مباحث هدفها تسليط الضوء على العنوان الرئيس لهذا البحث.

**- البعد الوطني:**

شكلت العناصر البشرية، والطبيعية، وحدة متكاملة تمثل اندماج الشاعر بالأرض، ففاضت قصائده محبة وتوحداً معها.

وليس هذا بغريب على شاعر اتخذ حب الوطن قضيته الجوهرية بعيدا عن المتاجرة والتزلُّف.

لا نريد من هذا التمهيد أن نقدّم نتيجة لدراسة البحث، إذ يكفي أن الشاعر والدواوين التي أصدرها تحمل هموم القضايا الوطنية، وهذا ما دفعني إلى جعل هذا البحث عنواناً رئيساً يتفرع إلى النقاط التالية:

1-التوحد بالأرض.

2-العشق الجديد.

3-البعد الإنساني للأرض.

4- الولاء والطاعة.

## 1. التوحد بالأرض:

يبرز الشاعر المستوى الإنساني وقد توحد بالأرض ليكتسب بعداً وجودياً، ففي قصيدة له بعنوان«لَم لم تحملهم في عينيك»، وهي مهداة إلى روح الشهيد طربيه العنز أول فلّاح لبناني مقاتل،[1]

«... وذهبتَ لتسقي حقلَكَ ماءْ

وهناكَ فتحتَ شرايينَكْ

وصفعتَ بها وجهَ العالمْ

ممنوعٌ أن يأتي الغرباءْ...»[2]

الأبيات موجهة إلى طربيه العنز، حيث تقدّم المخاطب متوحداً بالأرض توحّداً تموزياً، لأن الشرايين التي تنفتح على الأرض تصبح جزءاً منها، وكأن ثّمة قنوات تربط بينهما، فالشرايين تحوّلت إلى جرح مفتوح يروي الأرض يوم الشهادة، التي تأبى أن تستقبل الغرباء في مملكة الوطن «ممنوع أن يأتي الغرباء»، فالحقول تُسقى الماء فتعطي الخصب، وتُسقى الدماء لتطرد الغرباء. الجرح، الشرايين، الدماء، مفردات لوّنت قصائد حسين حيدر، لأن ينابيع الأرض جفَت على أرض الطغاة، وتفجرّت ينابيع من دماء لتعيد الحرية وتعود الينابيع.

لقد استطاع الشاعر من خلال هذا النص أن يقدم المقاوم بأبهى صوره، مانحاً إيّاه بعداً عالمياً، «وصفعت بها وجه العالم»، ولكننا نلاحظ أنَّ الشاعر يخلط بين المفاهيم الوجودية، والتموزية دون أن يكون هناك دقة في توظيفها، وإنما جاء استعمالها بعفوية تأخذ بعين الاعتبار الشروط الفنية الخاصة بهذه المفاهيم.

## 2. العشق الجديد:

العشق موضوع كثر طرحه في الشعر العربي، لكنّه اتخذ منحىّ جديداً عند حيدر، يجمع المحسوس فيكثّفه ليرقى إلى مستوى المجرّد، بل يفوقه أحياناً، ففي قصيدة له بعنوان «أرنون» (كتبت هذه القصيدة قبل سقوط أرنون بسنة ونصف). وعندما سأل

(1) حيدر، حسين، الديوان، ج1، لّم لم تحملهم في عينيك» ( وقد نظمها سنة 1972)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1985،ص:194.
(2) م.ن، ص:196.

القائد الإسرائيلي عن الأسرى أجيب:» ليس من أسير، قاتلوا جميعاً حتى الموت: «[1]

«... كم عاشقٍ عندكُمْ تابَتْ لواعُجهُ

وعاشقٍ من صخوري الصُمِّ لمْ يَتُبِ

فسلْ صخوري عن العشقِ الجديدِ، فقدْ

تُنــبيكَ واحـــــدةٌ عــن قصَّةِ النُدُبِ

عـن الجــراحِ التــــي سالَت بلا ألمٍ

وعـــــن حـــنانٍ يساوي صخرةً بأَبِ

تــوحَّـدُوا لا تســـلني كيفَ، قُلْ لهمُ

يا شاعرَ الأرضِ والأمطارِ والحُجبِ

جِــراحُهُمْ حَفَرَتْ فــي الصّخرِ لافـتةً

تقولُ: ماذا جرَى يا أمَّةَ العربِ...»[2]

هذه القصيدة أهداها حيدر إلى ابنه «رواد» قبل سقوط قلعة أرنون بسنة ونصف؛ حيث قيل: إنّ قائداً إسرائيلياً سأل عن الأسرى، فأجيب بأن ليس من أسير، فقد قاتلوا جميعا حتى الموت داخل القلعة، وفي هذا الإطار التاريخي يتوجه حيدر إلى المقاومين متحدثاً عن كثرة عشاق الشهادة، الذين لا يكفّون عن السير قدماً في هذا الطريق، فالمعروف أن العاشق يمرّ بأوقات تفتُرُ فيها عواطفه، أمّا المقاومون فإن عشقهم الشهادة يزداد يوماً بعد يوم:»وعاشق من صخوري الصُّمِ لم يتُبِ»، علماً أن هذه الصخور شهدت قصصاً عن النُدب «والجراح التي سالت بلا ألمٍ، «والجراح لا تكون كذلك إلا في سبيل قضية كبرى كالأرض؛ ومن هنا يأتي توحد المقاومين ردّة فعلٍ طبيعية على تخاذل العرب وآثامهم وانقسامهم.

فيبقى المقاومون الضمانة الوحيدة للأمة: «تقول ماذا جرى يا أمّة العرب».

وانتماء الشاعر للأرض، هو انتماء عقائدي، وجودي، لأنه يشمل كل ما يمّت إلى

(1) حيدر، حسين،الديوان،ج1، «أرنون» وقد نظمها في 15/1/1981.
(2) م.ن.،ص:96، 97.

الإنسان بصلة: الحياة، الموت، الصراع الدائم بينهما، وهذا ما يدخله دائرة الصراع الوجودي.

ويمكننا أن نلاحظ مما تقدم ترداد كلمة الصخر، فقد وردت في النصين السابقين أربع مرّات[1]، ولم يكن ورودها عادياً فقد جاءت مقترنة بما هو إنساني (ذاكرة، جراح، سل، حنان...)، وهذا يوحي برؤية حيدر المتجذرة انتماءً للأرض، فهو صمود يشترك فيه كل شيء من الإنسان، والصخر، ليشكلا وحدة متناغمة تحفر مجراها في أعماق الشاعر.

إن أهم ما يلفت في هذا العشق الجديد هو جدّته بالفعل، فأن تسأل الصخر عن العشق الإنساني فهذا يخالف القاعدة الغزلية العربية القديمة، من حيث إن الرجل هو الذي يبحث عن المرأة فيفتش عن مفاتنها، أما هنا فالصخر مُطالب بالإفصاح عن هذه الحالة من العشق، وهذا ما يخلع على رؤيته بعدا حداثياً.

### 3. البعد الإنساني للأرض:

يتّحد البعد المادي، بالحس الإنساني في شعر حسين حيدر، فنكاد لا نميز بينهما في كثير من أبياته الشعرية، فكيف تطالعنا هذه الظاهرة في نصوصه؟ ففي قصيدة له بعنوان: «صار مجد الموت إلغاء المآتم»، نجدها ترتبط ارتباطاً شديداً بعلاقة الإنسان بالأرض، ذلك أنها تتضمن مناسبة إنطلاقة المقاومة الوطنية اللبنانية من خلال تحية قدّمها الشاعر في غربته (أبوظبي) تشرين الأول 1983 فيقول:

«...حُوصِرتْ أمواجُ بيروتَ، وقالو سوفَ تركَع

رَسَمَتْ وجهي على حبّاتِ رملٍ وهي تُصرَعْ

قُطعتْ زيتونةٌ في ديرِ قانون، لأرضعْ

وعلى أسلاكِ أنصارٍ سريري حِينَ أهْجَعْ

وَصَحَتْ أرنونُ في عينيَّ تنسى كيفَ تفزعْ

فإذا صوتي مكتومٌ وجَفنِي ليسَ يدمَعْ...»[2]

عندما تحدّث الشاعر عن أمواج بيروت أكسبها هوية الشيء الذي له حدود ويمكن

---

(1) حيدر ،حسين، الديوان، ج1، ص 19، 96، 97، 98.

(2) حيدر ، حسين، الديوان، ج1، ص: 17، 18.

تقييده، علماً أن الأمواج تتصف بحركة دائمة لا تثبت على قرار، مما أشعل صراعاً بين الحصار من جهة، والأمواج من جهة ثانية، ليوحي بأن حصار بيروت لم يكن لمدينة معينة، إنما كان للحركة والحياة، فذهب بنا في أكثر من اتجاه في تقدير طبيعة ذلك الحصار.

وتحافظ بيروت على هويتها الإنسانية، ليخبرنا الشاعر أن حصارها، هو حصار للإنسان، أي للإرادة والقرار وليس للمنازل والطرقات. ليخرج بيروت عن هويتها الموضوعية (طرقات، منازل...) ويكسبها هوية الإنسان، ولهذه الهوية الفنية الجديدة دلالة شديدة الإيحاء على تمسك بيروت بالشاعر، وكأنها تدعوه إلى مقابلة هذا التمسك بانتماء يحدث تعادلاً بين الأرض والإنسان، واستمر النسق الفني لتأكيد الهوية الجديدة بحركة الركوع المطلوبة. فالأرض بالنسبة للشاعر هي مصدر أساسي لإنتاج الحياة، وأن الجذور التي تقتلع منها إنما هي موت لأبنائها، وهذا يوحي بعلاقة جدية بين الأرض التي تهب نفسها للإنسان من جهة، والإنسان الذي قد يتخلى عنها من جهة ثانية، وقد ظهر توحّد الشاعر بارتسام وجهه على حبّات الرمل، هذه الحبات هي من لواصق الأرض أخذت إنسانيتها مرتين، الأولى باتحادها مع المشاعر، والثانية وهبها إيّاها الفعل (تُصرعْ) بمعنى آخر لفعل الشهادة والقتل. فهوية بيروت العاصمة، هي نفسها هوية بيروت الإنسانية، أرنون تاريخياً، والمشتعلة يقظة، فإذا بها شعلة المقاومة والصمود، في حين بقي صوت الشاعر مكتوماً وجفنه لا يقوى على البكاء. وهذا الصراع القائم بين أرنون (الصمود)، والشاعر ( الثورة – الشعب)، تكسب هوية جديدة لكل من الشاعر، وأرنون، وهذه الهوية إنسانية بأبعادها وتفاصيلها.

يمكن القول أن الأرض في شعر حسين حيدر، هي وطن كامل وقد ارتقى بها إلى مستوى الإنسان، وذلك بأسلوب يكتسب من الحياة قوتها وجدّتها، ويُنيط بها كلّ إبداع وشعر، إنها رؤية حسين حيدر.

### 4. الولاء والطاعة:

وفي الإطار التاريخي نفسه، نجد مسألة الولاء والطاعة للأرض من المقومات الاساسية التي ينبغي أن تقوم عليها المقاومة كي تنجح مسيرتها، وانطلاقاً من هنا، تبدو صورة الأرض في شعر حيدر شبيهة بصورة الحبيبة، حيث تقدم لها الطاعة كاملة، الأمر الذي يعني أن رؤية الشاعر ذات منحى فلسفي وجودي:



«... عوّدتني أمِّيَ الينبوعُ من صفوٍ دمائي

فلغيرِ الأرضِ ما قدَّمْتُ شيئاً من ولائِي

إخوتي الأشجارُ، والأشجار، أسخى في العطاءِ

ورفيقي الصخرُ، في بالي أمَامِي لا وَرَائِي...»[1]

الانتماء للأرض عند حسين حيدر يُبرز في هذه الأبيات نزعته الرومنطقية الحالمة بالتغيير والثورة.

فالأرض بالنسبة إليه هي الأم والولاء، والولاء لها من الأمور الطبيعية. فهي هنا أخذت بعداً إنسانياً لتحدد العلاقة بينهما (الأرض، الشاعر) على هذا الأساس.

وبناءً عليه فالعلاقة بين الأم وابنها علاقة طبيعية غير مصطنعة وأول إفرازاتها هو التعلق والولاء.

ثم يجعل الشاعر الأشجار إخوته، فأثار فينا الدهش الشعري لكونه أتى من خارج حقل التوقعات، ولهذه الهوية دلالة على عطاء الأرض الذي يُمَكّن العلاقة بين الطرفين (الأرض، الإنسان)، وهذا ما يجعل الشاعر في البيت الرابع يتخذ الصخر رفيقه، ومما يعني أن العربي المعاصر، هو في حال دفاع عن النفس، وليس في حال هجوم على الآخرين (الأعداء).

وهنا لابد من تدوين الملاحظات التالية:

إن ولاء حيدر لأرضه يحمل في طياته عشقاً صوفياً لها، وهو ليس ولاءً ناجماً عن الخضوع والاستعباد، إنما هو ناجم عن حب وفرح وتوحد، كل ذلك جاء بأسلوبٍ رؤيوي.

**- البعد القومي في شعر حسين حيدر:**

لم يقف حسين حيدر عند الهموم الوطنية اللبنانية، بل تعدى ذلك إلى الهموم العربية، إيماناً منه بأنّ البعد الوطني لا يأخذ حقيقته إلى من خلال البعد القومي، وفي ذلك اشارةً إلى رؤية حسين حيدر البعثية الناصرية التي تقلقها التشرذمات[2] العربية، وما ينتج عنها من تصدّع للواقع العربي ومن هنا كانت قضايا الأمة العربية محور اهتمامه، بل هاجس

(1) حيدر، حسين، الديوان، ج1، ص:19.

(2) الحصري، خلدون ساطع، حول الوحدة العربية، المستقبل العربي، بيروت – لبنان، السنة 2، ع. 10، تشرين الثاني 1979، وهو يتناول بالتفصيل هذه الأمور.

يؤرقه فيرفعه إلى الابداع.

ويتناول البعد القومي عنده النقاط التالية:

1. الدعوة إلى الوحدة العربية.
2. الحنين الى الماضي العربي.
3. القدس بين الواقع والرمز.
4. عودة الماضي المجيد.

### 1. **الدعوة إلى الوحدة العربية:**

رأى الشاعر بمخيلته الواسعة أخطارا» تفرّق العرب وتشرذمهم، فانبرى يدعو في شعره إلى ضرورة التضامن العربي، فهو يعيد لهم أمجادهم ويوّحد كلمتهم، الأمر الذي يمّهد لتحقيق الآمال العربية، وتعَدُّ قصيدته «دهشة العشرين» خير دليل على ذلك فيقول فيها:

«... يا إخوة القدسِ، عينُ القدسِ دامعةٌ

فقــد تناهى من الأحداثِ إنذارُ

هُــويّــةُ الثـــائـــرينَ اليـومَ في خـطرٍ

وكـــلُّ جهدٍ خلا التّوحيد إهدارُ

وكُــلُ رأيٍ خـــــلا الإجـــماع مُبْتَسَرٌ

وكـلُّ فــكرٍ يهزُّ الّصَّفَّ دمَّارُ

... يــــا اخــوةَ الحرفِ في يافا أذَكّرُكُمْ

أهــل البنادقِ ما كلُّوا ولا داروا

عــــــاهدتُمُ الأرضَ حتى النصرِ ثورتُنا

وكُلُّكُمْ عندَ بابِ الفتحِ أنصارُ...»[1]

ينادي حسين حيدر إخوة القدس ليعلمهم أن هذه المدينة قد لقيت من المآسي ما ينذر بانفجار ثورة عارمة على الظلم، ومن هنا ضرورة توحيد الجهود ولا سيما جهود الثائرين،

(1) حيدر، حسين، الديوان، ص: 217،218.

لان تفرّقهم يجعلهم في خطر دائم، ولا يعني هذا التوحد توحداً في السلام فقط، وإنما توحد في الكلمة والموقف والفكر، وهي عناصر تشكل صلب المقاومة في أي بلد أراد التحرر من نير الظلم والاستبداد.

لقد أخذ الشاعر على عاتقه مسألة رصّ الصفوف العربية فتراه لا يكاد ينسى الإشارة إلى هذه القضية وكأنها هاجس يقضُّ مضجعه ليل نهار.

لا بد من الإشارة إلى تأثره بالرؤية البعثية لمفهوم الوحدة العربية، فيقول الدكتور « نزار عبد اللطيف الحيدثي»:

«تصورنا الوحدة العربية تصوراً إنقلابياً ثورياً مخالفاً المواقف الفكرية والسياسية التي كانت ترى في الوحدة حلماً أو حتمية تمنحها آلية التحقيق، ولهذا تتحقق بانبعاث الوحي في المجتمع العربي...»[1]

ومن هنا يأخذ نداؤه إخوة الحرف في يافا دلالته الحقيقية، ذلك أنّ أهل البنادق أي المقاومين، لم يملُّوا جهادهم، بل عاهدوا الارض بالإستمرار قدماً بالثورة حتى النصر.

نستنتج من ذلك أنّ الشاعر ضمّن رؤيته البعثية في ما أوردناه من أبيات شعرية، وذلك بأسلوب فني جميل.

### 2. الحنين إلى الماضي العربي:

صوَّر الشاعر حنينه إلى الماضي العربي، من خلال الرموز العربية الشديدة الارتباط بحضارة العرب وعراقتهم: حطين، صلاح الدين، عمر بن الخطاب، جمال عبد الناصر...

ولعلَّ قصيدته « نأتي لذكراك» (التي نظمها سنة 1981، بعد عشرة أعوام على رحيل عبد الناصر) خيرُ معبّرٍ عن هذا الحنين:

(1) الحيدثي، نزار، عبد اللطيف، القومية العربية والنظرية القومية في فكر حزب البعث العربي الاشتراكي، تطور الفكر القومي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1 ، حزيران 1986، ص: 256.

«نــأتي لــذكراكَ أمْ تــأتي لــذكرانَاْ

أم حــائـــرٌ أنتَ مـن أوجاعِ لُقيـانَا

يـا أجمــلَ العُمرِ، لـم ننكرْ هزيمَتَهُ

لكـنّه فـي غـدٍ يـرتَـدُّ طُـوْفَانـاَ

...حطّين، تبكي صلاحَ الدّينِ فارسَهَا

فــهلْ شجاكَ النـوَّى يا سهلَ بَيْسَانا»

وقــبُّةُ الصــــخْرَةِ اشـتاقت إلى عُمَرٍ

يجرِّدُ السَّوطَ في وجهِ الذي هاناَ...»[1]

يستعيد الشاعر ذكرى جمال عبد الناصر بعد عشرة أعوامٍ من رحيله، فيتساءل: هل نتذكرك أم تتذكرنا في هذه الأوقات التي نعيشها؟ أم أنه (عبد الناصر) حائرٌ من كثرة المصائب التي ألّمت بالواقع العربي؟ وهو سؤال يخرج عن كونه يتطلب إجابة ليصبح تأكيداً لمضمون السؤال نفسه، لذلك فإن هذا القائد سيأتي غداً طوفاناً [2].

وسرعان ما ينتقل الشاعر إلى حطين، وهي واقعة عربية معروفة، انتصر فيها صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين والحق بهم هزيمة نكراء. وها هي اليوم تبكي فارسها نظراً لما يصيبها على أيدي قوات الاحتلال الصهيوني من تنكيل وتعذيب، فيسأل سهل بيسان في فلسطين عّما إذا كان قد انتابه حنين إلى الماضي المشرق، وفي السؤال خيبة أمل من إمكانية عودته، خاصة وإن قبّة المسجد الأقصى قد اشتاقت هي الأخرى إلى عمر، الأمر الذي يعني إنتفاء الرجال القادرين على صنع التاريخ العربي لأنهم لم يعودوا يملكون زمامه فلا يبقى سوى الحنين إلى أطلال الماضي، فيما يظلّ الحاضر مقفلاً أبوابه بمفاتيح لا يحسن التقاطها إلا رجال أصبحوا في عهدة الماضي.

تتمثل خصائص الرؤية إلى الماضي العربي لذلك الحنين الذي يسعى جاهداً لاسترجاع مقومات الواقع العربي بكلّ أبعاده وحيثيّاته، كلّ ذلك بتراكيب لا يشوبها ما هو نثري.

(1) حيدر، حسين، الديوان، ج1، ص:84، 85، 86.

(2) لا بد من الإشارة هنا أن الطوفان رمز حديث كثر استعماله في الشعر المعاصر مقتبس من الكتاب المقدس والقرآن الكريم.

## 3. القدس بين الواقع والرمز :

إن رؤية حيدر إلى القدس، تتراوح بين الحقيقة والخيال، أي بين الرمز والواقع ذلك أن الإبداع الشعري توحّد بالمكان على الصعيد القومي لينتج بذلك صورة شعرية تتخللها خيوط من الواقع. ولعّل قصيدة «حبة من رمل بيروت» (التي نظمها الشاعر في وداع المقاومة، بعد تسعين يوماً من معجزة الصمود في بيروت في آب 1982) خير شاهد على المزج بين الواقع والرمز في قراءة المقاومة:

«...حَسِبوُا تنسَوْنَ هذا البرقَ في أرضِ الشتَّاتِ

حَشَدوُا الْإغراءَ سمراءً ونهداً في فلاةِ

علَّقُوا أثوابَ خزٍّ فوقَ أسيافِ الكُمَاةِ

لَمَّعُوا منْ ذهبِ البترولِ أقفاصَ البُزَاةِ

قُلْ لُهمْ يا هازمَ الموتِ على بابِ الحياةِ

ليتكُمْ تدرون أنَّ القدسَ جزءٌ من صَلاتِي...»[1]

كثيرة هي القصائد التي تناول فيها الشاعر هذه العاصمة فإذا ما أجرينا عملية إحصائية تبين لنا أن هناك أكثر من عشر قصائد في ديوانه برزت فيه القدس واحتلت صدارتها[2]. ولذلك دلالة واضحة على المكانة التي تحتلها هذه المدينة في نفس الشاعر، كونها نقطة الارتكاز في الصراع العربي الإسرائيلي، ومنها تنبع سائر المعاني القومية.

كنّى الشاعر بالبرق عن النضال الذي يعيشه الفلسطيني، خصوصاً أن الفعل حسب يدل_ هنا_ على الاعتقاد الخاطئ، والأبيات التالية تؤكد ذلك.

ففي البيت الثاني أشار الشاعر إلى دلالة محسومة في الإغراء، وهو مفهوم معنوي الأمر الذي خلعه عن هويته الحقيقية، وأكسبه هوية الشيء المحسوس موحياً بمحاولات كثيرة قام بها المحتل ليسلي المقاوم عن أرضه.

وتستمر المحاولة، حيث إن المحتل يجعل الفلسطيني يخدع بالحرير الناعم بدل الاهتمام بالسلاح الذي هو سبيله الوحيد إلى تحرير المقدسات.

(1) حيدر، حسين، الديوان، ج1، ص:47.

(2) م.ن.، ص:45، 85، 86، 89، 95، 112، 145، 212، 217، 266، 270، 272، 275، 277، 279.

ويتمادى المحتل في استغلاله الخيرات العربية المتمثلة بالنفط لينشئ بها سجوناً يُدكّ فيها الأبطال المقاومون ويسكت صوتهم المحق. وفي ذلك صورة إبداعية تشخيصية عن الواقع العربي وما يعانيه من تصدّع، فهو لا يمتلك زمام أموره، خصوصاً وأن ما يشكل العصب المحرّك لهذا الوضع بات في عهدة الأعداء.

ثم يخاطب الشاعر الفلسطيني الذي كنّى عنه بهازم الموت فأثار فينا الشعرية، لأن المهزوم في هذا التركيب هو من طبيعة لا تُهزم، وهذا ما يفتح دلالة المقاومة على احتمالات هائلة يحق لكل منّا ان يتصوّرها وفق هّمه واهتمامه وثقافته. وسرعان ما يدخل هذا التركيب مع تركيب آخر هو باب الحياة، وهذا يعني: أن المقاومة في أساسها تقوم على أحد أمرين: إمّا الحياة وإمّا الموت ولا مساومة بينهما.

ويمزج في البيت الأخير التمني ( ليت) بالمخاطبة (كم) وهي مخاطبة الإحتلال واللافت أن التمني في أساسه هو ما يستحيل وقوعه، لكنه هنا جاء في صورة اليقين لان هزم الموت على باب الحياة يبطل مفعول التمني، فيحوله إلى حقيقة ساطعة بعد أن كان شكاً يميل إلى الإنكار يصل بنا إلى اعتبار القدس جزءاً من صلاته، موحياً بأن انتماءه القومي وإن كان يعيش حال صراع، ولكنه فوق جميع الشبهات.

وفي النهاية يمكن القول: إن رؤية حيدر إلى القدس تستمدّ عناصرها من عدّة أشياء أهمها: الواقع، والرمز، والحنين، والأرض، وهي عناصر مندمجة فيما بينها تشكل الرؤية الشعرية التي تلملم خيوطها من أفق الصورة مضافة إلى الواقع.

## 4. عودة الماضي المجيد:

حلُم الشاعر بعودة الماضي العربي المجيد نتيجة الواقع العربي المتصدع، وما يحمله من إحباط للنفس وشلل للعزيمة، فإذا به يستحضر هذا الماضي، وكأنّه صورة ماثلة للعيان، ففي قصيدة: «ها هم يأتون» (يهديها إلى أبطال حرب تشرين سنة 1973) يقول:

«... ها هم يأتُونْ

عُقْبَةُ يتألّقُ ثانيةً بينَ الفرسَانْ

ومراكِبُ طارقَ نارٌ في بحرِ الجولانْ

ها هُمْ يأتونْ

مُعتَصِمٌ يحملُ ماءَ فُرَاتْ

يسقِي أغراسَ الوَحدَةِ في أثلامِ المرتَفعَاتْ...»[1]

يستحضر الشاعر في هذه الأبيات جملة رموزٍ عربية تاريخية: عقبة بن نافع ، طارق بن زياد، والمعتصم العباسي، وفي عودة رجال التاريخ هؤلاء عودة للماضي العربي بكلّ مباهجه وإشراقاته، فكلٌّ واحد منهم يمثّل حقبة تاريخية مشرقة في سفر التاريخ العربي.

وحرب تشرين واحدة من محطّات هذا النضال، فها هي أعمال عقبة، وطارق، والمعتصم، تعود من خلال الانتصارات التي حققتها حرب تشرين التحريرية. وهذا ما يذكرنا بما ذهب إليه أحد الباحثين من أن الرجوع العربي إلى الماضي المجيد خاصة عروبية.[2]

يمكننا أن نستنتج أن التراث العربي الحضاري الإسلامي يشخص في شعر حيدر، بحيث يشكل المفصل الأساسي دون ان يقوى على التحول إلى قناع.

- **خاتمة البحث:**

بعد انتهائنا من معالجة البعدين الوطني، والقومي أمكننا تسجيل الملاحظات الآتية:

على الصعيد الوطني:

1. الحسّ الإنساني في شعر حسين حيدر يتوّحد في حالة شعرية مع الطبيعة، فينتج عن ذلك صورة شعرية تقرّب البعيد وتبّعد القريب، واللافت هو البعد الصوفي الذي اعترى شعر حيدر، فتراه يستعمل أسلوباً تصوفياً ويسعى لرصد المفردات المرتبطة بالعشق الجديد، فضلاً عن كونه يمرُّ مع الارض بفصول وتحولات متغيرة وتغيرات متحولة.
2. تبقى الفكرة وهي عميقة والتي يحاول الشاعر مدّها بعناصر من الخيال.
3. يلاحظ أن حيدر يرصد محطات مهمة في التاريخ العربي، وكأنه يحاول إعادة إنتاج هذا التاريخ شعرياً علّهُ يكون أفضل من الواقع المُخزي.

(1) حيدر، حسين، الديوان، ج1، ص:166، 167.
(2) نافعة، حسين، القومية العربية والتفكك في الوطن العربي (رد على آراء فؤاد عجمي)، دراسات في القومية العربية والوحدة بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، أكتوبر 1992، ص: 180.

**4.** أما الأسلوب الذي اعتمده الشاعر، فهو شعري فنّي من خلال تراكيبه وصوره.

أمّا على الصعيد القومي:

**1.** إن رؤية حسين حيدر قومية الطابع، فهي تربط بين الحكّام من جهة، وجمال عبد الناصر من جهة ثانية، إنها جدلية أولاً وقبل أي شيء آخر.

**2.** التراث العربي شاخصٌ في شعره، وقد تجلى ذلك بذكر بعض الملامح التراثية التي تشكل عموداً أساساً للحضارة العربية.

**3.** نجد بعض الملامح الرومنسية مثل الحنين والأرض والطبيعة، وهي ليست رومنسية انفعالية أو هروبية، ولكنها ناجمة من عمق الرؤية إلى الوجود.

**4.** تكثر الصور الشعرية، التي من شأنها إبداع عوالم جديدة تُعنى في استيعاب الصورة الواقعية، وتشكل موضع قراءة من قبل الشاعر.

**5.** يلجأ الشاعر إلى الرمز كأسلوب لتكثيف الرؤية، أو لقراءة أمورٍ لا تسعفه اللغة العادية في التعبير عنها.




# 3-أسلوبية الإنشاء عند البلاغيين
# (أبو يعقوب السكّاكيّ أنموذجًا المتوفى 626هـ)

# The style of composition among rhetoricians Abu Yaqoub Al-Sakaki، is a mode (T626 AH)




**بقلم الدكتورة دنيا عبدالله شاكر**

مديرية تربية النجف / إعدادية الجزائر للبنات

**Dunya Abdullah Shaker**

Najaf Education Directorate/Aljazair high school

doniaabdullah73@gmail.com



**ملخص البحث**

إن أبا يعقوب السكّاكيّ وكتابه (مفتاح العلوم) تعرضا إلى ظلم وإجحاف كبيرين عن طريق وصفهما بالتعقيد وجفاف الأسلوب، والبحث لا يعدم وجود مثل هذه الصفة، ولكنها لم تكن بذلك الحجم الذي تشير اليه أغلب الدراسات، فضلا عن أن السكّاكيّ كان معنيا في كتابه بأن يضع الحدود ويقسم الأبواب قدر الإمكان لأن كتابه تعليمي بالدرجة الأولى، على الرغم من أن كثيراً من الباحثين والدارسين قد وصفوا جهد السكّاكيّ بأنه مدرسي وتقليدي، فيمكن أن نعد هذا الجهد يمثل ارهاصاتٍ لبداية مراحل جديدة تنحو بالبلاغة منحاً أسلوبياً ولو على سبيل الخطوات الاولى .



**كلمات مفتاحية:** مفتاح العلوم، علم المعاني، أساليب الإنشاء، البلاغة، ثقافة السكّاكيّ، بنية توليدية، أسلوب الطلب، دلالات مضافة أو دلالات منتجة، الاسلوبية.

**Abstract:**

Abu yakoub and his book,"Key to science", have been exposed to great prejudice and injustice to his rather sophisticated and dry approach, yet the researcher dose not seem to negate the presence of such characteristic. however, its can be argued that it was not as significantly prominent as most studies have claimed .

Ideally, he was rather concerned to create boundaries and division in his book as much as possible. Nonetheless, it cannot be denied that this production is a number one highly educational book.

While numerous researchers and scholars have characterized Al-Sakaki's endeavor as scholastic and traditional, we can nonetheless view this effort as a precursor to the initiation of new phases that steer rhetoric towards a more stylistic direction, even if only in its initial stages.

**Keywords:** Key science, Semantics, Construction methods, The art of eloquence, Alsakaki culture, Obstetric structure, Order style, Added Semantics, Stylistics.

**المقدمة**

**الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين.**

لقد مرّ علم البلاغة بمراحل مختلفة إلى أن تحددت معالمه، واستقرت قواعده، ولقد مثّل كلّ مرحلة من هذه المراحل عدد من الدارسين الأفذاذ الذين أسهموا في تأسيس هذا العلم وتطويره، واجتهدوا في وضع النظريات والتصورات والمصطلحات التي تخصّه، ويُجمع الدارسون على أنّ علم البلاغة شهد أربع مراحل أثناء مسيرة تشكيله، إذ كانت مرحلة

النشأة التي احتضنت بذور البلاغة في منابتها الأصيلة، فمرحلة النّمو التي شهدت الدّراسات البلاغية المنهجية، ثمّ مرحلة النّضج الّتي تبلورت فيها علوم البلاغة الثلاثة، وأخيرا مرحلة الاكتمال الّتي اعتنت بتحديد المصطلحات، وصياغة القواعد النهائية لهذا العلم الجليل.

إنّ الدارس لتاريخ البلاغة العربية يكتشف إسهامات طائفة كبيرة من العلماء الأفذاذ الذين كانت لهم بصمات واضحة في تشكيل هذا العلم الجليل، فقد امتدت مسيرة تكوين البلاغة في التراث اللغوي العربي عبر سلسلة طويلة تبدأ حلقاتها من اكتمال اللغة العربية، ثم تعددت هذه الحلقات وتوالت في أطوار مختلفة، وعصور متباينة ومرت بعوامل قوة وضعف إلى أن وقفت عند حدود واضحة ومعالم بارزة كما بينها السكاكي في (مفتاح العلوم)؛ وهذا البحث هو محاولة لتسليط الضوء على مبحث مهم من مباحث السكاكي البلاغية من خلال هذا المصنف؛ ومحاولة لكشف أثره البارز في ضبط علوم البلاغة العربية ومصطلحاتها.

لقد كان اختيار هذا الموضوع لأسباب، منها أن هذا العالم البلاغي قد أولى هذا الدرس عناية خاصة في كتابهِ مفتاح العلوم، فضلا عن كونه يمثل مفصلا مهما في تطور التأليف البلاغي المنهجي.

وكانت الدراسة تقوم على مباحث ؛ الأول منها (أ- السكاكي ثقافته وكتابه ، ب- الإنشاء في اللغة والاصطلاح)، أما المبحث الثاني فقد تناول (علم المعاني والانشاء)، وعرض الثالث (أساليب الإنشاء عند البلاغيين) ، ويدرس المبحث الرابع (التحول من البلاغة الى الاسلوبية) . وقد أوجزت في خاتمة البحث اهم النتائج مع قائمة تضم المصادر والمراجع .

**وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.**

**❖ المبحث الاول**

**أ - السكّاكيّ ثقافته وكتابه.**

السكّاكيّ هو سراج الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكّاكيّ الخوارزمي[(1)]، ولد في قرية من خوارزم في منتصف القرن السادس الهجري.

(1) ينظر: معجم الادباء :20/58 - 59 .

عمل على تحصيل علومه في مساجد خوارزم ومدارسها، وكان نصيبه الوافر في تعلم علم الكلام ودراسته، إلى جانب معرفته الفلسفة اليونانية، فضلا عن كونه معتزليا وأغلب أهل الاعتزال كانوا أصحاب منطق وكلام ([1]) .

إن الذي يعنينا من ذلك أن ثقافة السكّاكيّ التي كان لها حظٌ وافر من الفلسفة وعلومها أثرّت تأثيرا كبيرا في منهجه الذي يتناول به القضايا البلاغية.

لذلك كان السكّاكيّ من أشد علماء البلاغة ولعًا بتطبيق أساليب العرب على علوم الفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام، وأول ما يلاحظ من هذا الأثر ربط البلاغة بعلم الاستدلال.

وكانت نتيجة ذلك أن ابتعدت البلاغة أو ابتعد السكّاكيّ بالبلاغة عن منهج عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) القائم على التذوق الفني والتحليل الأدبي، فاتجه بها نحو تحكم الفلسفة والمنطق ([2]).

على أن الوقفة المتأنية عند ذلك تحتم علينا أن ننظر بموضوعية إلى المنهج البلاغي القويم الذي يفيد البلاغة العربية فهو يجب أن يُفيد من الاتجاهين الأدبي والكلامي، لأن الأول يفيدنا في التحليل الفني وسبر غور نصوص الأدب، أما الثاني فينفعنا في المنهج، وفي التبويب، والتقسيم، الذي لا غنى للبلاغة عنه، اذن نحن نحتاج إلى عبد القاهر الجرجاني وأبي يعقوب السكّاكيّ معًا في الدرس البلاغي.

اما كتاب السكّاكيّ (مفتاح العلوم) فهو المدوّن الوحيد الذي وصل إلينا من مدوناته، ولعله أول كتاب عربي جمع ما بين علوم اللغة العربية على منهج وتبويب لم يسبق إليه، فعلوم العربية لم تكن منثورة في هذا الكتاب بل مبوّبة ومترابطة، وكان بناؤها محكمًا ويعود ذلك إلى العقلية المنطقية التي امتلكها السكّاكيّ، إذ قسّم كتابه على ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول في علم الصرف.**
- **القسم الثاني في علم النحو.**
- **القسم الثالث في علمي المعاني والبيان.**

---

(1) ينظر: مفتاح العلوم ، المقدمة: ج ، ينظر البلاغة عند السكّاكيّ: 197 .
(2) ينظر: البلاغة عند السكّاكيّ: 262 – 263 . أساليب الطلب عند النحوين والبلاغيين 73.

وقد أضاف إلى هذه الأقسام ما راه مكملًا من الاستدلال والعروض والقافية. والحق أن السكّاكيّ قد قدّم للبلاغة العربية خدمة كبيرة عن طريق وضع كثير من مصطلحاتها وإقامة عدد من حدودها، وتقسيم أغلب فروعها وأبوابها، ومن الإجحاف بحق هذا العالم أن يوصف بأنه عقّد البلاغة وصيرها جافة، وأن الإيغال في هذه النظرة ربما يكون طلب الدعة والراحة وعدم تكلف المؤونة في البحث والاستقصاء، فضلًا عن ذلك فإن كتاب (مفتاح العلوم) كان قصده تعليميًّا في المقام الأول والتعليم يقتضي التقسيم، والتبويب، ووضع الحدود، وما سوى ذلك.

ومن أهمية كتاب (مفتاح العلوم) أنه بقي محورا للتأليف البلاغي فظهر حوله عدد كبير من كتب الشرح والايضاح والتلخيص والتهذيب .

**ب – الإنشاء في اللغة والاصطلاح.**

الإنشاء في اللغة مصدرٌ للفعل أنشأ وله معانٍ منها الإيجاد والاختراع والخلق والشروع [(1)]، أما في اصطلاح البلاغيين فقد كان لمبحث الإنشاء مراحل متعددة في تطور دلالته وفي صياغة عنوانه، وكان لعلماء البلاغة المتقدمين والمتأخرين وقفات عند أسلوب أو اكثر من أساليب الإنشاء وذلك في اثناء تقسيمهم الكلام، على أنهم – كغيرهم من علماء العربية– قد بحثوا في هذا الموضوع تحت عنوان (الطلب).

فمن المتقدمين نجد عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) وهو– مؤصل علمي المعاني والبيان – يلمح إلى ذلك في أثناء حديثه عن التقديم والتأخير في الاستفهام والخبر يقول: (واعلم أنَّ معك دستورا لك فيه، إن تأملت، غنى عن كل سواه، وهو أنه لا يجوز أن يكون لنظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر، ذاك أن الاستفهام استخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك))[(2)].

فالاستفهام هو أحد فروع الإنشاء وأسلوب من أساليبه، لكن عبد القاهر الجرجاني عندما أراد أن ينسبه إلى أصله قال: إنه طلب، وربما يكون ابن قتيبة (ت 276 هـ) قد سبقه إلى ذلك في تقسيم الكلام إذ يقول: (( الكلام أربعة : أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة )) [(3)] فالاستخبار هنا هو الاستفهام أما الرغبة فهي التمني.

---

(1) لسان العرب: مادة نشأ :1/170 .

(2) دلائل الاعجاز: 140 .

(3) ادب الكاتب: 11 .

## ❖ المبحث الثاني

### علم المعاني والإنشاء.

لا شكّ في أن علماء البلاغة العرب قد أثروا بحث الخطاب اللغوي ودراسته من زوايا ثلاث هي ( فنيّة الخطاب، دلالته، تناسقه اللفظي ) ولعل هذا ما تبناه أبو يعقوب السكّاكيّ عندما قسّم علوم البلاغة على (معانٍ وبيان ومحسنات) [(1)]، ويبدو أن تقسيم السكّاكيّ هذا مبني على أنه نظر إلى علوم البلاغة نظرة فلسفية. وأن الدلالة قد مُثّلت في (علم المعاني) الذي عّرفه السكّاكيّ بقوله: ((هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره )) [(2)] .

ويعد علم المعاني منفذًا مهمًّا لمن يرغب الدخول إلى مكنونات النص الأدبي ليستنطق طاقاته الدلالية وصولا إلى المبتغى.

فضلا عن ذلك فإن لعلم المعاني أهمية كبرى، تكمن فيما يكتنزه كثير من القدرات تعزز عملية التأمل وتساعد على توليد فضاءات معرفية تمنح العقل الانساني رقيًّا إبداعيًّا يستطيع بأدواتِه النقدية أن يلتمس تلك الأهمية[(3)].

والحق أن (علم المعاني) يقوم فيما يقوم عليه من ثنائية رئيسة متمثلة بـ (الخبر والطلب والإنشاء) وقد بنى البلاغيون التفريق بينهما على أن احتمال الصدق والكذب وعدم احتمالهما معيارٌ منطقي لا فني[(4)]، على أن المنهج البلاغي القويم لا يبيح الفصل القسري بين الأسلوبين (الخبري والانشائي) في استنطاق النصوص الأدبية بل يجب أن يُنظر اليهما متآزرين في الصياغة والدلالة لأنه ((لا يمكن تفتيت الأسلوب للقول إنه هنا إنشائي غرضه كذا وهنا خبري غرضه كذلك، وإنما كينونته العامة تكون دائما أثرى وأخصب)) [(5)].

أما أبو يعقوب السكّاكيّ فقد نظر إلى الطلب على أنه القانون الثاني في علم

---

(1) البلاغة عند السكّاكيّ: 122، ينظر: مفتاح العلوم : 161، 162، 435 .
(2) مفتاح العلوم: 161 .
(3) ينظر: أساليب المعاني في القران الكريم : 70 .
(4) ينظر: الأصول: 311 .
(5) فلسفة البلاغة: 126 .

المعاني[(1)]، وذلك بعد أن نبه إلى ((أن الخبر والطلب بعد افتراقهما بحقيقتهما يفترقان باللازم المشهور، وهو احتمال الصدق والكذب)) [(2)]. وهو في بدء كلامه على القانون الثاني يقرر ((أن حقيقة الطلب معلومة مستغنية عن التحديد)) [(3)]، أي: إنه لم يضع للخبر أو الطلب تعريفا جامعا مانعا قاطعا- على لغة المناطقة - لأنه يرى أن الخبر والطلب مستغنيان عن التعريف الحدي من جهة، ومن جهة اخرى فهو يرى أنهما قد عُرّفا مسبقًا[(4)] .

ويقسّم السكّاكيّ الطلب على نوعين: أحدهما لا يستدعي في مطلوبهِ إمكان الحصول وحصره في التمني، والنوع الآخر هو ما يستدعي فيه إمكان الحصول وحصرهُ في الاستفهام والأمر والنهي والنداء[(5)]، وقد نهج البلاغيون بعد السكّاكيّ نهجه ولكنهم استعملوا مصطلح (الإنشاء) بدلًا من مصطلح (الطلب)، وأدخلوا فيه الإنشاء غير الطلبي وهو (مالا يستدعي مطلوبا)[(6)] ، وأساليبه متعددة منها صيغ المدح، والذم، والتعجب وصيغ العقود ... وما إلى ذلك. ولكن لم تنل هذه الاساليب اهتمامًا كبيرًا من البلاغيين؛ (وذلك لقلة الاغراض المتعلقة بها ولأن معظمها أخبارٌ نقلت عن معانيها الأصلية، أما الإنشاء الذي يعنون به فِهو الطلبي لما فيه من تفنن في القول)[(7)].

إن مما يحسب للسكّاكيّ أنه نبّه على مزيّة في الطلب لها قدر كبير من الأهمية، هي أن بنية الطلب بنية (توليدية )، وذلك بقوله (إنما نتكلم في مقدمة يسند عليها المقام من بيان، ما لا بد للطلب، من تنوعه، والتنبيه على أبوابه في الكلام، وكيفية توليدها لما سوى أصلها)[(8)]، وكذلك في قوله بشأن أبواب الطلب (متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل، تولد منها ما ناسب المقام)[(9)] .

اذن الطلب عند السكّاكيّ يعتمد التوليد أساسًا لأبوابه الفرعية على معنى وجود (أصل) للمعنى، فهو لا يؤدي مهمّته الانتاجية في حدود السياق الذي يحتملهُ، وإنما يعمل السياق

---

(1) ينظر: مفتاح العلوم: 303 .
(2) م . ن: 165.
(3) م . ن: 302.
(4) ينظر: م . ن: 165.
(5) ينظر: م . ن: 303-302.
(6) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :1 /334 .
(7) م . ن: 1/334.
(8) مفتاح العلوم : 302 .
(9) م . ن: 304.

على توليد ناتج إضافي، أي: إن الأصل الوضعي يظل في خدمة السياق، وبخاصة السياق الخارجي الذي يضم طرفي الاتصال كما يضم الظروف المصاحبة [(1)].

السكّاكيّ بعد أن يذكر نوعي الطلب، ينظّر فلسفيا للطلب قائلًا : (والمطلوب بالنظر إلى أن لا واسطة بين الثبوت والانتفاء يستلزم انحصاره في قسمين : حصول ثبوت متصور، وحصول انتفاء متصور، وبالنظر إلى كون الحصول ذهنيًّا وخارجيًا يستلزم انقسامًا إلى أربعة اقسام : حصولين في الذهن وحصولين في الخارج، ثم اذا لم يزد الحصول في الذهن على التصور والتصديق لم يتجاوز أقسام المطلوب الستة : حصول تصور أو تصديق في الذهن وحصول انتفاء تصور أو تصديق فيه، وحصول ثبوت تصور أو انتفاؤه في الخارج وطلب حصول التصور في الذهن لا يرجع إلّا إلى تفصيل مجمل أو تفصيل مفصل بالنسبة، ووجه ذلك أن الانسان اذا صح منه الطلب بأن إدراك بالإجمال لشيء ما أو بالتفصيل بالنسبة إلى شيء ما ثم طلب حصولا لذلك في الذهن وامتنع طلب الحاصل، توجه إلى غير حاصل وهو تفصيل المجمل أو تفصيل المفصل بالنسبة)[(2)].

إن قول السكّاكيّ هذا يمثلُ عرضًا لمجموعة من المرتكزات الدلالية يستند عليها الحديث عن بنية الطلب. ومن هذه المرتكزات[(3)] :

**أ-** إن بنية الطلب بنية توليدية على المستوى السطحي أو على مستوى انتاج المعنى، أي: إنها لا ثباتَ لها شكلًا أو مضمونًا.

**ب-** التعامل المألوف أو الإبداعي مع هذهِ البنية يقتضي وجودَ تصور إجمالي وتفصيلي لما تريد إنتاجهِ هذه البنية.

**ج-** إن هذا التصوّر يتمثلُ في استدعاءِ مطلوب دلاليّ واضح لا يكون حاصلًا وقت الطلب.

**د-** إن الحركة الذِّهنية في استدعائها لبنية الطلب تدور بين الثبوتِ المتصوّر أو حصول الانتفاء.

**هـ-** إن هذا الحصول له مستويان الأول: المستوى الذهنيّ الداخليّ، أما الآخر فهو

(1) ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى : 278 .
(2) مفتاح العلوم: 303 .
(3) ينظر: البلاغة العربية قراءة اخرى : 278 - 279 .

المستوى الخارجي الذي يطابقُ المستوى الداخليّ من حيث بناؤه الشكليَّ ومن حيث انتاجيته الدلاليَّة.

و- وهذا التطابق له أربعة أشكال هي:

1 – حصول تصوّر أو تصديق في الذهن.

2 – حصول انتفاء تصوّر أو تصديق في الذهن.

3 – حصول تصوّر في الخارج.

4 – حصول انتفاء في الخارج.

إن هذا الإدراك لبنية الطلب يمثّل وعي البلاغيّين، بأنها ليست إلا انعكاسا للحركة الذهنية، وأن حركتها وطبيعتها التشكيلة تأتي على وفق منطقها الإدراكيّ، وبما أن حركة الذهن خالصة لا يمكن الوقوف على حقيقتها، فإنَّ الصياغة الخارجية تصبح الوسيلة الوحيدة لإدراكها وفهم متطلباتها الصياغية.

وتظهر ألفاظ الفلسفة والكلام واضحة في قول السكّاكيّ، من مثل هذه العبارات ((حصول ثبوت متصور، حصول انتفاء متصور، الحصول في الذهن، والحصول في الخارج وكذلك إدخال بحوث التصديق والتصور وغير ذلك)) [(1)].

لم يكن السكّاكيّ معنيا ببحث أساليب الإنشاء غير الطلبي بل اقتصر بحثه على الإنشاء الطلبي، ولعل هذا ما دفعه إلى تسمية قسيم الخبر (الطلب) [(2)].

والحق أن السكّاكيّ كان على قدر كبير من الدقة حين أطلق مصطلح الطلب على الإنشاء، لأنه كان معنيا ببحث الإنشاء الطلبي فحسب اذ وجد فيه ضالته في كونه القسيم الآخر لموضوع الخبر، أما الإنشاء غير الطلبي (( فلم يشر إليه لعله كان يرى أن هذا النوع من الإنشاء ليس إلا خبرا نقل إلى أسلوب الإنشاء فأهمل ذكره))[(3)]. إن ما يُلحظ في بحث السكّاكيّ لقانون الطلب – كما سماه – ضمن مقدمته التي استمدها من الفهم المنطقي عن التصور والتصديق، وما يحصل في الذهن وما يحصل في الخارج. وهذا الأمر ربما يكون واضحًا في أسلوب الاستفهام، إذ التصديق فيه هو إدراك النسبة

(1) ينظر: البلاغة عند السكّاكيّ: 169 .

(2) ينظر: مفتاح العلوم : 303 .

(3) البلاغة عند السكّاكيّ : 306 .

أي: تعينها مثل (أقام محمد ؟) فالجواب يكون (بنعم أو لا).

أما التصور فهو إدراك المفرد أي: تعيينه في مثل (أقام محمد أو قعد) فالجواب هنا يكون بـ (قام أو قعد)([1]).

### ❖ المبحث الثالث

### أساليب الإنشاء عند السكاكي

يمكن أن نقف عند أساليب الطلب على وفق ما رتّبها السكّاكيّ (التمني، الاستفهام، الأمر، النهي، النداء).

**أولا: التمني.**

يعدُ التمني النوع الأول من الطلب وإن أكثر البلاغيين([2]) – ومنهم السكّاكيّ – قد وافقوا النحويين في أن التمني من أقسام الإنشاء الطلبي يستعمل في الممكن والمستحيل ويشترط فيه إن كان مستعملا في الممكن أن لا يكون لك توقع أو طمع في وقوعه يقول السكّاكيّ : ((أما النوع الأول من الطلب فهو التمني، أو ما ترى كيف تقول: ليت زيدا جاءني، فتطلب كون غير الواقع فيما مضى أو واقعًا فيه مع حكم العقل بإمتاعه، أو كيف تقول: (ليت الشباب يعود) فتطلب عود الشباب مع جزمك بأنه لا يعود أو كيف تقول: (ليت زيد يأتيني) أو(ليتك تحدثني) فتطلب إتيان (زيد) و حديث صاحبك في حال لا تتوقعها ولا لك طماعية في وقوعها، إذ لو توقعت أو طمعت لاستعملت (لعل أو عسى) ))([3]) .

أما سبب تقديم التمني عند السكّاكيّ على أنواع الطلب الأخرى، فهو لحصرها حصرًا منطقيًا، فانفرد التمني في النوع الأول الذي لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، أما النوع الثاني فكان يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول وفيه الاستفهام والأمر والنهي والنداء.

وهذا يعني أن بنية التمني تتعلق إنتاجيًا بما لا يمكن حصوله، وليس هناك مطمع فيه، ومن هنا صح تعلقها بالزمن الماضي، من حيث تمني وقوع حدث فيه، وهو غير ممكن تنفيذهُ من مثل قولنا: ليت محمدًا جاءني امس، فالفعل هنا يحكم بامتناع الوقوع

(1) ينظر: مفتاح العلوم : 308– 309 .

(2) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة : 183 ، ينظر: معترك الاقران في اعجاز القران 1/337.

(3) مفتاح العلوم: 303 .

هذا المجيء لأن زمنه قد انتهى، فإذا حدث تعديل في المدرك الداخلي ليسمح بإمكانية الوقوع فإن (ليت) تغيب عن السياق لتتركه لأداة أخرى تحتمل هذا الإدراك هي (لعلّ) على معنى أن التمني يصبح (رجاء) ليعمل على ترقب الحصول وتوقعه في مثل قولنا: (لعل لي مالًا أنفق منه) إذا كان هناك مطمع في مجيء هذا المال. ويكون التحول ثلاثيًّا على النحو الآتي: (ليس عندي مال أنفق منه، أرجو أن يكون لي مال أنفق منه، لعل لي مالًا أنفق منه) فالبنية تتحرك من منطقة النفي وصولا إلى منطقة الاثبات (المرجو) لا لإثبات المتحقق أو الواقع((1)).

والسكّاكيّ يؤكد فكرة توليد المعاني في البنى الإنشائية، يقول: ((متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما يناسب المقام)) ((2))، والحق إن محور اهتمام البلاغيين بأساليب الطلب لا يتجه إلى كونها بنى إنشائية طلبية بقدر ما يتجه إلى تجاوز الصيغ النحوية وصولا إلى المقاصد التوليدية، لأن أساليب الطلب لا تقف عند أصل المعنى بل تسعى إلى انتاج معان تتجاوز البناء اللغوي.

**ثانياً: الاستفهام.**

يرى السكّاكيّ أن الاستفهام إما تصديق أو تصور، فإن كان لإدراك النسبة ومعرفتها سمي تصديقًا، وإن كان لمعرفة المفرد سمي تصورًا ((3)).

ويفرق السكّاكيّ بين الاستفهام وأنواع الطلب الاخرى (الأمر، النهي، النداء) ويعدّ هذا الفرق واضحًا بقوله: ((إنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق، فنقش الذهن في الأول تابع وفي الثاني متبوع )) ((4)) .

والحق أن هذه نظرة دقيقة في التفريق بين الاستفهام من جهة وأنواع الطلب الأخرى (الأمر، النهي، النداء) من جهة أخرى ((ودقتها ترجع إلى اتكائها على حركة المعنى في البنيتين، والربط بين المستوى السطحي والمستوى العميق فيهما، وهذا الربط الذي يكشف التغاير في حركة المعنى، إذ إن بنية الأمر تتجه فيها هذه الحركة من الذهن إلى الخارج، أي: من العمق إلى السطح، أما بنية الاستفهام فتتجه الحركة فيها عكس ذلك،

(1) ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: 281 .
(2) مفتاح العلوم: 304 .
(3) م . ن: 303.
(4) م . ن: 304.

حيث تتجه من الخارج إلى الذهن، أي: من السطح إلى العمق)) [(1)].

فمثلا نرى أن المقصود من القول (هل قام محمد) حصول القيام الذي في الخارج في ذهن المتكلم ، والمقصود من (قم) حصول القيام الذي في الذهن في الخارج أي أن حركة المعنى في البنيتين ضدية .

لقد تحدث السكّاكيّ عن أدوات الاستفهام ووقف عندها وقفاتٍ طويلة، فمن ذلك أنه يرى أن سبب لزوم أدوات الاستفهام صدر الكلام هو كون الاستفهام طلبًا والطلب مما يهم المخاطب ويعنيه. يقول وهو يسمي أدوات الاستفهام كلمات: ((واذ قد عرفت أن هذه الكلمات للاستفهام، وعرفت أن الاستفهام طلب، وليس يخفى أن الطلب إنما يكون لمن يهمك و يعنيك شأنه ... وقد سبق أن يكون الشيء مهمًا جهة مستدعية لتقديمه في الكلام، فلا يعجبك لزوم كلمات الاستفهام صدر الكلام ووجوب التقديم في نحو : كيف زيد ؟ واين عمرو؟ ومتى الجواب؟ وما شاكل ذلك )) [(2)].

ويرى أيضًا أن أدوات الاستفهام كلها إنما هي كلمات موضوعة للاستفهام وهو لم يذكر ما كان منها أصلا أو غير أصل في الاستعمال يقول ((وللاستفهام كلمات موضوعة، وهي: الهمزة و أم وهل و ما ومن وأي وكم وكيف و أين وأنّى و متى و إيان)) [(3)]، ثم يقسم هذه الأدوات على ثلاثة أنواع[(4)]:-

1 - ما يختص طلب حصول التصور.

2 - ما يختص طلب حصول التصديق.

3 - ما لا يختص بواحد من النوعين إنما هو للتصور والتصديق.

**ثالثًا: الأمر.**

هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويذكر السكّاكيّ أن (( الأمر عبارة عن استعمالها أعني استعمال نحو لينزل، انزل، نزال، صه، على سبيل الاستعلاء )) [(5)]، وهو هنا يقصد الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر، وفعل الأمر، والمصدر النائب

---

(1) البلاغة العربية قراءة أخرى: 285 .
(2) مفتاح العلوم : 317 .
(3) م . ن: 308.
(4) م . ن: 308.
(5) م . ن: 318.

عن فعل الأمر، واسم فعل الأمر. ويشير إلى شرط الاستعلاء لأن هذا الأخير يقتضي حضور طرفين: الآمر والمأمور، والأول يختص بالعلو على الثاني.

ويذهب السكّاكيّ إلى أن هذه الصيغ تدل على الوجوب، واستدل على ذلك يتبادر معنى الأمر إلى الذهن عند استماع نحو (قم) أو (ليقم) وتوقف ما سواه، على اعتبار القرائن يقول عن صيغ الأمر: (فالأظهر أنها موضوعة كذلك، وهي حقيقة فيه ليتبادر الفهم عند استماع نحو: قم وليقم زيد إلى جانب الأمر، وتوقف ما سواه من الدعاء، والالتماس، والندب، والإباحة، والتهديد، على اعتبار القرائن ...)[(1)]

والحق أن كلام السكّاكيّ دقيق في ذلك، فحقيقة صيغة الأمر أها موضوعة للوجوب، أما المعاني الأخرى فهي خارجة عن هذا الأصل، وهذا الرأي يقود إلى المحافظة على وحدة تسمية الصيغة وعلى العكس من ذلك القول بأن الصيغة مشتركة بين الوجوب والندب والإباحة... فإنه يقود إلى تجزئة الصيغة إلى تسميات متعددة[(2)].

أما الزمن الذي تقتضيه صيغة الأمر المطلقة، فقد ذهب السكّاكيّ إلى أن الأمر حقه الفور بمعنى أنه إذا قيل: (افعل) فمعناه افعل فورًا، ولا يدل على التراخي إلا بقرينة، واستدل على ذلك بأن الفور هو الظاهر من الطلب، لأن مقتضى الطبع في كون الشيء مطلوبًا أنه لا يطلب حتى يحتاج لوقوعه في الحين، وهذا شأن الطلب في الجملة عند الانصراف وكل ما يعرض من غير هذا فليس من مقتضى الطلب.

واستدل كذلك بأن يتبادر الفهم عند الأمر بشيء بعد الأمر بخلافه إلى تغير الأمر الأول دون الجمع أو التراخي ، يقول (( والأمرُ والنهي حقهما الفور، والتراخي يوقف على قرائن الأحوال لكونهما للطلب، ولكون الطلب في استدعاء تعجيل المطلوب أظهر منه في عدم الاستدعاء له عند الإنصاف، والنظر الى حال المطلوب بأخويها وهما الاستفهام والنداء منبه على ذلك صالح، ومما يُنبه على ذلك تبادر الفهم، إذا أمر المولى عبده بالقيام ، ثم أمره قبل أن يقوم بأن يضطجع وينام حتى المساء إلا أن المولى غيّر الأمر دون تقدير الجمع بينهما في الأمر وإرادة التراخي للقيام، وكذا استحسان العقلاء عند أمر المولى عبده بالقيام أو القعود، أو عند نهيه ايّاه، إذا لم يتبادر إلى ذلك ذمه)) [(3)] .

---

(1) م . ن: 318 – 319.
(2) ينظر: أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : 101 .
(3) مفتاح العلوم : 320 , ينظر: اساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: 104.

ويبدو أن الكلام حظه من الدقة والصواب ضئيل إذ إن ثمّة عوامل كثيرة تتحكم في الزمن الذي تقتضيه صيغة الأمر، ولعلماء الأصول وقفات طوال في ذلك.

أما دلالة الأمر على المقدار فقد تناول السكّاكيّ ذلك وهو يرى أن الامر يكون للمرة اذا كان الطلب به راجعًا إلى قطع الواقع كقولك في الأمر للساكن (تحركْ) أما دلالته على الاستمرار فهو عندما يكون الطلب به راجعًا إلى اتصال الواقع كقولك في الأمر للمتحرك: تحرك، يقول: ( وأمّا الكلام في أن الأمر أصل في المرة أم في الاستمرار، وأن النهي أصل في الاستمرار أم في المرة، كما هو مذهب البعض، فالوجه هو أن يُنظر إن كان الطلب بهما راجعا إلى قطع الواقع، كقولك في الأمر للساكن: تحرك، وفي النهي للمتحرك: لا تتحرك) [(1)].

**رابعاً: النهي.**

يشترط السكّاكيّ وجود الاستعلاء في النهي، وهو عين ما اشترط في الأمر قائلا: ((والنهي محذو به حذو الأمر في أن أصل الاستعمال: لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، وإلا أفاد طلب الترك فحسب))[(2)]، والسكّاكيّ ينظر دائما إلى توليد الدلالات المضافة وانتاجها وقد كان للنداء حظّ من ذلك يقول : ((ثم إن استعمل على سبيل التضرع، كقول المبتهل إلى الله لا تكلني إلى نفسي، سمي دعاء، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء سمي التماسًا)) [(3)]. أما دلالة النهي على الزمن والمقدار فقد ذهب السكّاكيّ إلى أن النهي مثل الأمر في ذلك[(4)] .

**خامساً: النداء.**

هو ضمن أنواع الطلب التي بحثها السكّاكيّ وهو يرى أن في قولك: (يا زيد) طلبا منك لإقباله عليك[(5)]. وعند بحثه أدوات النداء واستعمالاتها ومعانيها[(6)] في قسم (علم المعاني) من كتابه (مفتاح العلوم) يحيل القارئ إلى علم النحو من الكتاب نفسه للوقوف

(1) م . ن: 321.
(2) م . ن: 320.
(3) م . ن: 320.
(4) أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : 112 – 113.
(5) ينظر : مفتاح العلوم : 525 .
(6) م . ن: 549.

على ما يتعلق بالنداء من حروفه وتفصيل الكلام في معانيه.

ويرى أن الأدوات (يا، أيا، هيا) تستعمل لنداء البعيد، وأن استعمالها في نداء القريب إنما هو من المجاز الذي يراد به معنى (الاستبعاد) أو (التعظيم) وإن (أي، الهمزة) لنداء القريب وقد استعمل فيه (يا) أيضا و (وا) للندبة خاصة[(1)].

ويرى ايضا أن النداء قد يستعمل في معانٍ أخرى مثل معنى (الإغراء) كقولك لمن أقبل يتظلم: يا مظلوم تقدم، وأنك اذا اردت ترغيب المخاطب في شكوى الظلم وحثه على زيادة التظلم وبث شكواه[(2)] .

ومن الدلالات المنتجة الأخرى لبنية النداء يذكر السكّاكيّ دلالة الاختصاص وذلك في قوله: (ولكن ههنا نوع من الكلام، صورته صورة النداء، وليس بنداء، فننبه عليه، وتلك الصورة هي قوله: (ما أنا أفعل كذا أيها الرجل) و (نحن نفعل كذا ايها القوم)... يراد بهذا النوع من الكلام الاختصاص على معنى : أنا افعل كذا متخصصا بذلك من بين الرجال ، ونحن نفعل كذا متخصصين من بين الأقوام) [(3)] .

## ❖ المبحث الرابع

### التحول من البلاغة الى الاسلوبية

إن القراءة البلاغية في التراث النقدي لم تشهد تطوراً تجديدياً ، يناسب مع التطور الفكري واساليب التغير اللغوي .

ولما دخلنا عصر الحداثة، اتسعت الهوة بين تنوع اساليب التغير اللغوي وبين قراءة النص بحثاً عن معنى أو استقراءً لما يوحي به ونقده وفق معيار نقدي بدائي، قائم على النظرة المعيارية التعليمية في التقسيم ووضع مسميات كل ذلك كان تمهيداً لحلول الأسلوبية في مجال الابداع كبديل يحاول تجاوز الدراسة الجزئية القديمة[(4)] .

فجاءت الاسلوبية لتعلن أنها (تحليل لغوي موضوعه الاسلوب وشرطه الموضوعية)[(5)]، فهي فرع من اللسانيات الحديثة، تختص بالتحليلات التفصيلية للاساليب الأدبية، ويمكن

---

(1) م . ن: 550.
(2) م . ن: 527.
(3) م . ن: 323.
(4) ينظر: في الاسلوب الادبي علي بو ملحم : 172. ينظر: البلاغة والاسلوبية : 259 .
(5) دليل الدراسات الاسلوبية , جوزيف ميشال شريم : 37 – 38 , ينظر: علم الاسلوب صلاح فضل :156.

القول هي بلاغة حديثة[1] تسلط الضوء على العلاقات التكوينية للنص.

إن ظهور الاسلوبية نابع من معطيات عصر الحداثة ، فقصور البلاغة قد اتاح للأسلوبية أن تبدأ كأنها وريث شرعي لها لأنها (وقعت في دراستها عند حدود التعبير ووضع مسمياته ويصنفها وتجمدت عند هذه الخطوة، ولم تحاول الوصول الى بحث العمل الادبي الكامل، كما لم يتسنَ لها بالضرورة دراسة الهيكل البنائي لهذا العمل ، وكان ذلك بمثابة تمهيد لحلول الاسلوبية في مجال الابداع كبديل يحاول تجاوز الدراسة الجزئية القديمة واقامة بناء علمي يبتعد عن الشكلية البلاغية التي ارهقتها مصطلحات البلاغيين )[2] ، كما كانت عند السكاكي صورة مثلت حال الجمود المنهجي، إذ تقرأ النص الادبي مجتزأ ببيت أو بيتين أو قطعة شعرية ( في حالات نادرة اذا كان النص من الشعر) ، كما تقرأ النص متجزأً بجملة أو فقرة أو فقرتين في حالات نادرة اذا كان النص من أجناس النثر تحت ثلاثة مستويات (المستوى المكونات اللغوية ، ومستوى المكونات التصويرية ، ومستوى المكونات الايقاعية )، ودراسة كل مستوى كانت دراسة سطحية وليست معمقة وهي نسيج من احكام مقاليه تقويمية .

أما في ما خص مكونات النص اللغوي تحت ضوء الدراسة الاسلوبية الحديثة فنلحظ خمسة مكونات هي المعجمي والايقاعي والتركيبي ( الدلالي) والبنائي والتصويري ، وقد اشار الى ذلك سائر البلاغين من بينهم ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة وابن الاثير في المثل السائر ، غير أن العرض كان تقويمياً ، يسير وفق قواعده ومحدداته ، ولم يكن اسلوبياً يدرس الابعاد العميقة لبنية النص[3] .

وعلى وفق ذلك (أصبح محتماً أن يتجه البحث في البلاغة القديمة على نحو يربطها بالبحث الاسلوبي الحديث ، والافادة من ذلك من كل العناصر الموروثة التي تمثل في جوهرها قيماً تعبيرية ، تصلح كأساس لأسلبه البلاغة ، ومن هذا المنطلق كان محتماً أن تعرض الامكانات الاسلوبية التي وجدت بشكل أو بآخر داخل مباحث البلاغة لا باعتبارها توصيات وتقنيات ولكن باعتبارها طاقة لغوية داخل نسيج التعبير الادبي )[4] .

ومن ثَمَ لم يكن تحول البلاغة أي الاسلوبية أمراً مباشراً أو سريعاً وإنما أخذ قسطاً وافراً من الزمن وكثير من الجهود البلاغية التي افضت الى هذا التحول والذي ينسجم وطبيعة تطور العصور وليس من علوم اللغة فحسب وانما في سائر العلوم التطبيقية والانسانية .

(1) ينظر: البلاغة والاسلوبية , يوسف ابو العدوس : 16, وينظر: الاسلوبية وتحليل الخطاب , د. منذر عياشي:38 .

(2) البلاغة والاسلوبية , محمد عبد المطلب :9.

(3) ينظر: اسلوبية البيان العربي , رحمن غركان : 36.

(4) البلاغة والاسلوبية : 9 .



## الخاتمة

بعد هذه المقاربات البلاغية بشأن السكاكي وكتابه مفتاح العلوم واختيار مبحث الإنشاء من بين المباحث الكثيرة في كتابه، تمخض البحث عن النتائج الآتية:

1 – إن أبا يعقوب السكّاكيّ وكتابه (مفتاح العلوم) تعرضا إلى ظلم واجحاف كبيرين عن طريق وصفهما بالتعقيد وجفاف الأسلوب، والبحث لا يعدم وجود مثل هذه الصفة، ولكنها لم تكن بذلك الحجم الذي تشير اليه أغلب الدراسات، فضلا عن أنه كان معنيا في كتابه أن يضع الحدود ويقسم الأبواب قدر الإمكان لأن كتابه تعليمي بالدرجة الأولى.

2 – لقد أكّد السكّاكيّ أن الطلب (بنية توليدية)، وهذه الخصيصة في الطلب يقف عندها السكّاكيّ سواء في كلامه على الطلب عمومًا أو في عرضه لأساليب الطلب.

3 – لم يذكر السكّاكيّ الإنشاء غير الطلبي، بل وقف عند الإنشاء الطلبي فحسب، ولعل هذا ما دعاه إلى أن يسميه (الطلب) وتسويغ ذلك أن السكّاكيّ – وأغلب البلاغيين – لا يجدون في أساليب الإنشاء غير الطلبي معاني مضافة وهي عندهم اختيار في أصلها.

4 – لعل من المسوغات التي دعت السكّاكيّ الى هذا المنحى الذي وصف تعسفاً (بالمدرسي)، أنه أراد أن يوجه جهده الى الناشئة في سبيل اكسابهم مهارات بلاغية، إذ إنه لحظ ضعفاً في هذه المهارات في زمنه وهذا الامر يحسب له وليس عليه .

**قائمة المصادر والمراجع**


1- أدب الكاتب، ابن قتيبة ت 276 هـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط 4 المكتبة التجارية مصر 1963.

2- أساليب الطلب عن النحويين والبلاغيين، د. قيس اسماعيل الاوسي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة 1988.

3- أساليب المعاني في القرآن الكريم، جعفر الحسيني، ط1 (1428هـ – 2007م) .

4 – أسلوبية البيان العربي ( من أفق القواعد المعيارية الى آفاق النص الابداعي ) ، ط1 ، 2008

5 – الاسلوبية والاسلوب ، عبد السلام المسدّي ، دار العربية للكتاب ، ط3 .

6 – الاسلوبية وتحليل الخطاب ، د. منذر عياشي ، ط1 ( 1436هـ – 2015) .

7 – الأصول، تمام حسان، عالم الكتب (1425 هـ – 2004م).

8 – الأعلام، خير الدين الزركلي، ط2، القاهرة .

9 – البلاغة عند السكاكي، د. احمد مطلوب ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ط1 ، (1384 هـ – 1964م) .

10 – البلاغة والاسلوبية ، د. محمد عبد المطلب ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، ط1 ، القاهرة 1984م.

11 – البلاغة والاسلوبية ( مقدمات عامة ) ، يوسف ابو العدوس ، المكتبة الاهلية ، ط1 ، 1999م .

12 – البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، ط1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر (1997م) .

13 – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ت (471هـ) قراءه وعلق عليه ابو فهد محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، (1984م) .

14 – دليل الدراسات الاسلوبية ، جوزيف ميشال شريم ، ط2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، ( 1436 هـ – 1987م ) .

15 – علم الأسلوب ، مبادؤه واجراءاته ، د. صلاح فضل ، ط1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1992م.

16 – علم المعاني بين بلاغة القدامى وأسلوبي' المحدثين، د. طالب محمد اسماعيل الزوبعي، منشورات جامعة بنغازي، ط1، (1997م) .

17 – فلسفة البلاغة، د. رجاء عيد، ط2 دار المعارف الاسكندرية.

18 – في الاسلوب الادبي ، د. علي بوملحم ، ط2، المكتبة الجامعية، دار مكتبة الهلال ، بيروت، 1999م.

19 – لسان العرب ابن منظور، ت(711هـ)، ط1، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر (د . ت) .

20 – معاني الحروف، ابو الحسن الرماني، دار صادرة 1986.

21 – معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق احمد فريد الرفاعي، مكتبة عيسى البابلي الحلبي وشركاه، مصر.

22 – معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دمشق (1378هـ – 1959م) .

23 – معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. احمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ( 1407 هـ– 1987م) .

24 – مفتاح العلوم أبو يعقوب السكاكي، ت (626هـ)، تحقيق د. أكرم عثمان يوسف، دار الرسالة، ط1، (1400هـ – 1981م) .



## باب الاعلام:

# التكنولوجية الحديثة، والاعلام الاسلامي ...

# Modern technology، Islamic media…



**بقلم الدكتور خالد ممدوح العزي**

استاذ محاضر في كلية الاعلام والاتصال

الجامعة اللبنانية الفرع الاول

Dr-izzi2007@hogmail.com

**الملخص**

من ميزات أي استخدام في المجتمع الإسلامي ان يعتمد بالدرجة الأولى على «كلمة» «الله» كما يتم ذلك في الإعلام الإسلامي، وهذا الإعلام هو مصداق الخبر، بكل جوانبه من خلال الأمانة في النقل والموضوعية في الطرح والشفافية في التعبير.

ويعتبر الاعلام الإسلامي في عالم الثورة التكنولوجية الاعلامية إعلاما حديثا ، بحيث أصبح الإعلامي يواكب التطور التكنولوجي المعاصر. فنمت شبكات إعلامية إسلامية تقوم بنشر الرسالة والثقافة الإسلامية، فأضحت مؤثرة على شرائح واسعة في المجتمعات الإسلامية والعالمية . كما تم استخدام الشبكات الإلكترونية لكنها لا تزال ضعيفة مقارنةً مع الوسائل الإعلامية الأخرى. من حيث الكادر البشري والمهني، والقدرات المالية. حيث تم عرض المشكلة والنتائج في البحث.

**Abstract:**

One of the advantages of any use in the Islamic community is that it relies primarily on the word of God, as is done in the Islamic media.

This Islamic media in the world of the media technological revolution is considered a modern media, so that this media has become in keeping with the stormy technological development. Compared with other media in terms of human and professional cadres, and financial capabilities, where the problem and results were presented in the research..

**أهمية البحث :**

أهمية هذا البحث من طبيعة موضوع مختص من اجل تشخيص أبرز التحديات التي تواجه الإعلام الإسلامي إلى وسائل التواصل الاجتماعي والأساليب الإسلامية التي تستخدم.

وأيضا إبراز الاهتمام بالمعارف والسلوكيات الإسلامية في محاولة التأثير على الآراء والمعتقدات والسلوكيات الفردية في المجتمع.

**أهداف البحث:**

يمكن هذا البحث في توصيف دقيق لهذه الاستخدامات التي يمكن أن تساعد في تبني الأفكار وقيم الإسلام من خلال حديث. وإظهار صورة هذه المواقع كونها معروفة وشائعة بوسائل الاتصال والتواصل، وقد أظهر الاختلاف بين الأساليب المتبعة الترفيهية والمواقع الإسلامية.

**أسباب اختيار البحث :**

إن الاهتمام الشخصي بالتفكير الإسلامي، والأقوال الاسلامية ووجود مواقع تحمل هموم نشر الأفكار والمعتقدات الإسلامية والابتعاد عن العشوائية الفكرية والخطابات النارية.



والاقتناع بما تقوم به هذه الوسائل من نشر ونقد ورد على الأفكار المختلفة بين الفكر الإسلامي والأفكار الأخرى.

**الإشكالية :**

ما هو دور مواقع الاتصال الإسلامية في الدعاية والإعلان لتكوين إعلام إسلامي هادف, من خلال استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، مما يتفرع منه عدة تساؤلات وهي :

–هل هناك اختلاف بين الدعوة الخطابية والدعوة التكنولوجية .

–هل التكنولوجيا توفر المساحة والمكان والزمان المطلوب لهذا الإعلام .

–ما هي حدود الاستفادة من هذه الوسائل في النقاش والاستخدامات التعليمية والثقافية .

–هل يختلف نشر الفكر، والدعوة الإسلامية في المواقع والوسائل العادية .

**المنهج المستخدم في البحث:**

في هذا البحث كظاهرة يقصد دراستها في دراستنا في استخدام المنهج. ويتم تحديد الأبعاد والأسباب وطرق وسائل الاستخدامات الإعلامية.

بحيث انه يمكن أن تجمع بين المنهج الوصفي والمناهج الاخرى كالمقارن وتحليله في السياق التاريخي، وهنا لابد من ان يطرح السؤال الرئيس بظل الطفرة التكنولوجية وشبكات الاتصال لقد بات الإعلام الحديث يعتمد على تطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي.

**كلمات مفتاح :** الإعلام الإسلامي ، الدعوة ، التكنولوجيا الحديثة ، الفكر الاسلامي ، الطفرة الاعلامية.

**مقدمة:**

تشهد صناعة الاعلام تحولات كبيرة ومتواصلة من الابتكارات التكنولوجية كالروبوت

والذكاء الاصطناعي ، فالحوسبة السحابية ، وصحافة الطائرات المسيرة dorne " Journalism"، التي أدمجت في العمل الإعلامي كما أفرز لها في الصحافة

الإنفوغراف والفيديوهات الإخبارية القصيرة والتطبيقات الخاصة بالتحقيق من الاخبار، وصولًا الى أمن البيانات وأمن المحتوى وغير ذلك من العناوين التي اصبحت تتصدر ليس نشرات الأخبار فحسب، بل المؤتمرات والفعاليات الاعلامية والتكنولوجية المختلفة حول العالم.

فالتكنولوجيا تعد أدوات وتقنيات تطور العمل ، بل ساهمت بتحسين اداء العمل الاعلامي ، بحيث امتدت لتكون رأس الحربة في تطور المشهد الإعلامي برمته. حيث أصبح العمل والممارسة وكل تحديث لا ينفصل عن التكنولوجيا.

لكن ثمة مؤشر خطير يقرع جرس الانذار للإعلاميين لتدارك الموقف بصورة أوضح من خلال سؤال اطرحه للاستدلال ألا وهو: هل الاعلام يقود التكنولوجيا؟ ام التكنولوجيا تقود الاعلام ؟ وما تداعيات تلك القيادة لأحدهما على الآخر.

الاعلام هو نقل المعلومات الى كافة الشرائح الاجتماعية بغض النظر عن المرسل بواسطة التكنولوجيا الجديدة . اما في الاعلام الإسلامي ، يصبح الداعية الاسلامية ينشر الأخبار والمعلومات كونه المرسل ويتولى عملية نقل الأخبار في احد وسائل التواصل الاجتماعي للمتلقين.

**الاعلام:**

الإعلام كلمة مشتقة من فعل اعلم ، إعلاما ،بمعنى اخبر إخبارا، من هنا خرج المصطلح الإعلامي الحالي إلى النور في اللغة العربية، والذي يهتم بالنقل الحر والموضوعي للاخبار وسير الأحداث ،ونقل المعلومات من خلال كل الوسائل والرسائل العلمية المتعددة بصورة الصحافة. فاللغة العربية في العالم العربي هي اللغة الفصحى والمعتمدة في الصحافة وبالتالي هي اللغة الأغنى كونها لغة القرآن المعتمدة في العالم العربي والإسلامي، والذي يعتمد عليها.

**1- مفهوم الإعلام :**

يقصد به بالاخبار بالإضافة إلى نقل امين لواقعة ما وسليم. ويقول عبد اللطيف في الاعلام الاتي: «الاعلام وسيلة من الوسائل الديمقراطية تستخدم في توعية الناس وتبصيرهم وكذلك في الرقابة[1].

(1) محمود يوسف السماسيري ، فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، المعهد العالي للفكر الاسلامي، القاهرة ،1981، ص 90.



ومن هذا التعريف يمكننا ان نقول بان غاية الاعلام هي الاقتناع بنشر هذه الحقائق الثابتة عن طريق المعلومات والحقائق الاخرى بحيث تقدم كل هذه الارقام والاحصاءات كاملة غير منقوصة فان كان فيها نقص او عيب او تحييز خرجت عن نطاق الاعلام لتدخل في نطاق اخر كالتبشير او الدعاوي او الاشاعات لخدمة معينة .

وعلى هذا فان رجل الاعلام الصحيح هو الذي يقدم الارقام والحقائق والإحصاءات الدقيقة في الموضوع الذي يريد ان ينقله الى الآخرين، واخيرا، فان الاعلام ليس تغييرا «ذاتيا» من جانب رجل الاعلام او الصحفي او الناطق الرسمي لمؤسسة معينة وانما هو تعبير موضوعي خالص وقائم على الحقائق في بعض الاحيان وعلى الارقام والاحصاءات في احيان اخرى.

اما المعلومات والاخبار الشخصية التي اساسها القصد او الغرض فهي بعيدة كل البعد عن الاعلام بمفهومه الصحيح .

**2- عناصر الاعلام الاسلامي:**

تعتبر عناصر الإعلام الإسلامي هي نفسها عناصر الاعلام العادي وتملك ثلاث عناصر اساسية وهي:

1- عنصر المرسل.

2- عنصر المستقبل.

3- عنصر الادارة او الوسيلة.

ويعتبر عنصر المرسل صاحب الرسالة او تلك الجهة التي تصدر سواء من جهة حكومية أو أهلية أو جماعية .

اما عنصر المُستقبل فهو الجهة التي تُوجه اليه الرسالة.سواء كان فردا اوجماعة.

والعنصر الثالث هو الاداة التي تؤدي الرسالة من خلال صحيفة ، مجلة ، اذاعة، تلفاز، خطة، ندوة، مؤتمرات او وكالات خاصة تنشر الأنباء او سوق او معرض الى غير ذلك من الوسائل[1] .

---

(1) خالد ممدوح العزي، الاعلام مهنة وأخلاق يمارسها الاعلامي ، موقع الحوار المتمدن الالكتروني الحوار المتمدن الالكتروني –العدد: 4374 - 2014 / 2 / 23 .http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=402207

كما وانه لا بد من الاشارة الى دور رجل الاعلام في تحقيق النجاح والتطور حيث ان الموظف او الصحفي او الكاتب غير المهيأ لان يكون رجل إعلام ناجح ويشكل عاملا«سلبيا» في طريق النجاح والتقدم المنشود في هدف الاعلام.

**تعريف الإعلام الإسلامي:**

الإعلام الإسلامي يستمد صفاته وخصائصه من منهج الدعوة الكلمة «المستمدة من القرآن . حيث يعتمد الإعلام الإسلامي على التعريف بالدين الحنيف. ومن اهم التعريفات بالإعلام الاسلامي حيث يعرفه الدكتور عبداللطيف حمزة بقوله[1]»:تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة،

وبعد أن يورد د. سيد الشنقيطي مجموعة من التعريفات للإعلام، وفيها بيان أنه يعتمد على الحقائق المجردة مع الصدق والموضوعية .. الخ.ان الاعلام الوضعي ليس له طبيعة واحدة فمنه ما هو صادق ومنه ما هو كاذب. وذلك ما لم نلاحظه في التعريفات الإعلامية السابقة؛ حيث غلب على معظمها الميلُ إلى الحكم بغاية الإعلام، أو بما يجب أن يكون عليه الإعلام.

ثم يبدأ بتعريفه [2].فيقول هو كل قول او فعل قصد به حمل حقائق او مشاعر وعواطف فرد او جماعة بغية التأثير سواء كانت الوسيلة المعتمدة قديما او حديثا.

ويصفه الشنقيطي بأنه اعلام من الله ولله وحمل مضامين الوحي الإلهي. يلاحظ تقارب التعريفات الثلاثة في أكثر الجوانب، وتكملة بعضها للبعض الآخر في الجوانب الأخرى .. كما يلاحظ الاحتياط والدقة في تعريف الشنقيطي أكثر؛ فقد بيَّن ما احتوى على «الحكمة» في التبليغ والإعلام، ولا بد منها في هذا الجانب استجابةً لأمر الله تعالى: «أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة» النحل 125 وقد خلا التعريفان السابقان من هذه، إلا أن يكون قصد الشيخ الركابي من «الموضوعية» هو «الحكمة»، ولكن التعريف الأخير أشمل وأكثر دلالة.

---

(1) عبداللطيف حمزة ، الإعلام والدعاية، ط2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1978، ص 76.

(2) سيد محمد ساداتي الشنقيطي، دراسة تحليلية لنصوص من كتاب الله «مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم»، دار عالم الكتب، الرياض ، 1986، ص 17 - 18.

أما تعريف الباحث زين العابدين الركابي للإعلام الإسلامي [1] فأن المقصود بهِ رؤية الأحداث والقضايا والأخبار والعلاقات من منظار إسلامي إعلامي، وعرَّفه بقوله:تزويد الناس بصفة عامة بحقائق الدين الاسلامي المستمدة من كتاب الله ورسوله من خلال وسيلة اعلامية دينية.

ونقل المبادئ وشرحها شرحًا واضحًا وصحيحًا وثابتًا، ومستهدفًا تنوير الناس وتثقيفهم ومدَّهم بالمعلومات الصحيحة بموضوعية أيضًا، معبرًا عن عقلية الجماهير، ومراعاة الأسلوب واللغة التي تخاطب الجماهير.

ويعرِّفه الدكتور محيي الدين عبد الحليم[2] بقوله: بصورة واسطة متعمقة.

وهناك تعريفات أرى للإعلام الإسلامي، بان المقصود به رؤية الأحداث والقضايا والأخبار والعلاقات من منظور إسلامي إعلامي. أي نقل المبادئ وشرحها شرحًا واضحًا،وصحيحًا وثابتًا،ومستهدفًا تنوير الناس وتثقيفهم ومدهم بالمعلومات الصحيحة بموضوعية أيضًا، معبرَا عن عقلية الجماهير، ومراعاة الأُسلوب، واللغة التي تخاطب الجماهير .

فالإعلام الإسلامي يعتمد على رسالة من شعب مرتبط بالبث والإرسال إلى التلقي والاستقبال: «كما جاء في الآية الكريمة،﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴿٣﴾ ﴾(سورة المائدة:3) وبرسالة نبي المصطفى» اكتملت الرسالة.

**الإعلام الإسلامي:**

الإعلام الإسلامي يعتمد بالدرجة الأولى على الكلمة ،التي هي بالأساس تعتمد على مصداقية الخبر والأمانة في النقل والموضوعية في الطرح، والشفافية في التعبير، يعتبر الإعلام في عالم الثورة الإعلامية إعلام حديث، لقد تأثر بالصحوة الإسلامية المتأخرة، وأصبح يواكب التطور التكنولوجي المعاصر[3]، نمت شبكات إعلامية إسلامية مختلفة ومتطورة في العالم معتمدة على نشر الثقافة الإسلامية وأضحت لها وسائل إعلامية

(1) الشيخ الركابي، محاضرات ألقاها على طلاب السنة الأولى قسم الإعلام – ماجستير، كلية الدعوة والإعلام (المعهد العالي للدعوة الإسلامية سابقًا) ، الرياض، 1983-1982.

(2) محيي الدين عبدالحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1984، ص 147.

(3) خالد ممدوح العزي،الإعلام الإسلامي، واقع حقيقة وتحدي عالمي،الحوار المتمدن الالكتروني –العدد: 3525 – 2011 / 10 / 24 . http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=280894&r=0

عديدة وقادرة في التأثير على شرائح واسعة في المجتمعات الإسلامية والعالمية، لكن هذه الشبكات والوسائل لا تزال ضعيفة مقارنة مع الأخرى.

**مصطلحات الإعلامية الاسلامية :**

الإعلام الإسلامي يفرض الانتباه إلى المصطلحات الإعلامية المتداولة في وسائل الإعلام الأخرى وهي (الحرام ، الحلال ، الجنة ، النار ،كتاب الله ، الشريعة، الدعوة الاسلامية، سلوكيات الخلفاء الراشدين ، السيرة النبوية) . والمقارنة قبل نشرها في المواقع والإسلامية ،فكل ما تبثه الوسائل الإعلامية والعربية والإسلامية لا تخضع للعقيدة الإسلامية الحقيقية ، فكل البرامج والمواضيع التي يتم بثها وعرضها للمشاهدين هي بعيدة عن العقيدة الإسلامية التي تحاول بعض القنوات عرضها تحت شعار العقيدة الإسلامية ونشرها. البرامج السياسية والأخبار التي تتناول تطور الأحداث العالمية والتي تعرض على القنوات والمحطات الفضائية نراها مقسمة تقسيما جغرافيا سياسيا مشوها.

**يعتمد نشر الإعلام الإسلامي**

يعتمد نشر الإسلام الإسلامي على أساس «بث الدعوة الإسلامية «الأحاديث». فالاسلام اعتمد في البداية على نشره الوسائل الإعلامية البدائية التي كانت سائدة وقتها كإرسال المبعوثين إلى القبائل والأقطار التي يمكن العمل على نشر الدعوة، اللقاءات والمحاضرات في المساجد واللقاء الخطب نهار الجمعة ،استقبال الوفود والرسائل إلى الملوك والأمراء بوصفها إعلام دولي .كذلك اعتمد نشر الإعلام الإسلامي على الفتوحات الحربية ورحلات التجار المسلمين إلى أماكن بعيدة تصلها الرحلات[1]، لقد احتفظ الإسلام بالوسائل الإعلامية التي عمل بها أهالي الجاهلية ،مثل الشعر والأسواق العامة ، والمناداة، والطبول، وغيرها من وسائل الإعلام التي كانت معتمدة في ذلك الزمن التي بدأت فيه مسيرة الدعوة الإسلامية[2] بأمر من الله عز وجل ورسوله النبي المصطفى .

يضع د. عبد الرزاق الدليمي أسس الإعلام الإسلامي الناجح[3]، فالإعلام فن رفيع وخطير وسلاح ذو حدين، والإعلامي الإسلامي الناجح هو الذي يحدد أهدافه، ويدرس

---

(1) خالد ممدوح العزي ، الاسلام السياسي في خطابه الإعلامي ، الكتاب الشهر ( منصات الميديا الجديدة والعنف المقد ) مركز المسبار للدراسات والبحوث 79 ، الإمارات العربية، 2015، ص103-69.

(2) خالد ممدوح العزي، تطور الخطاب الإسلامي في الإعلام ، الحوار المتمدن الإلكترونية ، لعدد، 4712 - 2015 / 2 / 6 - 02 . http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=453956&r=0

(3) عبد الرزاق الدليمي ، الاعلام الاسلامي ، دار المسيرة الاردن ، 2013، ص 203-197.

جمهوره، ويختار الرموز والقنوات المناسبة، ويتابع صدى رسالته ومدى تأثيرها في الرأي العام، ومن الصعوبة أن يستعيد الثقة بالجمهور في حال عمد إلى استغفال الجمهور وردد الأكاذيب، ويأتي هذا التحذير من مبدأ أن الجمهور الإسلامي يزدري الكذب، وفي حال وصم شخص أو مؤسسة ومجموعة بهذا الوصم، فإنه من الصعوبة جدا ،إن لم يكن مستحيلا، استعادة الثقة، مما يجعل جميع الجهود المبذولة من قبل وسيلة الإعلام تذهب دون جدوى وهنا يمكن ان يعتمد الإعلام الإسلامي في معالجته لكل القضايا والأمور الدنيوية على التالي:

1 – الصدق: هو لسان الحق ،صدق المنبث نابع عن رؤية إسلامية صادقة وصحية هادفة لنشر الإسلام كدين.

2 – صدق الخبر: فالدين الإسلام يفرض الالتزام الدقيق بالحقيقة المجردة دون حاجة لزيادة أو النقصان، الخبر الإسلامي ينبغي أن يكون مرآة صادقة تعكس الواقع.

3 – صدق الصياغة : الإسلام يفرض صياغة صادقة للخبر حتى لو تمت صياغته عدة صياغات ملائمة حسب موقع الخبر في النص مع ذكر مصدر الخبر وموقع الحدث.

4 – ظاهر الحقيقة: الإعلام الإسلامي يفرض ذكر الحقائق كاملة كما هي دون زيادة أو نقصان أو تجميل أو تلميع للخبر.

5 – الإعلام الإسلام يتطلب عرض وجهة النظر الإسلامية أثناء صياغة الخبر.

6 – الإعلام الإسلامي هو إعلام هادف لتحقيق الخبر وعرضه على المجتمع الإنساني والإسلامي الذي هو بحاجة إلى عرض الخبر الصادق والهادف.

7 – الواقعية المنهجية: واقعية الإعلام الإسلامي في تعامله مع الحدث تكمن من خلال الواقع المجتمعي، واقع الحياة البشري واقعية منهجية ، واقعية تطبيقية.

وهذه النقاط التي تم عرضها يؤكد بان الاعلام الاسلامي يعتمد العمل بها وتساعد المتلقي بصورة عامة عندما يبحث عن الحقيقة، ووسط الكم الهائل من وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمشاهدة وما يحمله الإنترنت من قنوات اتصال هائلة، فإن الجمهور غير مضطر للتواصل مع وسيلة إعلام غير دقيقة في معلوماتها وأخبارها، فكيف بها إذا وُصمت بـ»الكاذبة»، ويضع الكاتب شرطا جازما للإعلامي الناجح، لا

سيما الملتزم بدينه وعقيدته الإسلامية، فهو الذي يعتمد على فن تقديم الحقائق بالطريقة التي لا تحدث آثارا سلبية، وهو الذي يدرس باستمرار صدى رسالته في نفوس جمهوره، حتى يضمن أن الطريقة التي انتهجها ستقوده إلى تحقيق أهدافه الإعلامية.

وبناءا لذلك نرى بان مهمة الاعلام الإسلامي هي عملية دعووية، وليست إخبارية فقط ، خصوصا ان هذا الاعلام بات يعتمد على التكنولوجيا في نشر الدعوة الاسلامية ، وقت غابت وظيفة الاعلام الأساسي من قبل الإعلاميين الإسلاميين لصالح رجال الدين والدعاة الذين باتوا يستخدمون الوسائل التكنولوجية في إرسال الرسالة الدينية للمتلقي. الإعلام الإسلامي يقوم على الأسس التالية:

1-الكلمة في القرآن تعتبر أساس لان القران هو دستور شامل وقانون نافذ تأخذ منه كل الأسس في نشر الدعوة الإسلامية.

2-الواقعية في الحوار والتحاور.

3-الالتزام والصدق في بث الإخبار.

4-المواجهة الصريحة في الحوار وتسمية الأشياء بأسمائها ،

5-استخدام أدب التحاور.

6-الاهتمام بكل الأشياء أثناء التحدث بالصغيرة والكبيرة.

7-الاعتماد على أفضل أسليب التخاطب والتحدث في عرض الأقوال والآراء:

8-استعمال القول الحسن.

9-اللين في الكلام مع الخصم أثناء التحدث في استعمال الأقوال والخطابة.

10-الحكمة في عرض الموضوع للنقاش أو التداول.

11-الشمولية في العرض.

12-الثبات في المواقف والمرونة في العرض.

**خصائص الإعلام الإسلامية:**

للإعلام الإسلامي أنواع ومقاييس، وشروط ومقومات. وتعتبر الصحافة الإسلامية صحافة إيجابية لا تكتفي بالإشارة إلى الأخطاء وتوجيه النقد بل تطرح البديل. الصحافة

الإسلامية صحافة تحليلية تعتمد على الدلائل العقلي تتميز الصحافة الإسلامية كوسيلة إعلام ديني بعدة خصائص إعلامية، منها[1]:

1-قدرتها على الاحتفاظ بالمعلومات التي لديها أطول مدة ممكنة.

2-أن الوسائل المطبوعة هي وسيلة الإعلام الوحيدة التي يستطيع القارئ أن يعرض نفسه عليها في الوقت الذي يناسبه ويتفق مع ظروفه.

3-أنّ هذه الوسائل تمتاز بالقدرة على التصرف في محتوياتها في أي حجم وبأية تفصيلات تظهر الحاجة إليها.

4-أن المطبوعات هي أقدر وسائل الإعلام على التخصص في فرع معين من فروع المعرفة تتخصص في الدِّين والصحة والرياضة والاقتصاد، الخ، وبالتالي فهي من أنسب وسائل الإعلام الدينية المتخصصة.

ومن هذا المنطلق، فهي أفضل وسيلة لتقديم الموضوعات الإسلامية الطويلة والآراء المتعددة والتفسيرات المطوَّلة.

مسؤوليات الإعلام الصحفي الإسلامي:

هناك عدة مسؤوليات يناط بها الإعلام الصحفي الإسلامي، ومنها

1-تعريف الرأي العام بأصول وأحكام الدِّين الإسلامي

2-محاربة البدع والخرافات الدخيلة على الإسلام

3-الإسهام في الكشف عن جوهر الدِّين الإسلامي، وإزالة الأباطيل والشبهات التي يلصقها الأعداء ظلماً بالإسلام.

4-الرد على التساؤلات والاستفسارات مدعومة بوجهات نظر وفتاوى واجتهادات العلماء والباحثين الإسلاميين.

5-معالجة المشكلات وغيرها معالجة إسلامية مستنيرة.

6-تحرير الأخبار وكتابة التعليقات والتحقيقات بما يتفق وخدمة الإسلام

---

(1) محمد خير رمضان يوسف،من خصائص الإعلام الإسلامي، وكالة القدس للأنباء الالكترونية ، 10 تشرين الثاني 2014. http://alqudsnews.net/post/66350/

7-استخدام الزخارف الإسلامية في عملية الإخراج والابتعاد قدر الإمكان عن الأساليب الإخراجية التي تتنافى مع هيبة الإسلام.

إنّ فهم الإعلام ودراسته مطلب رئيس، إذ يستلزم الإلمام بالأبعاد والزوايا المختلفة للإعلام. فهناك الزاوية الإحصائية التي تبيِّن لنا تجريبياً معاملات الارتباط في الحقل الإعلامي. وهناك زاوية التي تُعنى بدراسة تطور تاريخي للظواهر الإعلامية. وكذا الزاوية القانونية التي ندرس من خلالها التنظيمات الإعلامية من الوجهة القضائية.

إضافة إلى ذلك، هناك الزاوية الاقتصادية التي تقوم أساساً على دراسة وسائل الإعلام من الناحية الإدارية، بمعنى تحقيق أهداف هذه الوسائل في حيز النشاط الاقتصادي الذي يهدف إلى إشباع الحاجات الإنسانية الأساسية.

**أهداف الدعوة، الإعلام الإسلامي:**

يمكن شرح الهدف من العملية الإعلامية هو «الإنسان» ويمكن تسخير كل الوسائل والأساليب الإعلامية لإيصال فكرة معينة إلى المُستقبِل،[1]ليحيا على حق في العاجل والآجل.[2]

وترتكز أهداف الإعلام الإسلامي في العصر الحديث على أسس كثيرة، نذكر منها:

1- تجديد الدعوة إلى التوحيد، وهذه الدعوة لا تعني أن التوحيدَ غير موجود، بل هو تذكير مستمرٌّ ينبغي أن يركز عليه الداعيةُ الإعلامي دائمًا .

2-دعوة المسلمين بعضهم بعضًا إلى الخير. «وتواصوا بالحق وتواصو بالصبر» العصر»:

3-ومعنى هذه الدعوة هو إرجاع المسلمين إلى جوهر الإسلام وتشريعه الحكيم وتعميق ذلك في نفوسهم .

4- دعوة غير المسلمين إلى الدخول في الإسلام.

5- الجمع بين تحريك الإيمان في نفوس المخاطَبين والمجتمع الإسلامي، وإثارة

(1) حمود حمود، مواقع التواصل الاصولي بين تخصيص وتعميم الاصولية، الكتاب الشهر (منصات الميديا الجديدة والعنف المقد ) مركز المسبار للدراسات والبحوث 79 ، الإمارات العربية، 2015، ص 45- 66.
(2) محمد خير رمضان يوسف، الإعلام الإسلامي تعريفه وأهدافه والغاية منه، شبكة الالوكة الالكترونية ، 27-اب 2014، https://www.alukah.net/culture/75190/0/

الشعور الديني، وبين إكمال الوعي وتنميته وتربيته.

6–صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف وإخضاعها للتصورات العصرية الغربية، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية التي نشأت في أجواء خاصة وبيئات مختلفة ولها خلفيات وعواملُ وتاريخ، وهي خاضعة دائمًا للتطور والتغيير، فيجب أن نغار على هذا الحقائق الدِّينية والمصطلحات الإسلامية غيرتنا على المقدَّسات وعلى الأعراض والكرامات، بل أكثر منها وأشد؛ لأنها حصونُ الإسلام المنيعة وحماه وشعائره.

7– تحرير العقيدة مما قد يداخلها من أباطيل الخصوم وافتراءاتهم، ومهمة رجل الإعلام الإسلامي التصدي لهذه الافتراءات .. ولا بد أن يكون متفهمًا للدعوة الإسلامية حتى يستطيع نشرها، كما أنه لا بد من دراسة هذه الافتراءات دراسة جيدة، وإن لم يكن رجلُ الإعلام الإسلامي مسلَّحًا بهذا العلم فلربما انجرف مع التيار المنحرف والمضلل.

8– الدعوة إلى التعلم؛ فالعلم طريق إلى الإيمان.

9– تأكيد معنى الحرية؛ فالإسلام أعطى الحرية الكاملة للإنسان فيما يفعل، وهي مقيَّدة بعدم المساس بمبادئ الإسلام، والإساءة إليه .

10الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، فما أصاب المسلمين وما يصيبهم بسبب أنهم غير متحدين؛ (الأنفال: 46)؛ فهدفُ رجلِ الإعلام هو الدعوة إلى الوحدة بين المسلمين.

11– دعم اللغة العربية الفصحى، والتمسك بالدعوة إليها، فالفصحى هي لغةُ القرآن، ومن أسباب فُرقتنا عدم محفظتنا على هذه اللغة، فاللهجات المحلية المتفرقة، والدعوةُ إلى الكتابة بها وجعلُها لغةَ التعليمِ ووسائلِ الإعلام – تسبِّب الافتراق، ويقع على عاتق رجل الإعلام بيانُ هذا.

12– بعث الفِكر الإسلامي الأصيل والتماس منابعه في القرآن والسنَّة، فكل مقوِّمات الحضارة موجودةٌ في الفكر الإسلامي، وأكثر العلوم الحالية أصلُها إسلامي.

13–بناء الحضارة الإسلامية المعاصرة، ونحن ندعو إلى الماضي ولا نفرِّط فيه، بل يكون هناك ربط بين الماضي والحاضر.

14– تجلية محاسن الإسلام ومزاياه وتقريب مفاهيمه وحقائقه حسَب قدرات الناس

ومداركهم.

16–الربط بين الدِّين والعِلم، والعِلم والدِّين والأخلاق، وبين الدِّين والتربية والمجتمع، وبين الدِّين والدنيا.

17– بث الفضائل الأخلاقية والعادات الإسلامية السليمة، مثل الوصاية بالجار، وردِّ الحقوق إلى أهلها، وكفالة اليتيم، والعناية بالأرملة؛ فالإسلام من حيث المعاملات الأخلاقية يقوِّم السلوك الإنساني، ورجل الإعلام ينبغي أن يكون متصفًا بهذه الأخلاق ثم يدعو إليها؛ ليكون كلامه مؤثرًا، ودعوتُه مقبولة، وقد كان الرسول»صلعم» معروفًا الأمين.

18–حماية المجتمع الإسلامي من الأخطار الخارجية والدعايات المسموحة، وذلك بالردِّ عليها والعمل على نشر المعلومات والأخبار الصادقة.

19–غرس مبادئ الإسلام والثقافة الإسلامية على مستويات مختلفة، أهمها: الأسرة – المدرسة – المسجد – وسائل الإعلام المختلفة، بما فيها وسائل النشر، من صحافة وكتب وإذاعة وتلفاز–إنشاء المعاهد والكليات الإعلامية المتخصصة الإسلامية .

20– الاستيعاب الحق لتقنيات الوسائل الإعلامية الحديثة عِلمًا وممارسة .

21 –الاهتمام بالجانب الترفيهي الهادف من خلال برامج ومشاهدة صفحات وسائل التواصل الحديثة.

تشكل وسائل تكنولوجيا الاتصال والمعلومات أهمية كبيرة للإعلام الاسلامي، حيث تُمكنه التأثير في الرأي العام وتكوينه وبلورته وتوجيهه[1]. وفي هذا السياق يرى عبدالله هندي [2]2010 ، ان أهمية الوسائل التكنولوجية الحديثة للإعلام الاسلامي تنبع من اهتمام غير المسلمين بوسائل الاتصال الحديثة، الامر الذي حتم على المسلمين ان يأخذوا بهذه الوسائل، فهي تتميز بانعدام المحدودية، اي ليس لها حدود زمانية ولا مكانية، اضافة الى سهولة استخدامها وتوجه انظار الناس اليها واهتمامهم بها. وهو ما يدعم اهميتها، فضلا عن وصولها الى المليارات في سائر انحاء العالم، مما يعطي الاعلام الاسلامي فرصة كبيرة في الوصول الى الجمهور العالمي . ومن هنا، يرتبط

---

(1) خالد الاصور، الفنون الاسلام الحدية ، الشركة العالمية للنشر والتوزيع ، مصر ، 2002، ص 195

(2) عبدالله هندي، وسائل التكنولوجيا في خدمة الدعوة، مجلة البيان الالكترونية ، العدد بتاريخ 10نوفمبر / تشرين الثاني 2010. https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?id=396

الاعلام الاسلامي الالكتروني باستخدام احدث تكنولوجيات الاعلام والاتصال في العصر الحديث، حيث يبث عبر الشبكة العالمية للإعلام والاتصال و يعني اعادة بث الاسلام من منضور قيمي وادراكي وفكري وعقائدي ، وما يتخيل ذلك من ثوابت ومتغيرات من خلال الوسيط الالكتروني يقول عبد الطحاوي[1] لقد اضحت وسائل الاعلام اليوم اكثر تفاعلية، واكثر تناغما في اطار ما تسمى بظاهرة الاندماج التكنولوجيConvergence الذي تزاوجت من خلال ثلاث صناعات عملاقة وهي الاتصالات والحاسبات والاعلام ومن هنا اصبح من الضروري الاهتمام بالإعلام الاسلامي كما يشير في كتابه الاعلام الاسلامي دراسة للمواقع الاسلامية على الأنترنت.

وذلك بأنشاء المزيد من المجلات والصحف الالكترونية الاسلامية النوعية والمواقع الالكترونية الدينية الاسلامية المتخصص ذات الجودة العالية في المحتويات والشكل. ولذلك بات الاعلام مرتبط بثورة الاعلام الالكتروني المرتبط بالشبكة العنكبوتية من خلال ربط هذه المنصات والتطبيقات بالشبكات الالكترونية حيث باتت هذه الشبكات اكثر قدرة في ايصال المعلومات وربطها بالمجتمعات والافراد من خلال نشر المعلومات المكتوبة والمرئية والمسموعة[2]التي تساعد الدعوة الاسلامية ونشرها بالوسائل الحديثة والتي تؤسس لخطاب اعلامي اسلامي متكامل يخترق الحدود ويصل الى المتلقي ويعطيه صورة ناصعة عن الاسلام والمسلمين [3] .انطلاقا من ذلك فان اهم وسائل الاعلام الالكتروني التي تضطلع بدور مهم في مجال الاعلام الاسلامي ولذلك نرى الاهمية الكبرى بالاهتمام بالمواقع الالكترونية الاسلامية.

اما د. حردان هادي الجنابي[4]يشير الى ان الاعلام هي سمة بارزة من سمات العصر الحديث واشتدت صورته في الفترة الاخيرة حين برزت قوة التأثير المباشر على الاحداث التي تؤثر على الراي العام حيث يقول بان:» الاعلام هو ثورة هذا العصر»، فقد اصبحت وسائل الاعلام ضيقة في كل بيت، فلا يكاد يخلو منزل من الوسائل الحديثة

---

(1)عبد الطحاوي، بين إرث الماضي وآفاق المستقبل، 1981 – 2010 القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية، 2010، ص 458.

(2) محمد مصفى رفعت، الرأي العام في الواقع الافتراضي وقوة التعبئة الافتراضية ، الناشر العربي للتوزيع ، القاهرة ، 2018 ، ص 161.

(3) جمال عبد ناموس القيسي،الاخبار في الصحافة الالكترونية موقعا BBC العربية و ايلاف انموذجا، الناشر جامعة بغداد، بغداد 2010، ص 289 .

(4) د. حردان هادي الجنابي العربي، الاعلام الاسلامي دراسة للمواقع الإسلامية على الإنترنت ، للنشر والتوزيع، القاهرة 2016 ، ص 51.

او الاتصال المرتبط بالنت، حيث بات الانسان باستطاعته استخدام الوسائل المتعددة في نشر الاعلام الاسلامي الذي يرتكز على الدعوة الاسلامية من خلال الوسائل التالية[1] :

**أولًا: الفيس بوك:Facebook** وهو موقع مهم يدخل عليه حوالي 250 مليون إنسان على مستوى العالم، ومن خلاله يمكن التواصل مع أي إنسان في أي مكان وزمان، ويتم عمل صفحات شخصية لهم عليه لمخاطبة جماهيرهم ونشر الدين والدعوة داخل العالم العربي وخارجه، وبالنسبة لتطويعه دعويًا فإنه يمكن القيام بالآتي:

1 – **عمل مجموعاتGROUPS** تدعو إلى الحث على الفضيلة ونشرها بين الناس.

2 – مراسلة جميع أصحاب الصفحات الموجودة لديك بما تريد توصيله من قيم وأخلاق وغيرها.

3 – التواصل مع غير المسلمين لدعوتهم إلى الدين الإسلامي وذلك بإتقان لغة المخاطب.

4 – محاربة المجموعات التي تقوم بتشويه صورة الإسلام والضغط على موقع الفيس بوك لإغلاقها، وهذا ما حدث بالفعل مرارًا وتكرارًا.

**ثانيًا: التويتر :TWITTER** هو أحد المواقع التدوين المصغر، ويسمح للمستخدمين بإرسال أهم اللحظات في حياتهم في شكل تدوينات نصية لا تزيد عن 140 حرف إلى موقع تويتر. وذلك من خلال برامج التراسل الفوري، أو البريد الإلكتروني.

**ثالثًا: يوتيوب :YOUTUPE (موقع فيديوهات)** وهو موقع قام به بعض الشباب السعوديين يقوم بعرض لقطات الفيديو الخالية من المحتوى المخالف لمبادئ الدين الإسلامي، من موقع يوتيوب الشهير، المختلط فيه الحابل بالنابل، www.naqatube.com وفي تصوري أنه أحد الوسائل المهمة جدًا لتوصيل الإسلام إلى المسلمين –خاصة– عبره من خلال المقاطع الإسلامية (المرئية، والصوتية).

**رابعًا: الإيميلات(E:mails)** ومجموعات البريد الإلكتروني(Hotmail – Yahoo – maktoob – Gmail) –التي يمكن من خلالها:

(1) خالد ممدوح العزي ، دور المنصات الاعلامية وتعاملها مع المعلومة في المجتمعات الافتراضية ، مجلى وميض الفكر، مجلة نصف سنوية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، كانون الثاني 2020 ، 238– 257.

1 – نشر فكرة إسلامية معينة، أو إرسال رسالة مؤثرة تصحح مفهومًا أو تدعو إلى خُلُقٍ فاضلٍ.

2 – التذكرة بفضل المناسبات الإسلامية في وقتها والدعوة إلى العمل الصالح فيها: ومثال ذلك: دعوة من لديك على بريدك الخاص إلى صيام الإثنين والخميس، أو إلى صدقة جارية أو قراءة القرآن.

3 – المشاركة في أعمال خير، أو أعمال اجتماعية تخدم المجتمعات الإسلامية:

4 – يمكن مراسلة شخصيات معروفة لمساعدتك في توصيل فكرة أو مفهوم تحب ترويجه، ولن تعدم فائدة منهم بإذن الله، تعالى.

5 – فللإيميلات سلبيات: كنشر صور ودعاية وإعلانات غير محترمة، وهو ما يحفزنا لتطويع هذه الوسيلة بصورة صحيحة.

–خامسًا: المواقع (بشكل مباشر): sites بشرط نشر عنوان الموقع والدعاية القوية له.

**سادسًا: المدونات:(bloggers)** التي يمكن من خلالها القيام بالآتي:

1 – توصيل رسالة المدون إلى متصفحي مدونته وتوجيه أفكارهم نحو الصالح.

2 – يمكن من خلالها نشر مواعظ ومقالات وأخبار وتحليلات.

3 – مواكبة الأحداث الجارية ونشر فكرته وتعليقاته على الأحداث.

**سابعًا: البرامج الخدمية (programes)** المؤذن، وتحديد القبلة، والإمساكية، والأذكار: التي يمكن من خلالها عمل الآتي:

1 – أسلمة أجهزة الكمبيوتر الخاصة بالآخرين، وأسلمة صاحبها.

2 – الدعوة إلى الحفاظ على الصلاة في وقتها، والتذكير بمواقيتها لصاحب الكمبيوتر

3 – ترطيب اللسان بذكر الله بين الحين والآخر.

**ثامنًا:** نظام **التقنيات اللاسلكية (الجوال mobile وتطبيقاته):** ومن بين تطبيقاته غير برامج القرآن والأذكار والبرامج الإسلامية، فإن هناك تقنية البلوتوث والوايرلس، اللتين يمكن استخدامهما في نقل المقاطع الصوتية والمرئية الدعوية للآخرين.

**تاسعًا: رسائل:SMS** وتحتاج إلى مؤسسة إسلامية تتخصص في هذا المجال، وتخاطب كافة الشرائح بالرسائل التي تناسبها (اجتماعيًا وفكريًا وعليمًا وطبيًا ورياضيًا) وغير ذلك؛ فمثلًا: (رسائل تذكرة بالصيام، ورسائل أخلاقية أو تربوية، ويمكن أن تكون هذه الرسائل عبر القنوات الفضائية أو البريد الإلكتروني أو الهاتف الجوال).

**عاشرًا: الكتب الإلكترونية :(E:BOOKS)** التي يستطيع من خلالها مرسلُها ومستخدمها توصيل معلومات إسلامية وتصحيح أفكار. ويمكن أيضًا مساعدة طلبة العلم الشرعي بهذه الكتب الإلكترونية.

**الحادي عشر: الأقراص المدمجة:(DVD) (CD)** وهي وسيلة تكنولوجية يمكن جعلها وسيلة لنشر الصوتيات الإسلامية والفيديو، ويمكن بما يتناسب مع العصر الحالي نشر هذه الصوتيات علىMP4 ، و MP3التي كَثُر استخدامها لدى الشباب وسائقي السيارات، فبدلًا من أن يكون وسيلة لنشر أغنية داعرة، نُسمِعه صوتًا جميلًا لداعية أو للقرآن الكريم.

**الثاني عشر: قناة فضائية إسلامية تخاطب مثلاً** الشعب الصيني: (الذي يقدَّر تعداده بنحو مليار ونصف مليار) ولنا أن نتخيل لو وظِّفت طاقة قناة فضائية إسلامية بهذه اللغة كم ستدر من فوائد دعوية على الإسلام والمسلمين.

**الثالث عشر: محرك البحث (حلال):** وهو أول محرك بحث (إسلامي) يحمل اسم (ImHalal) وهو محرك يساعد الباحث على الدخول على ما يريد من المواقع الإسلامية، مع حذف كل ما يمس الشرف والعرض ويثير الشهوات والغرائز. وحتى أؤكد لك أخي القارئ الكريم فوائد هذه الوسائل التكنولوجية، دعني أرصد لك أهم حملات الدعوة والتغيير عبر التكنولوجيا العصرية على سبيل الإجمال. من هنا نتوافق مع ما يشير اليه د. مفيد في كتابه بان الاعلام الاسلامي وبظل تطور وسائل الاعلام الحديث يتعرض لهجمة كبيرة من الاعلام المعادي للعديد مما يحد من تطوره وفقا للعديد من الاسباب الذي لا يساعد في تطوره ومواكبة الطفرة العالمية الحديثة الذي يعيشها الاعلام [1]. بحيث ان الافراد يتابعون هذه المواقع حسب معتقداتهم واهتماماتهم وكيفية انعكاساتها على الراي العام المتابع واهمية هذا الراي العام في كيفية مشاركته في هذه الوسائل المتعددة بحسب ما تتطلب نوعية هذه الوسائل بثلاثة

(1) مفيد احمد السالم ،الاعلام الاسلامي، الجنادرية للنشر والتوزيع، الاردن، 2015 ،ص192- 193 .

نقاط «التبني والتاكيد والمشاركة»، ويمكن دراسة اي وسيلة في البحث في كيفية تعاطيها ونقلها لهذه المفاهيم والممارسات

**ومن هنا نستنتج بشأن الإعلام الإسلامي التالي :**

1-لايزال الاعلام الاسلامي مرتبط بالإعلام العام ويتطور وفقا لتطور النظريات الاعلامية العادية.

2 - لايزال الاعلام الاسلامي مرتبط بتطور التكنولوجيا العالمية وعدم ربطه بالتطورات التكنولوجية العامة .

3 - الاعلام الاسلامي يوكب تطور الخطاب الاسلامي.

4 - لايزال الاعلام الاسلامي غير مواكب للطفرة الاعلامية العالمية المرتبطة بتطور العملية الاتصالية والتكنولوجية .

5- الاعلام الاسلامي هو واقع عام مرتبط بعملية الدعوة ونشر الرسالة الاسلامية، وليس بتحرير ونقل الاحداث.

إن فهم الاعلام ودراسته، مطلب رئيس، اذ يستلزم الإلمام بالابعاد والزوايا العلمية المختلفة فهناك الزاوية الاحصائية التي تبين لنا تجريبيًا معاملات الارتباط في الحقل الإعلامي. وهناك الزاوية التاريخية التي تعني بدراسة التطور التاريخي للظواهر الاعلامية، وكذا الزاوية القانونية التي ندرس من خلالها التنظيمات الاعلامية من الوجهة القضائية.

اضافة الى ذلك، هناك الزاوية المالية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتربوية، وكذلك الناحية الاجارية، بمعنى تحقيق أهداف هذه الوسائل في حيز النشاط الاقتصادي الذي يهدف الى اشباع الحاجات الانسانية الاساسية .

فان نشر الدعوة بقيت اسيرة المرجعية الخارجية، بظل تطور التكنولوجيا ، في الوقت الحالي فلم يعد المسجد فقط أو الشريط الإسلامي أو الكتاب والكتيبات هي الوسيلة الدعوية إلى الله مع عدم التقليل من شأن هذه الوسائل وأهميتها الدعوية، بل تطورت الوسائل وتعددت في زمن العالم المفتوح. والهدف هو تنبيه وإلى طريقة استخدامها دعويًا ليكون الداعية متواصلًا مع المجتمع الذي يعيش فيه.

**المراجع والمصادر:**

**القرآن الكريم .**

**الكتب العربية :**

1-محمود يوسف السماسيري ، فلسفات الإعلام المعاصرة في ضوء المنظور الإسلامي، المعهد العالي للفكر الاسلامي، القاهرة ،1981.

2- عبداللطيف حمزة ، الإعلام والدعاية، ط2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة .1978

3-سيد محمد ساداتي الشنقيطي دراسة تحليلية لنصوص من كتاب الله ، مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم ، دار عالم الكتب ، الرياض ، 1986.

4- خالد الاصور، الفنون الاسلام الحدية ، الشركة العالمية للنشر والتوزيع ، مصر ، 2002 .

5- عبد الرزاق الدليمي ، الاعلام الاسلامي ، دار المسيرة الاردن ، 2013 .

6-عبد الطحاوي، بين إرث الماضي وآفاقالمستقبل، 2010 – 1981 القاهرة، الدار المصرية اللبنانية،2010 .

7-محمد مصفى رفعت، الرأي العام في الواقع الافتراضي وقوة التعبئة الافتراضية ، الناشر العربي للتوزيع ، القاهرة ، 2018.

8- محيي الدين عبدالحليم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1984.

9- حردان هادي الجنابي العربي، الاعلام الاسلامي دراسة للمواقع الإسلامية على الإنترنت ، للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016 .

10-مفيد احمد السالم، الاعلام الاسلامي، الجنادرية للنشروالتوزيع، الاردن، 2015.

**المجلات العلمية :**

1-حمود حمود،مواقع التواصل الاصولي بين تخصيص وتعميم الاصولية، الكتاب الشهر (منصات الميديا الجديدة والعنف المقد) مركز المسبار للدراسات والبحوث 79 ، الإمارات العربية، 2015.

2- خالد ممدوح العزي ، الاسلام السياسي في خطابه الإعلامي ، الكتاب الشهر ( منصات الميديا الجديدة والعنف المقد) مركز المسبار للدراسات والبحوث 79 ، الإمارات العربية، 2015،.

3-خالد ممدوح العزي ، دور المنصات الاعلامية وتعاملها مع المعلومة في المجتمعات الافتراضية ، مجلى وميض الفكر ، مجلة نصف سنوية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، كانون الثاني 2020 .



**المواقع الالكترونية :**


1 – خالد ممدوح العزي، الاعلام مهنة وأخلاق يمارسها الاعلامي ، موقع الحوار المتمدن الالكتروني الحوار المتمدن الالكتروني –العدد: 4374 – 2014 / 2 / 23

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=402207

2– خالد ممدوح العزي، الإعلام الإسلامي، واقع حقيقة وتحدي عالمي،الحوار المتمدن الالكتروني –العدد: 3525 – 2011 / 10 / 24 ..http://www.ahewar.org/debat/show.art. asp?aid=280894&r=0

3– خالد ممدوح العزي، تطور الخطاب الإسلامي في الإعلام، الحوار المتمدن الإلكترونية، لعدد، 4712 – 201/ 2 / 6 – 02 ..http://www.ahewar.org/debat/show.art. asp?aid=453956&r=0

4– محمد خير رمضان يوسف، من خصائص الإعلام الإسلامي، وكالة القدس للأنباء الالكترونية، 10 تشرين الثاني 2014.http://alqudsnews.net/post/66350

5– محمد خير رمضان يوسف، الإعلام الإسلامي تعريفه وأهدافه والغاية منه، شبكة الالوكة الالكترونية، 27–اب 2014، https://www.alukah.net/culture/0/75190/

**6**–عبدالله هندي، وسائل التكنولوجيا في خدمة الدعوة، مجلة البيان الالكترونية ، العدد بتاريخ 10نوفمبر / تشرين الثاني 2010..https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2. aspx?id=396


**دراسات ومحاضرات :**


1–الشيخ الركابي، محاضرات ألقاها على طلاب السنة الأولى قسم الإعلام ماجستير، كلية الدعوة والإعلام (المعهد العالي للدعوة الإسلامية سابقًا) ، الرياض .1983–1982

2–جمال عبد ناموس القيسي، الاخبار في الصحافة الالكترونية موقعا BBC العربية و ايلاف انموذجا، الناشر جامعة بغداد، بغداد 2010.

**h_imamomais@hotmail.com**

**wameed.alfkr@gmail.com**







**Wamid El-Fikr Research Journal**

**Quarterly peer-reviewed Scientific Journal**

**Issue 19, Septembre 2023**

**Brief**

It is a scientific quarterly peer-reviewed journal issued by the National Society for Culture and Development, Notice of Recognition (Declaration) No. 1193/a.d.

Edited by: Dr. Haifa Suleiman AL-Imam

Published and distributed by: Dar Al-Nahda Al-Arabiya / Beirut - Lebanon

**ISSN:2618-1312 paper print**

**ISSN: 2618-1320 e copy**



**Wamid El-Fikr Research Journal**

**Specializing: Education and Humanities**

**Quarterly peer-reviewed Scientific Journal**

**Issue 19, Septembre 2023**

Wamid Al Fikr Research Journal has been included in the Arab Impact Factor

It has an Arab Impact Factor for the year 2021 of 2.4

The magazine's ranking is the 47th out of 2157 Arabic magazines

And it received the numbers: Ref. No.: (2020J1010)

It also received the No. (DOI:1018756/2020J101)

It is also indexed by the Arabic Citation Index under number: code

ARCI-2007-1110





Contact us

Tel: +961 3 691 425

Fax: +961 8 630 280

Website: www.wameedalfikr.com

emails: wameed.alfkr@gmail.com / info@wameedalfikr.com

Editor-in-chief email: h_imamomais@hotmail.com

Annual Subscription:

In Lebanon and the Arab countries $ 100

In the rest of the world $ 125

# باب الأبحاث باللغات الاجنبية




## باب الأبحاث باللغة الانكليزية:

# 1 - Sustainable development of historical and heritage locations in Iraq

التنمية المستدامة للمواقع التاريخية والتراثية في العراق



**Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad**

Revival of Arab Scientific Heritage Center

University of Baghdad

أ.د. وجدان فريق عناد

مركز إحياء التراث العلمي العربي - جامعة بغداد

Wjdan_fareeq@yahoo.com

**Abstract:**

Preserving and sustaining the cultural heritage is a fundamental goal of civilized countries، and since Iraq was a center of ancient civilizations, its land embraces archaeological and heritage sites of great human and cultural importance, and it has the credit for the progress of humanity. Because of the large number of these sites, Iraq must work to preserve its legacy and work to achieve sustainable development for them, work to protect them from risks, and create a local community that participates in the

sustainable development process.

**Keywords:** sustainable development, heritage, Iraq

**الملخص:**

من المعروف أن التراث في العراق يعيش حالة من الصراع مع الجديد الذي يظهر ويحاول أن يجد له مكاناً في حقائق الحياة، ومع الأسف فإن ميزان الصراع أخذ يميل الى جانب الجديد الذي يحاول أن يزحزح القديم من مكانه ليحتله إيماناً منه أن ما يطرحه هو المناسب في الظرف الزماني من أجل اللحاق بركب التقدم الحاصل في العالم، الامر الذي سبب إصابة الموروث الحضاري بالإهمال.

**الكلمات المفتاحيه:** التنميه المستدامة، التراث، العراق.

## Introduction:

The world today strives to preserve and sustain the cultural heritage, because this is a essentially and pivotal matter in its strategy. And since Iraq is a country of civilizations, its land embraces archaeological and heritage locations of great human and civilizational importance and to be surplus with progressing humanity. Because of the large number of these locations, Iraq must work to preserve its heritage and achieve sustainable development according to the scientific methods Sequenced globally, by constructive national capacities capable of implementing such development, and protect it from dangers, and creating a historically educated local community to participate in the sustainable development process. Part of which is achieved in activating the tourism promotion of historical and heritage locations, with the need for there to be a conscious policy in the field of urban planning, which must be inspired by the historical and heritage spirit in its patterns, and not affect the sanctity of those locations.

From this point of view, we will try to research how to achieve sustainable development for the historical and heritage locations in Iraq.

## First: What is sustainable development?

The concept of development has become one of the prevailing concepts in our time, and through its many definitions, it affirms that development aims at man, his environment, his culture, and the development of his social conditions in order to exploit all the resources devoted to him . ((1))

With the many definitions that compete with each other, they all mean that “the development of compatibility between environmental, economic and social development combines the three dimensions, and is economically effective, socially just and environmentally feasible. ((2))

That is, development that respects natural resources and ecosystems, supports life on Earth, and ensures the economic aspect, taking into account the social goal, which is manifested in combating poverty, unemployment, inequality and the search for justice. ((3))

**Second: The importance of sustainable development of historical and heritage locations :**

In this axis, we will talk about the place of history and heritage in the countries of the world. It is his cultures and civilization, and it is a basic link between the population. Therefore, there must be strong ties between the historical and heritage components

(1) **OSAMA ABDUL MAJEED AL-ANI, Islam and Sustainable Human Development**: A Comparison of Objectives and Resources, research published in Studies in Sustainable Human Development in the Arab World, BAYAT ALHIKMA, AL-MATBAA AL-ARBIAA, 2001, p. 151; SABAH BOKJAJI, Speech of the United Nations Economic and Social Commission for Western Asia, published in the book Human Development in the Arab World, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1995, pp. 36-37

(2) SALAH ABDUL HASSAN, the conceptual framework used in the processes of measuring sustainable human development and determining its levels, research published in the book Studies in Sustainable Human Development in the Arab World, House of Wisdom, Baghdad, 2001, p. 85.

(3) ISSA MAIZAH and SUMAYAA CHAKIRI, Urban Heritage Sustainability, Arab Scientific Heritage Magazine, first issue, 2017, p. 26.

and the development process in order to form a solid base to get out of poverty and backwardness and reach progress and prosperity. The development that we dream of It must be in consideration of the cultural dimension, because heritage and historical locations are a non-renewable source that is subject to extinction, so care must be taken for them by all standards.[(1)]

**Third: International agreements and sustainable development of historical and heritage locations in Iraq:**

Among the most important international treaties in preserving heritage are the Hague Treaties of 1899 and 1907, the Geneva Convention of 1949 with two protocols, and the Hague Treaty of 1954 and its two protocols. Taken together, these treaties address the danger of the four threats to cultural heritage, namely, willful attack, accidental destruction, pillage and theft. [(2)]

It is necessary to refer to the Iraqi efforts to benefit from these international legislation in mentioning the findings of the International Coordination Committee for the Protection of Heritage in Iraq with UNESCO and the relevant Iraqi authorities, which reached a number of recommendations in order to preserve the historical, cultural and urban heritage, which were represented in:- Assisting the Iraqi Ministry of Culture in reforming its institutions and improving its capacity, training its cadres and assisting it in establishing relationships and preparing mechanisms for cooperation with international partners for the rehabilitation of the National Library, the National Archives and other libraries, and providing assistance to the Iraqi Ministry of Culture to reconsider national

(1)- MAHDI MUSTAFA AL-HADI, the word of the Arab League published in the book Human Development in the Arab World, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1995, p. 28; ISSA MAIZAH and SUMAYAA CHAKIRI, op.cit, pp. 29-31; SALAH ABDUL HASSAN, op.cit, pp. 86-90.

(2) RAOUF MOHAMMED ALI AL-ANSARI, Tourism in Iraq and its Role in Development and Reconstruction, 2nd Edition, Iraqi Publishers Union, Baghdad, 2013, p. 59; ISSA MAIZAH and SUMAYAA CHAKIRI, op. cit., pp. 35-36; SALAH ABDUL HASSAN, op.cit, pp. 76-80; UNESCO is the United Nations Educational, Cultural and Scientific Organization that works to promote, identify and protect cultural and natural heritage. See:- The official website of the UNESCO office in Iraq: http://www.unesco.org/new/ar/iraq-office

legislation related to cultural heritage, as well as libraries and archives, and providing assistance to the Iraqi Museum in order to prepare a comprehensive plan for protection, as well as the application of science related to museums in order to increase the Iraqi national capacity in research, documentation and preservation of cultural heritage, and assistance in preparing a national program for registration, documentation, evaluation and demarcation of historical and archaeological sites and elements of urban heritage with Proposal to establish a national official registry, and a plan for heritage protection and preservation In addition to preparing plans for the protection and promotion of the intangible aspects of the Iraqi cultural heritage, with the need to coordinate with the International Labor Organization and the International Relief, on a bilateral or multiple basis [(1)]

**Fourth: Obstacles to the sustainable development of historical and heritage locations in Iraq.**

One of the most prominent obstacles to development is the view of history and heritage as being at a lower level in the hierarchy of priorities, as it is given secondary importance with care, because all efforts are directed towards addressing the security situation and various service, Therefore, it is necessary to raise the ceiling of attention to history and heritage and to view them as a spiritual and civilized need, because this is an indispensable requirement [(2)]

It is known that the civilizational heritage in Iraq is in a state of conflict with the new that appears and is trying to find a place for it in the realities of life. Unfortunately, the balance of conflict has begun to tilt towards the new, which is trying to displace the old from its place to occupy it, believing that what he presents is appropriate in The temporal circumstance in order to catch up with the progress taking place in the world, the cultural heritage was neglected.

**Therefore, we will try to search for the causes that stand against achieving sustainable**

(1) Ibid.
(2) Ibid, p. 55

**development for the historical and heritage locations in Iraq, which can be summarized as follows:**

**1** - The success of sustainable development requires addressing the risks of scientific and technological backwardness, as building human capacities and building production bases is based on investment in scientific and technological development, so efforts must be made by the state or the private sector to achieve that goal [(1)]

2 - Development efforts in Iraq in recent decades revealed the extent of the importance of the cultural dimension in development. Values and culture constitute the heritage of society and the elements it contains of renewal, some of which are rapidly changing, such as patterns of organization, aspirations and strategies for living and survival, which sometimes respond simultaneously to the needs of the population. Survival, patterns of social and economic organization, knowledge, creativity, and mutual contacts between culture and behavior, such as commercial exchanges and consumption patterns, while others are long-term variables, but reach the level of constants, including traditions and beliefs, consistency of values, social, family, legal, moral and spiritual standards, institutions and structures of power, patterns of life, thinking, production and other forms intangible heritage. To advance development a nd development from the perspective of sustainable development to sustainable development. [(2)]

3 - The lack of strengthening the international mechanisms for managing the global antiquities present in Iraq. [(3)]

4-The lack of strong cooperation between civil society organizations and non-official

(1)- AMAL AL-SHALASH, Sustainable Human Development: The General Perspective and the Privacy Perspective, research published in the book Studies on Sustainable Human Development in the Arab World, BAYAT AL-HIKMA, Baghdad, 2001, p. 31; HAMID AL-SAADOUN, Political Development and Modernization in the Third World, Amman, Memory for Publishing and Distribution, 2011, pp. 24-43.
(2) - AMAL SHALASH, same reference., pp. 31-32; GEORGE AL-QASABI, Human development, a critical review of the concept and content, published in the book Human Development in the Arab World, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1995, pp. 92-93
(3) OSAMAH ABDUL MAJEED AL-ANI, op.cit, p. 154.

forces to play their role in order to direct the necessary and effective care to those sites in Iraq.[(1)] This means giving way to civil society forces to expand participation and stimulate community initiatives, and this does not mean that the state abandons its role in development. [(2)]

5- The lack of a tendency to benefit from the initiatives of donating people in local communities everywhere and to enhance synergy in the measures taken by the international community, the private sector and the government. [(3)]

6- The absence of technologies and methods of environmentally sustainable development, and the provision of incentives in order not to create damage to the environment. [(4)]

7- Absence of what is appropriate to the subject of care on the part of decision-makers and economic policy-makers . [(5)]

8-The absence of real attention to studies and research related to the sustainable development of historical and heritage sites in Iraq, as well as the absence of Iraqi scientific competencies known for their scientific standing and experience in administrative positions that have the reins of decision-making.

**Fifth: - Ways to achieve sustainable development of the historical and heritage locations in Iraq**

It must be believed that development is a human right, especially human rights in permanence and survival and economic, social and cultural rights [(6)]. In addition, the cultural heritage in countries with a civilized history cannot be replaced by anything else. This applies to Iraq, which represents a national historical and cultural figure. Heritage and history are a continuous wealth for the country, because oil is subject to

(1) Ibid .
(2) AMAL SHALASH, op.cit, p. 29.
(3) Ibid .
(4) Ibid .
(5) ALI ABD MOHAMMED SAEED AL-RAWAI, op.cit, 181 p.
(6) BASIL YOUSIF, Human rights as a conceptual reference for human development, research published in the book Studies on Sustainable Human Development in the Arab World, House of Wisdom, 2001, p. 71.

depletion in the future, unlike tourism, agriculture, industry and services, they remain, and it is possible that they may be the basic rules of the Iraqi economy, and according to what was issued by the World Heritage Fund, Iraq will become the most important tourist and cultural destination in the Middle East Because of its geographical location and its historical and religious position, second after Egypt, and in order to benefit from these data, Iraq must strictly protect its cultural heritage, otherwise Iraq will lose one of the most important sources of its economic power in the future. [(1)]

**From this point of view and in order to achieve sustainable development of historical and heritage locations, it is necessary to take into consideration the most important ways to achieve sustainable development of historical and heritage sites in Iraq as follows:**

1- Building a strategy: This strategy must be scientifically planned and based on specific foundations, by forming advisory committees that work diligently and diligently in order to implement the outline of that strategy.[(2)]

2- Benefiting from the global support for Iraqi history and heritage, because preserving the Iraqi heritage will be of importance to other countries of the world, because its land is the first cradle of civilizations that provided mankind with varieties of knowledge, science, arts, literature and law, as well as the three monotheistic religions Judaism, Christianity and Islam have historical commonalities in Many locations from Iraq. [(3)]

3- Implementing the laws related to the construction of modern buildings in the old areas of a historical and heritage nature, including the areas surrounding the holy shrines.

4- Issuing laws that define historical and heritage areas and ancient cities to protect and preserve them, and forming committees specialized in following up their preservation.

(1) RAOUF MOHAMMED ALI AL-ANSARI, op.cit, 56-57.
(2) RAOUF MOHAMMED ALI AL-ANSARI, op.cit, 134-140.
(3) Ibid , p. 57.

5- Providing support to civil society organizations concerned with preserving historical and heritage sites to play their role in society.

6- Issuing immediate laws to remove industrial uses, storage and other economic activities outside the historical and heritage sites and old cities that do not fit with their status.

7- The role of the awareness media to work on the concerted efforts of the government and society to spread the culture of protecting and preserving heritage and considering the sanctity of history.

8- Allowing the private sector to manage some facilities of a public and local nature alongside the state, and that sector must have specific characteristics and considerations, for example, that the private sector undertakes that from the residents of those facilities and by their choice, and that he enjoys a position that qualifies him to take over those facilities. The secretariat, and the involvement of the private sector will give the state an opportunity to devote itself to taking care of the utilities of a national dimension, because the participation of the population in the development program will be a key element in the success of the sustainable development scheme. [(1)]

9 - Providing job opportunities because the rehabilitation of historical and heritage monuments and old cities will be one of the reasons for economic recovery, as it provides job opportunities for many who suffer from unemployment and increases the vitality of the city. wheel of economic progress.

10 - Providing an education system that develops the spirit of national identity and a sense of historical responsibility towards the historical and civilizational depth in our country [(2)]. Therefore, the Ministry of Education must adopt a policy of creating pride in the history and heritage of Iraq among school students since the first stages of education. It creates a conscious generation that possesses a mentality that realizes the

(1) Ibid , p. 140.
(2) HAMID AL-SAADOUN, op.cit, pp. 96-97.

moral and material value of those sites. Therefore, we see reforming education systems as one of the main fundamentals in changing cultural misconceptions and behavior in a way that contributes to the achievement of what helps in a real awareness of the current changes in our society and the world, in addition to the fact that achieving these variables according to their positive trends will have an impact on achieving development. For those sites that are sustainable, it is necessary to adopt an honest and sober national campaign to eliminate historical ignorance of the precious value of our civilizational heritage . [(1)]

11 -It is necessary to develop religious, historical and heritage locations and work to highlight their features in a decent appearance through taking care of Islamic architecture because of its impact on tourism prosperity, developing feelings of self-esteem, awareness and developing high-end architectural traditions, because they are living arts and effective in their material and moral impact [(2)]. To achieve this, it is necessary to rely on plans and scientific studies to re-plan and develop Iraqi cities, so that the additions are inspired by the designs of the wonderful religious and heritage buildings, so that these cities, especially Islamic and religious ones، turn into Islamic museums that dazzle the attention . [(3)]

12 - Rehabilitation of heritage buildings with the aim of preserving them, for example, making those sites government departments and tourist attractions at the same time.

13- In addition to stopping the excavation work due to the lack of the necessary conditions for its maintenance and rehabilitation .

14- The state must also intervene quickly and purchase buildings that bear the historical and heritage character to protect and preserve them from loss, because some owners resort to some illegal methods to remove those buildings that are usually in strategic and commercial locations, for the sake of economic benefit[(4)].And that the price is so

(1) Ibid, p. 97.
(2) RAOUF MOHAMMED ALI AL-ANSARI, op.cit, p. 61
(3) Ibid ., 62-63.
(4) Ibid .

attractive that it encourages everyone who has similar buildings to submit for sale to the state, and one of the results will be knowledge of the unregistered buildings, as well as the state protecting those priceless buildings, and then investing them as a museum or rehabilitating them to be a government building that combines heritage and tourism ((1)).

15- By looking at the methods of preserving historical and heritage sites in Spain, we have noticed the keenness to preserve the newly discovered sites by carrying out some maintenance work for modern buildings and in order to preserve them from loss and extinction and due to the existence of an economic crisis. One of the simplest ways was to put a base of glass that Suitable for walking on hard and strong ground. I saw it in a fashionable clothing store in Granada. These antiquities remain protected until appropriate conditions are provided for exploration, research and study, and the most beautiful is the patriotic sense of the owners of the store in reporting what they found of antiquities in their workplace, and the spirit of cooperation and understanding remains in the laws and legislation in the way such cases were dealt with.

Therefore, we suggest the formation of a committee that grants broad powers to take quick steps for protection and maintenance, as well as the use of global expertise and the formation of teams that bring together Iraqi and international experts to rehabilitate these locations.

**Conclusion :**

The research entitled (Sustainable development of historical and heritage locations in Iraq) reached a number of results, the most important of which are: Since Iraq is a country of civilizations rich in its historical and heritage locations, it must take the lead and be a role model in planning and implementing what is known as the sustainable development of archaeological and heritage locations. It must also be one of the active and proactive countries in its role in the conventions and treaties related to heritage

(1) Interview with Prof. SAADI IBRAHIM AL-DARAJI, a teacher at the Heritage Revival Center and a specialist in Islamic antiquities, on 16/9/2019.

and history, being the spiritual father of the human heritage in its land that is witnessed by far and near. Despite this fact, the reality tells the opposite, as Iraq needs concerted efforts from In order to protect and save its monuments and heritage, in order to preserve its heritage for present and future generations, by identifying these locations, rehabilitating them and integrating them with urban expansion without compromising their historical value.

In conclusion, there must be a comprehensive national vision that bears full responsibility, foremost of which is the selection of the competent and responsible national elements, to prepare and plan for the sustainable development of historical and heritage locations, in order to compensate for what we have missed in time and opportunities, and to realize the remaining and preserve it from loss and extinction.

Especially that the general conditions that Iraq has experienced in the past years, resulting from political instability, have clearly affected the work of the institutions concerned with the issue, which have the responsibility to preserve that cultural heritage.

**Sources**

1- AMAL AL-SHALASH, Sustainable Human Development: The General Perspective and the Privacy Perspective, research published in the book Studies on Sustainable Human Development in the Arab World, BAYAT AL-HIKMA, Baghdad, 2001.

2- BASIL YOUSIF, Human rights as a conceptual reference for human development, research published in the book Studies on Sustainable Human Development in the Arab World, House of Wisdom, 2001.

3- GEORGE AL-QASABI, Human development, a critical review of the concept and content, published in the book Human Development in the Arab World, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1995.

4- HAMID AL-SAADOUN, Political Development and Modernization in the Third World, Amman, Memory for Publishing and Distribution, 2011.



5- Interview with Prof. SAADI IBRAHIM AL-DARAJI, a teacher at the Heritage Revival Center and a specialist in Islamic antiquities, on 16/9/2019.

6- ISSA MAIZAH and SUMAYAA CHAKIRI, Urban Heritage Sustainability, Arab Scientific Heritage Magazine, first issue, 2017.

7- MAHDI MUSTAFA AL-HADI, the word of the Arab League published in the book Human Development in the Arab World, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1995.

8- OSAMA ABDUL MAJEED AL-ANI, Islam and Sustainable Human Development: A Comparison of Objectives and Resources, research published in Studies in Sustainable Human Development in the Arab World, BAYAT ALHIKMA, AL-MATBAA AL-ARBIAA, 2001.

9- RAOUF MOHAMMED ALI AL-ANSARI, Tourism in Iraq and its Role in Development and Reconstruction, 2nd Edition, Iraqi Publishers Union, Baghdad, 2013.

10- SABAH BOKJAJI, Speech of the United Nations Economic and Social Commission for Western Asia, published in the book Human Development in the Arab World, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1995.

11- SALAH ABDUL HASSAN, the conceptual framework used in the processes of measuring sustainable human development and determining its levels, research published in the book Studies in Sustainable Human Development in the Arab World, House of Wisdom, Baghdad, 2001.

12- UNESCO is the United Nations Educational, Cultural and Scientific Organization that works to promote, identify and protect cultural and natural heritage. See:- The official website of the UNESCO office in Iraq: http//:www.unesco.org/new/ar/iraq-office

# 2-Exploring AI Image Generators' Deep Understanding of English Language Prompts

# استكشاف الفهم العميق لمولدات صور الذكاء الاصطناعي للموجهات النصية في اللغة الإنجليزية



**Dr. Fatemah Bazzi**

**الدكتـورة فاطمة بزي**

An Associate Professor of English Language and Literature at the Lebanese University, Faculty of Literature and Human

Sciences, First Branch

**أستاذ مساعد في اللغة الإنكليزية وآدابها في الجامعة اللبنانية،**

**كلية الآداب والعلوم الإنسانية.**

ms.bazzi_12@gmail.com

**Abstract:**

This research was done to explore whether Artificial Intelligence (AI) has a deep level of language understanding. Lately, many researches have been done to examine how AI systems generate images when provided with descriptive prompts or texts. These researches have focused on the comparison between AI image generators to check the

quality of the images produced and to what extent they are close to reality. Nevertheless, investigating the alignment between the written input and the images generated and evaluating the capability of image generators to deeply understand English language have been limited. Consequently, the researcher of the current study conducted a text-to-image qualitative and quantitative analyses of two popular AI image generators, DALL-E and Gencraft, to explore the semantic alignment between the prompts provided and the images generated. This was done in an attempt to evaluate the capability of AI image generators to deeply understand English language. The results revealed that the content of the images generated did not semantically align with the input provided, mainly when inferring contextual details and understanding complete sentences vs. phrases.

**Keywords:** artificial intelligence, text-to-image generator, prompts, semantic alignment

**نبذة عن البحث باللغة العربية:**

تم إجراء هذا البحث لمعرفة ما إذا كان الذكاء الإصطناعي يمتلك القدرة على الفهم العميق للّغة. في الآونة الأخيرة، تم إجراء عدد من الأبحاث لمعرفة كيفية عمل أنظمة الذكاء الاصطناعي على إنشاء الصور عندما يتم تزويدها بموجهات أو نصوص وصفية. قامت هذه الأبحاث بالتركيز على المقارنة بين مولدات الصور المعتمدة على الذكاء الإصطناعي للتأكد من جودة الصور المنتجة والى أي حد هي قريبة من الواقع. وبالرغم من ذلك، فإن التحقق من وجود توافق بين المدخلات المكتوبة والصور التي تم إنشاؤها وتقييم قدرة مولدات الصور على فهم اللغة الإنجليزية بشكل عميق لا يزال محدودا. لذلك قامت الباحثة من خلال هذه الدراسة بإجراء تحليل نوعي وكمّي حول كيفية تحويل النص الى صورة من خلال استخدام مولّدي صور الذكاء الاصطناعي Gencraft وDALL-E وهما شائعا الاستخدام وذلك بهدف الكشف عن مدى وجود محاذاة دلالية بين الموجهات التي يتم تزويد مولدات الصور بها وبين الصور المنتجة. والهدف من هذا التحليل هو تقييم قدرة مولدات صور الذكاء الاصطناعي على فهم اللغة الإنجليزية بشكل عميق. وقد أظهرت نتائج هذا البحث أنه لم يكن هناك محاذاة لغوية بين محتوى الصور والمدخلات المستخدمة بالتحديد عند استنتاج التفاصيل السياقية وفهم الجمل الكاملة مقابل العبارات.

**الكلمات المفاتيح:** الذكاء الاصطناعي، مولد صور من النص، مدخلات نصية، محاذاة دلالية.

## 1. Introduction

In the past few years, a new era of using AI in many domains has started. A specific field of "large language" artificial intelligence algorithm has been elaborated with a high level of fluency of using the English language (Warner, 2022). This has led to many debates on whether AI systems can really understand grammar, sentence structure, and every word of the language to the extent that some researches have questioned the capability of AI to comprehend the language like humans. Some AI systems have been used to provide answers for certain questions or language tasks in the field of education, so they have been programmed with the rules of English grammar and syntax. Other AI systems have been developed to be used in other fields, such as business, medicine, art, among many others. Specifically, in the field of art, AI image generators have been used to produce images based on the written prompts or texts provided to the system. As for the efforts to use machines for generating images from written texts, it can be traced to the times of deep generative models introduced by Mansimov et al. (2016) when they added text information to DRAW, which is a recurrent neural network for image generation (Gregor et al. 2015). After that، many AI image generators have been developed to dominate this task.

However, the capability of these image generators to fully understand the human language has been subjected to criticisms. Precisely, the debates have revolved around whether image generators can provide answers to certain language prompts without having a deep understanding of semantics (Levesque et al., 2012) or having features that require higher levels of cognitive skills (Bonnici et al., 2016). In other words, AI and computers can do amazing tasks; however, according to many researchers, they are still far from being able to understand what humans say. Thus, they require both a powerful generative model and cross-modal understanding (Ding et al., 2021). Consequently, examining text-to-image generation is a good topic for language researchers to investigate the issues or limitations of AI image generators in this domain. That is why the main purpose of the current study is to investigate the deep level of understanding English

language prompts by AI image generators. This investigation is based on identifying AI challenging capabilities of understanding the language by referring to two popular image generators, DALL-E and Gencraft, to explore whether they can develop semantic alignment between the prompts provided and the images generated.

**2. Literature Review**

The huge and rapid evolution in the field of AI has paved the way for many text-to-image generators to develop, by providing users with different innovative features. Many studies have examined the power and limitations of these AI image generators in an attempt to evaluate the quality of their output. However, before focusing on these studies, it is essential to examine the approaches related to language processing by AI systems. According to Jia et al. (2021), the revision of the existing literature has shown that the study of visual and vision-language representation learning has been commonly done separately using diverse training of data sources. On one hand, Jia et al. explained, the vision domain requires pre-training on large-scale supervised data and heavy work on data gathering, sampling, and human annotation; thus, it is very challenging to be scaled. On the other hand, vision-language pre-training datasets necessitate more work and effort on human annotation, semantic parsing, cleaning, and balancing. Therefore, it is significant to know how language processing of AI systems functions in an attempt to examine the capabilities, challenges, and limitations that have been identified.

Recently, more advanced approaches and methods of language processing by AI systems have been proposed, such as the context of contemporary Natural Language Processing (NLP). A survey on NLP history done by Brock (2018) showed two main approaches of research, recognition and reasoning. Under the first approach, Brock mentioned deep learning and making judgment, which is based on the count of character combinations such as words. As for the reasoning approach, it is based on Natural Language Understanding (NLU), which aims for deep understanding of human cognition and

tries to deduce by using processing knowledge such as syntax, semantics, and common sense (Micelli et al., 2009). Hence, the field of NLP has taken a huge progress to an extent that AI systems can generate convincing passages with the push of a button. Nevertheless, researches and tests have been conducted to assess to what extent they can understand language. Levesque et al., (2012) developed the test of Winograd Schema Challenge to evaluate the common-sense reasoning of NLP systems. The main aim of their test was to find out whether certain language problems could be answered without a deeper grasp of semantics. They found that some state-of-the-art deep-learning models can reach around 90% accuracy. However, with other language problems, the performance fell between 59.4% and 79.1%; by contrast, humans still reached 94% accuracy. Their findings proved that to have more common sense, language processing systems should include other techniques, such as structured knowledge models (Hao, 2020). According to Zhang et al. (2018), statistical NLP methods are usually trained on large data, including millions of word occurrences, so they can process considerably large inputs.

However, the problem with these methods is that they have limited accuracy when they are provided with challenging tasks involving deep semantics or common sense reasoning (Richard-Bollans et al., 2018). Another problem identified with statistical NLP is its limited transparency at certain cases, for it is often difficult to identify the exact ideas that led an AI system to take certain choices (Brock, 2018). It is worth adding that NLU by AI systems requires two main processes, data pre-processing and algorithm development. As for data pre-processing, it includes four main steps: breaking down the sentences or text into tiny units, removing common words and keeping the unique ones, simplifying words to their root forms, and tagging words based on parts of speech like nouns, verbs, and adjectives (Nayak et al., 2016). That is why the current study is based on breaking down prompts into tiny units to examine the semantic alignment between the textual prompts and the images generated.

Moving to the field of image synthesis and the use of AI image generators, getting quality

illustrative images requires specific skills so that users can write the accurate text prompt. Recently, generative models have gained the ability to generate human-like natural language (Brown et al., 2020), infinite high-quality synthetic images (Karras et al., 2020) and highly diverse human speech and music (Dhariwal et al., 2020). These models can be used in many different ways, such as generating images from text prompts or learning useful feature representations (Donahue & Simonyan, 2019). However, although these models are able to produce realistic images and sounds, a lot of improvement is still required beyond the present state-of-the-art (Dhariwal & Nichol, 2021). In their study, Crowson et al. (2022) applied a new method of generating and manipulating images that are based on prompts written by humans, and they concluded that when the textual prompt and image content have low semantic similarity, the quality of visual images is higher. According to Ding et al. (2021), generating images from texts requires many important things from the system: differentiating between shapes, colors, gestures, and other features from pixels; comprehending the input text; aligning items and features with their matching words and their synonyms; and knowing how to deal with complex distributions in an attempt to produce the overlapping and combined items and features that are beyond basic visual functions (Grill-Spector & Malach, 2004), which requires higher levels of cognitive skills (Bonnici et al., 2016).

Based on the previously mentioned findings, the major developments in text-to-image generators may have led many people and experts to think that AI image generators have the capability to do anything, but this is not the case (Lloyd, 2019). As such, examining whether they have deep understanding and can generate images that accurately align with the provided prompts is very significant. That is why the current study explores the capability of two AI image generators to deeply understand English language. The two generators were chosen because they depend mainly on transforming English prompts into images, and they have millions of users. DALL-E is a popular AI image generator, with over 1.5M users producing more than 2M images per day. This generator is trained to produce images from text captions for a wide variety of concepts that are expressed

in natural language. The main difference between it and the traditional image synthesis techniques is that it takes advantage of the extensive data it has been trained on to produce new images that never existed before (Noor, 2023). Unlike Gencraft, it does not allow users to type their own prompts. Instead, it allows users to change certain words of existed prompts for each category available. Actually, it works by receiving both the text and the image as a single stream of 1280 tokens—256 for the text and 1024 for the image—and models all of them autoregressively. A token is any symbol from a discrete vocabulary, and DALL-E's vocabulary includes tokens for texts and image concepts (OpenAI, 2021).

As for Gencraft, it is an AI Art Generator that transforms descriptive prompts to vibrant output, images and videos, within 15-20 seconds. Gencraft allows millions of users to generate personalized art photos from a few words, and it is available across many devices, such as web, iOS, and Android platforms. Moreover, Gencraft allows users to type their own prompts and offers many styles that can be combined with text prompts to increase the creativity while generating images. Its users can write the description of the image up to 250 characters, with an additional 250 characters for extra details if necessary (Asad, 2023). It is worth adding that this study is different from those studies that have compared AI image generators to evaluate the quality of the generated images. The aim of the current study is to evaluate to what extent such DALL-E and Gencraft have a deep understanding of the language by examining their capability to generate images that semantically align with the textual prompts provided. In addition, in order to deviate from previous studies done on AI language understanding, the researcher chose two capabilities to examine: inferring contextual details and understanding complete sentences vs. phrases by DALL-E and Gencraft.

**3. Research Questions**

The current study explores two research questions:

(Q.1) To what extent do AI image generators have the capability to infer the contextual



details of English language prompts?

(Q.2) To what extent do AI image generators have the capability to understand complete sentences vs. phrases of English language prompts?

**4. Methodology, Participants, and Procedure**

The purpose of this research is to investigate whether AI image generators have a deep level of language understanding. The research follows the mixed-method approach that examines to what extent two popular AI image generators, Gencraft and DALL-E, are capable to produce images that semantically align with the textual prompts provided in English language. Qualitative and quantitative data were collected to help answer the research questions. First, a set of written prompts was used by the researcher to examine two capabilities: inferring contextual details and understanding complete sentences vs. phrases. To explore the first capability, the researcher used the features of DALL-E for providing prompts, based on its available categories. The same content was used to write descriptive prompts on Gencraft since it allows users to write the whole prompts instead of choosing concepts from given lists.

According to the second capability, the researcher examined it by referring to Gencraft because DALL-E does not have the options of writing complete sentences by users. The researcher wrote the same content in two different structures, complete sentences vs. phrases, and with two different options, cartoon and real images. That is because she wanted to check more than one style of image production. In addition, the researcher's aim was to use a specific content, so she included specific details, such as numbers, compound nouns, shapes, and time. Besides, two different tenses were used for writing the complete sentences, present tense and past tense, so that not to limit the content to one tense.

Moreover, to cross validate the results of the qualitative data, the researcher randomly selected 50 images from each generator, based on different users' prompts. The images and their corresponding prompts were sent in a form of questionnaire to 10 people, who

commonly use different image generators. They had to evaluate the semantic alignment between each image content and its prompt. After that, a qualitative and quantitative analyses of the data collected took place, where the researcher studied the semantic similarity between each word of the prompts and the content of the images generated. In addition, she analyzed the answers of the questionnaire using Excel Sheets. Finally, tables and figures were used to provide the results.

**5. Data Collection and Analysis**

Data analysis included many steps. First, a comparison between each input and its output was done to evaluate the semantic alignment between the two in order to draw out conclusions on the capability of AI image generators to deeply understand the language. This analysis was done in terms of two main parts: a qualitative analysis with respect to AI image generators' capability to infer contextual details and a qualitative analysis with respect to AI image generators' understanding of complete sentences vs. phrases. As for the quantitative analysis, it focused on the analysis of the questionnaire with respect to the semantic alignment between image content and textual prompts. Finally, the qualitative data were presented in tables and anecdotal analysis, where each one of the two capabilities was analyzed separately to help the researcher provide answers for the research questions. Regarding the quantitative data, they were presented in figures and statistical analysis.

**5.1. Qualitative analysis with respect to AI image generators' capability to infer contextual details**

The first part of data analysis explored the capability of AI image generators to infer contextual details when they are provided with prompts with precise details or precise situations. Based on the possibilities and tokens provided by DALL-E, the researcher chose two categories: an image of an object that requires inference (specific style of color, shape, number, etc.) and an image of an object with specific text written on it. In the first category, two prompts were provided: "a plastic lunchbox with an image of a

pink carrot" and "a computer monitor with an image of a blue artichoke". In the second category, also two prompts were provided: "t-shirt that has the word 'meatloaf' written on it" and "grocery bag with the word 'peekaboo' written on it". The same prompts were written on the generator of Gencraft.

As table 1 reveals, DALL-E provided many images for each prompt, while Gencraft provided two images for each one. The first prompt included five specific details that should be shown in the output: (plastic) + (lunchbox) + (image) + (pink) + (carrot). Concerning the output provided by DALL-E, some of the images included content that did not semantically match with the details provided: an orange or violet carrot instead of a pink one, a real carrot instead of its image, and the absence of a lunchbox. As for the results provided by Gencraft, the content of the two images did not semantically match with certain details provided: real carrots and images of carrots, pink and orange carrots, and the presence of other vegetables. In addition, one of the images did not accurately show the lunchbox.

As for the second prompt, it included five specific details that should be shown in the output: (a computer) + (monitor) + (image) + (blue) + (an artichoke). DALL-E provided many images, some of which included content that did not semantically match with the details provided: many artichokes instead of one, a real artichoke instead of its image, and a green artichoke instead of a blue one. As for the results provided by Gencraft, one image included real artichoke and did not include a computer monitor. Besides, the other image showed a real artichoke with its image reflected by the computer monitor, but their color was violet instead of being blue. Hence, although some details were accurately revealed in the output, the content of the images generated by both AI did not semantically align with inferential details of the textual prompts.

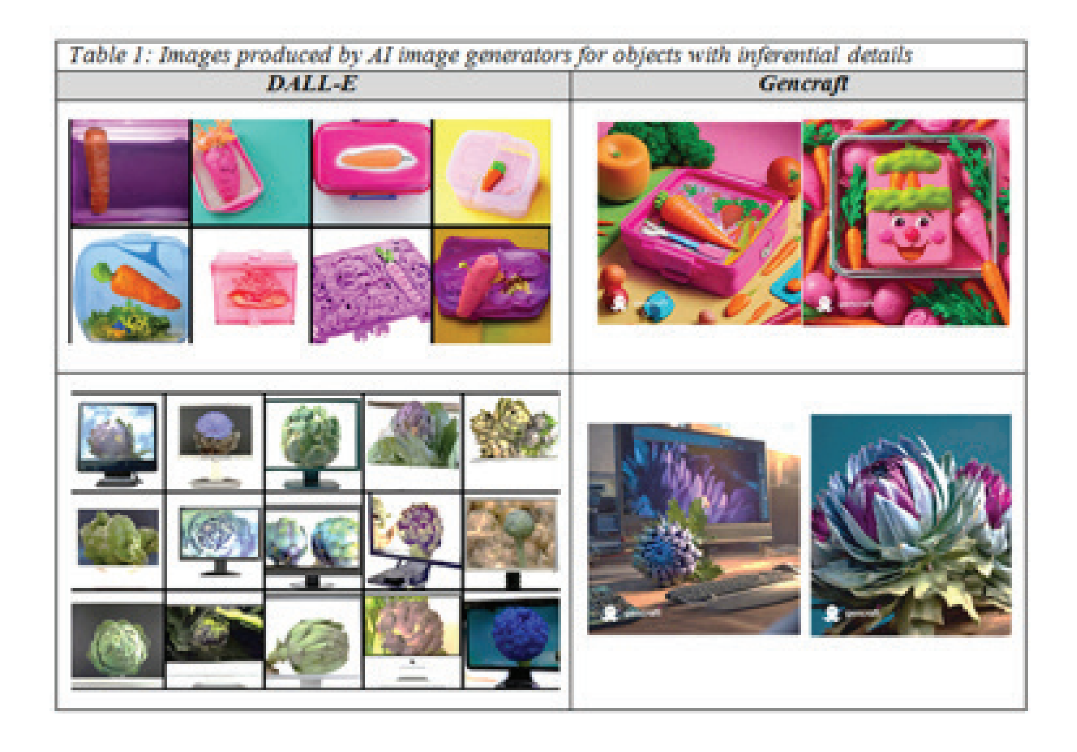



*Table 1: Images produced by AI image generators for objects with inferential details*

As for the second category, the first prompt included four precise details that should be shown in the generated images: (t-shirt) + (word) + (meatloaf) + (written). As revealed by table 2, the images provided by DALL-E included content that did not semantically match with the details provided. That is because the word "meatloaf" was misspelled in many images: "meant", "mealeof", "meatlaf", "meatlep", and "meatlie". As for the results provided by Gencraft, the two images also included misspelled words: "metloaf" and another word that had two letters merged together, "t" and "l". In addition, one of the images did not include t-shirt with the word written on it; instead, it revealed a bowl of meat with the word under it.

In addition, the second prompt included five precise details: (grocery) + (bag) + (word) + (peekaboo) + (written). Similarly, the images provided by DALL-E included the word "peekaboo" misspelled many times: "peekoboo", "peekboo, "peegkaboo", "peekago", and "peekao". Likewise, the two images provided by Gencraft revealed misspelled words:

“peeb’oo” and “peekebo”. Therefore, the capability of generating images of an object with specific text written on it resulted in spelling errors by both AI image generators. This proved that the content of the images produced by both AI generators did not semantically align with all the details of the textual prompts provided, the fact that reveals limited understanding of the language used.

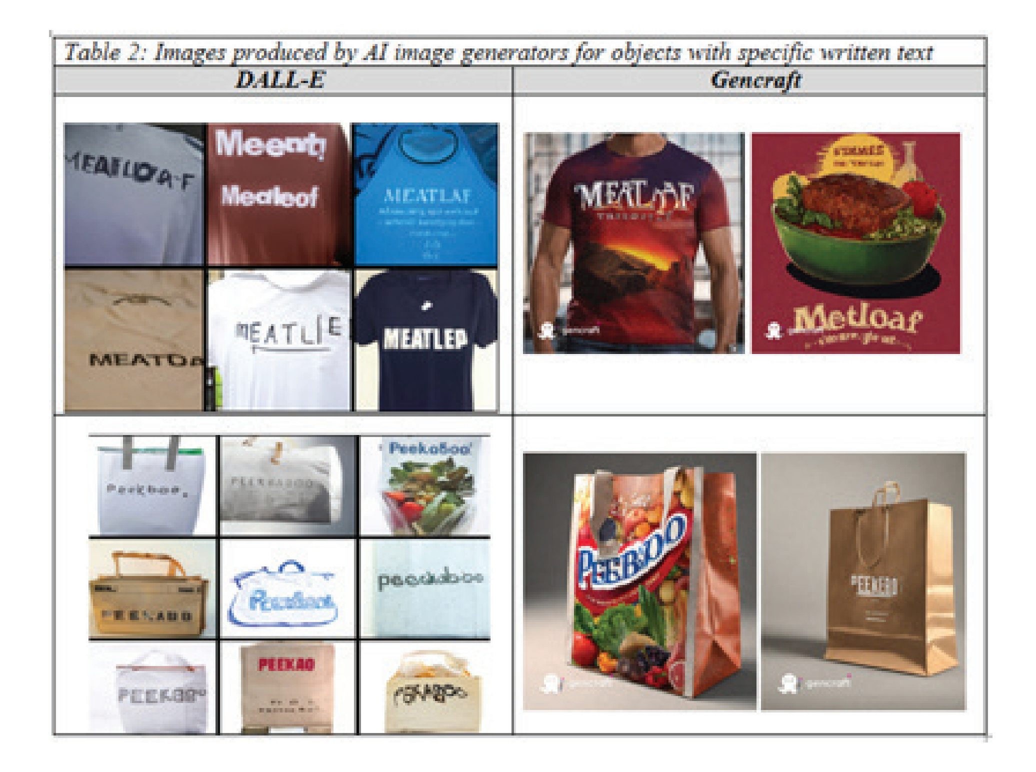



*Table 2: Images produced by AI image generators for objects with specific written text*

| DALL-E | Gencraft |
| --- | --- |

**5.2. Qualitative analysis with respect to AI image generators’ understanding of complete sentences vs. phrases**

The second part of data analysis examined the capability of AI image generators to understand the content of complete sentences vs. phrases. Four pairs of prompts were used. The complete sentences of the first two pairs had verbs in the simple present tense, while those of the other two pairs had verbs in the past tense. The first pair

of prompts included “A little boy holds three bottles” vs. “A little boy holding three bottles”. The content of the two prompts included five specific details: (little) + (boy) + (holds/holding) + (three) + (bottles). As shown by table 3, two images were provided for each prompt. The two images provided for both the complete sentence and the phrase included three details that semantically matched with the input: (little) + (boy) + (bottles). However, the images provided for the complete sentence did not accurately show the other details: the number and the act of holding three bottles. That is because in both images the little boy was surrounded by many bottles, held one bottle in the first image, and held two bottles in the second. On the other hand, the number was shown more accurately in the images provided for the phrases, three bottles in the first image and four bottles in the second one. However, in both images, the little boy held one bottle.

As for the second pair of prompts, it included “An old man walks with four dogs” vs. “An old man walking with four dogs”. The content of both prompts included five specific details: (old) + (man) + (walks/walking) + (four) + (dogs). As shown by table 3, the two images provided for both the complete sentence and the phrase included three details that semantically aligned with the prompts: (old) + (man) + (walks/walking) + (dogs). On one hand, one of the images provided for the complete sentence transferred the number of dogs into the image accurately; however, the second image included five dogs instead of four. On the other hand, the two images provided for the phrase included five and six dogs, respectively. As such, Gencraft showed better understanding of phrases vs. complete sentences in the first pair of prompts. As for the second one, the generator did not show better understanding of the content of phrases vs. that of complete sentences. However, the numbers in the provided input did not semantically align with those shown in the output.

*Table 3: Images produced by AI image generators for complete sentences in the present tense vs. phrases*

| Complete Sentence | Phrase |
|---|---|
| A little boy holds three bottles. | A little boy holding three bottles |
| | |
| An old man walks with four dogs. | An old man walking with four dogs |
| | |

The third pair of prompts included "Two maids used the washing machine at night" vs. "Two maids using the washing machine at night". The content of the two prompts included five specific details: (two) + (maids) + (used/using) + (washing machine) + (night). As revealed by table 4, the two images provided for both the complete sentence and the phrase included three details that semantically matched with the input: (maid) + (used/using) + (washing machine). However, the images provided for the complete sentence did not accurately show the other details: the number and the time required, which is "night". In addition, one image showed two washing machines instead of one. On the other hand, the images provided for the phrases revealed the accurate number, two maids. Nevertheless, in one of these images, one maid was shown using the washing machine, while the other one was inside it. As for the temporal knowledge provided, it was inaccurately transformed for the complete sentence because one of its images revealed day time. On the other hand, one of the images for the phrase showed night time.

As for the last pair of prompts, it included "A fisherman ate seafood in an oval plate" vs. "A fisherman eating seafood in an oval plate". The content of both prompts included five specific details: (fisherman) + (ate/eating) + (seafood) + (oval) + (plate). As shown by table 4, the two images provided for both the complete sentence and the phrase included two details that semantically aligned with the prompts: (seafood) + (plate). On one hand, the two images provided for the complete sentence did not semantically align with the three other details: fisherman, the action of eating, and the oval shape. On the other hand, one of the images for the phrase showed a fisherman, but he was not eating. As for the second image for the phrase, it revealed only the hands of a man. Regarding the oval shape, it was not revealed by any image. As such, Gencraft showed more semantic similarity between the content of phrases and their generated images than between complete sentences and their generated images. In addition, it did not transfer the input related to shape and the verb of eating into the content of the images provided for both sentences and phrases.

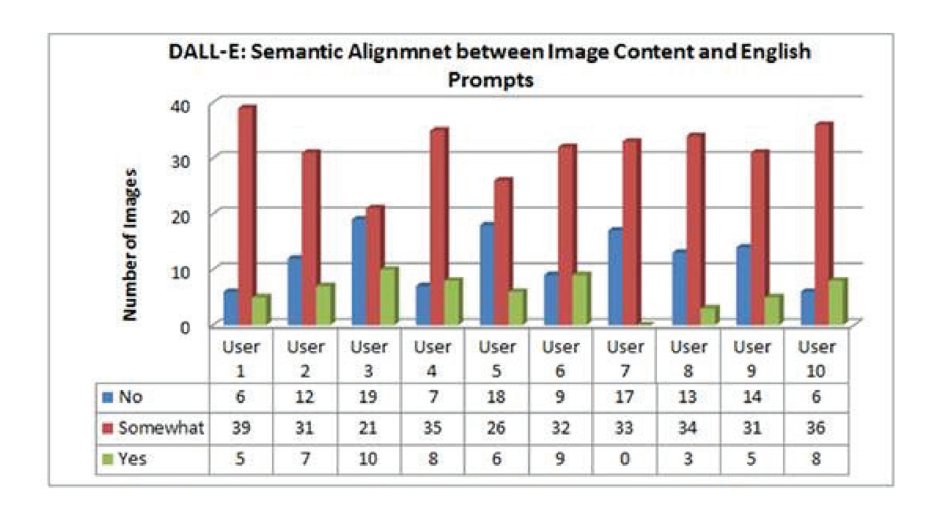
*Table 4: Images produced by AI image generators for complete sentences in the past tense vs. phrases*

| ***Complete Sentence*** | ***Phrase*** |
|---|---|
| Two maids used the washing machine at night. | Two maids using the washing machine at night |
| | |
| A fisherman ate seafood in an oval plate. | A fisherman eating seafood in an oval plate |
| | |



### 5.3. Quantitative analysis of the questionnaire with respect to the semantic alignment between image content and textual prompts by AI image generators

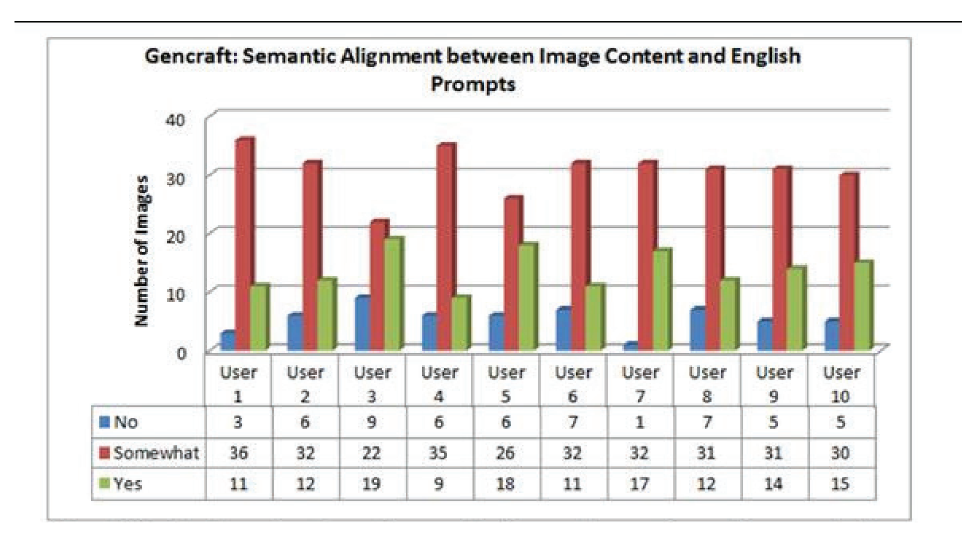
The third part of data analysis examined the images found on the two generators, DALL-E and Gencraft, to evaluate the semantic alignment of the textual prompts and the output provided by the generators. A questionnaire of two parts was sent to 10 users of different image generators. Each part comprised 50 images with their prompts from DALL-E and Gencraft to be evaluated by the users. They had to evaluate the content of each image by responding to one question: Does the image accurately reveal what its textual prompt states? Then they had to choose an answer from a Three-point Likert Scale: “yes”, “somewhat”, or “no”. The results of DALL-E were revealed in figure 1. Based on the results of the first part of the questionnaire, the number of images with content that did not semantically align with the prompts ranged between 6 and 19 out of 50, and their average number was 12.1 images (24.2%). As for the number of images with content that “somewhat” semantically aligned with the prompts, it ranged between 21 and 39 out of 50, and their average number was 31.8 images (63.6%). Finally, the number of images with content that semantically aligned with the prompts ranged between 0 and 10 out of 50, and their average number was 6.1 images (12.2%). Consequently, the majority of users considered the majority of DALL-E images (63.6%) “somewhat” semantically aligned with the textual prompts provided.




| | User 1 | User 2 | User 3 | User 4 | User 5 | User 6 | User 7 | User 8 | User 9 | User 10 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| No | 6 | 12 | 19 | 7 | 18 | 9 | 17 | 13 | 14 | 6 |
| Somewhat | 39 | 31 | 21 | 35 | 26 | 32 | 33 | 34 | 31 | 36 |
| Yes | 5 | 7 | 10 | 8 | 6 | 9 | 0 | 3 | 5 | 8 |

**Figure 1. Results of questionnaire on the semantic alignment between DALL-E images and their prompts**

As for the results of Gencraft, they are revealed in figure 2. Based on the results of the second part of the questionnaire, the number of images with content that did not semantically align with the prompts ranged between 1 and 9 out of 50, and their average number was 5.5 images (11%). As for the number of images with content that "somewhat" semantically aligned with the prompts, it ranged between 22 and 36 out of 50, and their average number was 30.7 images (61.4%). Finally, the number of images with content that semantically aligned with the prompts ranged between 9 and 19 out of 50, and their average number was 13.8 images (27.6%). Accordingly, the majority of users considered the majority of Gencraft images (61.4%) "somewhat" semantically aligned with the textual prompts provided.




| | User 1 | User 2 | User 3 | User 4 | User 5 | User 6 | User 7 | User 8 | User 9 | User 10 |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| No | 3 | 6 | 9 | 6 | 6 | 7 | 1 | 7 | 5 | 5 |
| Somewhat | 36 | 32 | 22 | 35 | 26 | 32 | 32 | 31 | 31 | 30 |
| Yes | 11 | 12 | 19 | 9 | 18 | 11 | 17 | 12 | 14 | 15 |

**Figure 2. Results of questionnaire on the semantic alignment between Gencraft images and their prompts**

Finally, figure 3 sumps up the statistical analysis of the two parts of the questionnaire. Very close percentages represented the capability of both generators to provide a "somewhat" semantic alignment between image content and textual prompts: 63.6% by DALL-E and 61.4% by Gencraft. However, the statistical analysis showed a difference with respect to "no" semantic alignment between image content and textual prompts: 24.2% by DALL-E while 11% by Gencraft. Likewise, different results were provided with respect to "yes" semantic alignment between image content and textual prompts: 12.2% by DALL-E while 27.6% by Gencraft. Therefore, although the semantic alignment between image content and textual prompts were more revealed by Gencraft images, the majority of images provided by both generators did not show a complete semantic alignment between image content and English prompts.

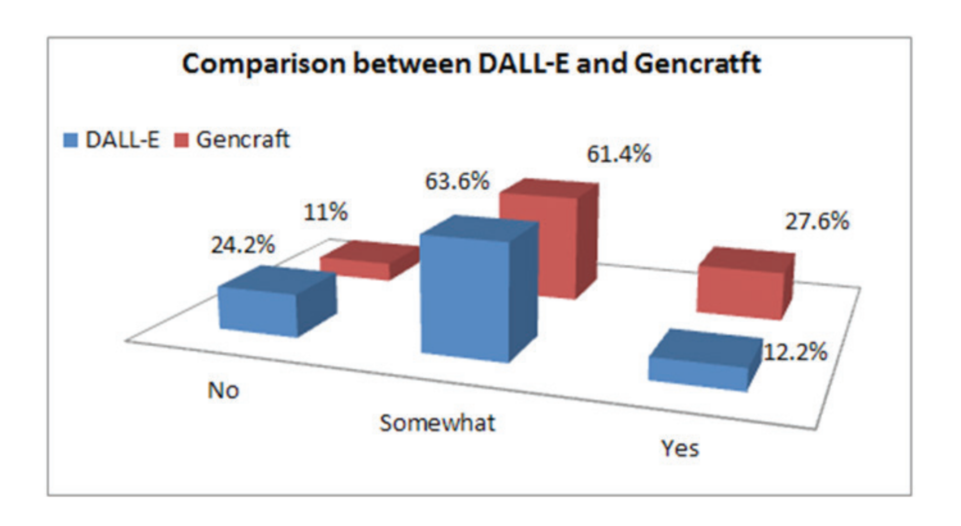



**Figure 3. Comparison between DALL-E and Gencraft with respect to the semantic alignment between images and their prompts**

## 6. Results and Discussion

The present study examined two main questions. The first one investigated the extent to which AI image generators have the capability to infer the contextual details of English language prompts. As for the second one, it studied the extent to which AI image generators have the capability to understand complete sentences vs. phrases of English language prompts. The results of the qualitative and quantitative data analyses helped the researcher to provide answers to the two questions by using two popular AI image generators, DALL-E and Gencraft.

According to research Q.1, when provided with prompts with inferential contextual details, both AI image generators produced images that did not semantically align with specific details. That was revealed by the qualitative and quantitative data analyses. First, different colors were provided, and some words were not revealed by some images. Second, some words appeared with spelling errors in the images generated. In addition, the location and nature of some details did not semantically match with what the prompts had provided.

Referring to the results of Crowson et al. (2022) that the quality of visual images is higher when there is low semantic similarity between the textual prompt, the researcher concluded that image generators focus more on the quality of the images generated. The lack of semantic alignment in some of the images generated justified the previous result. Moreover, the results compiled with the findings of Ding et al. (2021) and Bonnici et al. (2016) that the ability to differentiate between shapes, colors, gestures, and other features and to align items and features with their matching words are matters that necessitate higher levels of cognitive skills. Consequently, AI image generators have limited levels of the cognitive skills required to accomplish the task of aligning between the images and all the contextual details provided.

As for research Q2., qualitative data analysis of the prompts used to evaluate the understanding of complete sentences vs. phrases proved that AI image generators did not accurately comprehend complete sentences. Many specific details in the content of the images did not semantically match with the textual prompts: numbers, shapes, time, and certain action verbs, mainly in the past tense. On the other hand, better understanding of phrases was evident by the image generator. This agreed with the findings of Dhariwal and Nichol (2021) that despite the fact that image generators can produce realistic images and sounds, many improvements are still needed in the field of AI art production. Therefore, AI image generators do not have the capability to grasp the meaning provided by complete sentences. As for the quantitative data analysis, it was evident that AI image generators cannot semantically transform all the details provided into images with the required content. These results concurred with Richard-Bollans et al.'s findings (2018) regarding the main problem of NLP methods, which reveals limited accuracy when provided with challenging tasks that include deep semantics or common sense reasoning.

**7. Conclusion**

The current study verified that AI image generators, such as DALL-E and Gencraft, have limited cognitive skills when they transform the content of English language

prompts into images. Evaluating the semantic alignment between the written input and the image content resulted in showing the limited capability of AI image generators to deeply understand the language, specifically when provided with contextual details that require inference. In addition, the capability of the image generators to comprehend complete sentences vs. phrases with similar content is also limited mainly in terms of transferring numbers, shapes, and temporal knowledge into images. Therefore, with the plenty of development and progress done in the field of AI, having a deep level of language understanding is still a challenging task for AI image generators.

## References

Asad, M. (2023). Gencraft – A comprehensive analysis of the text-to-image generation AI tool. Divine. AI. https://divine.ai/blog/gencraft-a-comprehensive-analysis-of-the-text-to-image-generation-ai-tool/

Bonnici, H., Richter, F., Yazar, Y., & Simons, S. (2016). Multimodal feature integration in the angular gyrus during episodic and semantic retrieval. Journal of Neuroscience, 36(20), 5462-5471.

Brock, D. C. (2018). Learning from artificial intelligence's previous awakenings: The history of expert systems. AI Magazine, 39(3), 3-15.

Brown, T., Mann, B., Ryder, N., Subbiah, M., Kaplan, J. D., Dhariwal, P., ... & Amodei, D. (2020). Language models are few-shot learners. Advances in Neural Information Processing Systems, 33, 1877-1901.

Crowson, K., Biderman, S., Kornis, D., Stander, D., Hallahan, E., Castricato, L., & Raff, E. (2022). Vqgan-clip: Open domain image generation and editing with natural language guidance. In European Conference on Computer Vision (pp. 88-105). Cham: Springer Nature Switzerland.

Dhariwal, P., Jun, H., Payne, C., Kim, J. W., Radford, A., & Sutskever, I. (2020). Jukebox: A generative model for music. arXiv preprint arXiv:2005.00341.

Dhariwal, P., & Nichol, A. (2021). Diffusion models beat gans on image synthesis. Advances in Neural Information Processing Systems, 34, 8780-8794.



Ding, M., Yang, Z., Hong, W., Zheng, W., Zhou, C., Yin, D., ... & Tang, J. (2021). Cogview: Mastering text-to-image generation via transformers. Advances in Neural Information Processing Systems, 34, 19822-19835.

Donahue, J., & Simonyan, K. (2019). Large scale adversarial representation learning. Advances in Neural Information Processing Systems, 32.

Gregor, K., Danihelka, I., Graves, A., Rezende, D., & Wierstra, D. (2015). Draw: A recurrent neural network for image generation. In International Conference on Machine Learning (pp. 1462-1471). PMLR.

Grill-Spector, K., & Malach, R. (2004). The human visual cortex. Annual Review of Neuroscience, 27, 649-677.

Hao, K. (2020). AI still doesn't have the common sense to understand human language. MIT Technology Review.

Jia, C., Yang, Y., Xia, Y., Chen, Y. T., Parekh, Z., Pham, H., ... & Duerig, T. (2021). Scaling up visual and vision-language representation learning with noisy text supervision. In International Conference on Machine Learning (pp. 4904-4916). PMLR.

Karras, T., Laine, S., Aittala, M., Hellsten, J., Lehtinen, J., & Aila, T. (2020). Analyzing and improving the image quality of stylegan. In Proceedings of the IEEE/CVF Conference on Computer Vision and Pattern Recognition (pp. 8110-8119).

Levesque, H., Davis, E., & Morgenstern, L. (2012). The winograd schema challenge. In Thirteenth International Conference on the Principles of Knowledge Representation and Reasoning.

Lloyd, S. (2019). Wrong, but more relevant than ever. In Brockman, J. (Ed.), Possible Minds: Twenty-Five Ways of Looking at AI (1-12). New York: Penguin Press.

Mansimov, E., Parisotto, E., Ba, J. L., & Salakhutdinov, R. (2016). Generating images from captions with attention. arXiv preprint arXiv:1511.02793.

Micelli, V., van Trijp, R., and De Beule, J. (2009). Framing fluid construction grammar. In The 31th Annual Conference of the Cognitive Science Society (pp. 3023-3027).

Nayak, A. S., Kanive, A. P., Chandavekar, N., & Balasubramani, R. (2016). Survey on pre-processing techniques for text mining. International Journal of Engineering and Computer Science, 5(6), 16875-16879.

Noor, K. (2023). Dall-e statistics: The power of artificial imagination. Market Splash. https://marketsplash.com/

OpenAI, (2021). DALL·E: Creating images from text. https://openai.com/research/dall-e

Richard-Bollans, A., Gomez Alvarez, L., and Cohn, A. G. (2018). The role of pragmatics in solving the winograd schema challenge. In Proceedings of the Thirteenth International Symposium on

باب التربية :

1- الصحة النفسية عند طلاب الجامعة

بقلم الدكتورة كفاح سليمان الإمام

2- أساليب التّربيّة الرّوحيّة من منظور الإمام علي عليه السّلام

بقلم الدّكتورة فريال محمّد الحاج دياب

باب التاريخ والجغرافيا:

1- جذور وأثر الانتداب الفرنسي على لبنان

بقلم الباحث رحال محمد الرحال

2- مقال مراجعة موضوع معاملة الحاكم بأمر الله الفاطمي لأهل الذمة في مصر(386- 411ه/ 996 - 1021م)

بقلم م. د. نضال غالي يوسف

3- السياسات البريطانية في المغرب الأقصى بين الأهمية الجيوبولتيكية و والمصالح الاقتصادية (1886-1893)

بقلم الأستاذ المساعد الدكتور انور فاضل الخالدي

4- دور السياحة في التنمية الاقتصادية (محافظة كربلاء في العراق نموذجاً)

إعداد الباحث عبد الله حسن البجاري

باب اللغة العربية وآدابها:

1- جوانب من الصراع الحضاري في الأدب العربي المعاصر

بقلم الدكتورة فدوى نور الدين الخطيب

2- البعـد الوطنـي والبعـد القومـي فـي شعـر حسيـن حيـدر.

بقلم الباحث حســن توفيــق مظلــوم

3- أسلوبية الإنشاء عند البلاغيين (أبو يعقوب السكّاكيّ انموذجًا، المتفى في 626هـ)

بقلم الدكتورة دنيا عبدالله شاكر

باب الإعلام:

التكنولوجية الحديثة، والاعلام الاسلامي

بقلم الدكتور خالد ممدوح العزي

أبحاث باللغات الأجنبية

1- Sustainable development of historical and heritage locations in Iraq

Prof. Dr. Wijdan Fareeq Enad

2- Exploring AI Image Generators' Deep Understanding of English Language Prompts

Dr. Fatemah Bazzi




جديدنا
ادخال مجلة وميض الفكر للبحوث إلى
معامل التأثير العربي ونيلها الأرقام
(Ref.No:2020J1010):
وكذلك نالت رقم الـ
(DOI:1018756/2020J101) .
كما تم فهرستها في مؤسسة الكشاف
العربي للإستشهادات المرجعية تحت رقم:
code ARCI-2007-1110